فِي بَيانِ مَعْنَى الإِسْلامِ

مِنَ الكِتابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوالِ السَّلَفِ

أبو حَمزة بنُ مُسافِر

دارُ سَبِيلِ السَّلَف

في بيان معنى الإسلام - من الكتاب والسنة وأقوال السلف

أبو حمزةَ بنُ مسافِر

الطَّبعةُ الثَّانية

مُعَدَّلةٌ ومَزِيدةٌ

١٤٤٨ هـ

(٢٠٢٦ م)

الطَّبعةُ الأولى: ١٤٤٢ هـ (٢٠٢٠ م)

حُقُوقُ الطَّبْعِ والنَّشْر

يَجوزُ طباعةُ هذا الكتابِ ونشرُه، بشرطِ نِسبتِه إلى مؤلِّفِه، وألّا يُغيَّرَ مِن مضمونِه شيءٌ، وأن يُنشَرَ كاملاً دونَ نقصٍ.



www.ibnu-musafir.com

تلغرام: https://t.me/tawheed_arabic

بسم الله الرحمن الرحيم

فِي بَيَانِ مَعْنَى الْإِسْلَامِ

مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ السَّلَفِ

أبو حَمزة بنُ مُسافِر

الطبعة الثَّانية
مُعَدَّلةٌ ومَزِيدةٌ

دَارُ
سَبِيلِ
السَّلَف

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠]

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

[حديثُ النَبيِّ ﷺ، رواه البخاريّ هكذا في بدايةِ كتابِه الجامع الصحيح]

وقال أبو محمَّدٍ عبدُ الرحمنِ ابنُ أبي حاتمٍ الرازيُّ: «وَسَمِعْتُ أَبِي وَأَبَا زُرْعَةَ يَأْمُرَانِ بِهِجْرَانِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدَعِ، يُغَلِّظَانِ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ التَّغْلِيظِ، وَيُنْكِرَانِ وَضْعَ الْكُتُبِ بِرَأْيٍ فِي غَيْرِ آثَارٍ، وَيَنْهَيَانِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ وَالنَّظَرِ فِي كُتُبِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَيَقُولَانِ: لَا يُفْلِحُ صَاحِبُ كَلَامٍ أَبَدًا. قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَبِهِ أَقُولُ أَنَا».

[شرحُ أصولِ اعتقادِ أهلِ السنَّة، للَّالَكائي (ت ٤١٨هـ)]

فهرس

المقدِّمة ١١

«باب» (١): أفضلُ عِلمٍ هو معرفةُ اللَّهِ ومعرفةُ توحيدِه وهو أعظمُ ما يُسعَى في طلبِه ١٨

«باب» (٢): معنَى كلمةِ الإسلامِ وأهمّيّةُ هذا المعنَى وبيانُ النّبيِّ ﷺ له ٢٠

«فصل» (١): وَصْفُ النّبيِّ ﷺ الإسلامَ بأنّه إفرادُ اللَّهِ بالعبادةِ وتَرْكُ الشّركِ ٢٠

«فصل» (٢): إسلامُ عَلِيٍّ رضي الله عنه وأنّ الإسلامَ هو توحيدُ العبادةِ والبراءةُ مِنَ الأوثانِ والكفرُ بها ٢٣

«فصل» (٣): الأمرُ بتوحيدِ العبادةِ في القرآنِ وقولُه تعالَى ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ وهو أوّلُ أمرٍ في كتابِ اللَّهِ ٢٤

«فصل» (٤): الأمرُ بتوحيدِ العبادةِ في قولِه تعالَى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ٢٥

«باب» (٣): معنَى الإلهِ ومعنَى شهادةِ الإسلامِ ٢٧

«فصل» (١): في معنَى الإلهِ وشهادةِ الإسلامِ وأنّ مشركِي قُرَيْشٍ كانوا أعلمَ به مِن كثيرٍ مِنَ المنتسِبينَ إلى الإسلامِ اليومَ ٢٧

«فصل» (٢): أَمْرُ الأنبياءِ أقوامَهم بتوحيدِ العبادةِ وفَهْمُ المشركينَ لهذا الخطابِ في قولِهم ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ ٢٩

«فصل» (٣): أقوالُ السّلفِ في قولِه تعالَى ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وهو أوّلُ نَهيٍ في القرآنِ، وقولِه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾، وما في معناهما ٣٢

«فصل» (٤): قولُ اللَّهِ تعالَى ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ ٣٧

«فصل» (٥): قولُه تعالَى ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ ٣٧

«فصل» (٦): التّنبيهُ إلى الأصلِ المهمِّ في الشّرعِ واللّغةِ أنّ الشّيءَ يُسمَّى بأهمِّ ما فيه ٣٩
«فصل» (٧): مَن يقولُ إنّ العبادةَ لا تكونُ شركًا حتّى يُشرِكَ في الرّبوبيّةِ ٤٢

«باب» (٤): مكانةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» في دِينِ الإسلامِ **٤٤**
«فصل» (١): في عِظَمِ شأنِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٤٤
«فصل» (٢): في أنّ الإسلامَ هو توحيدُ العبادةِ وأنّه رأسُ الأمرِ كلِّه ٤٧
«فصل» (٣): في أنّ الإسلامَ أعلَى شُعَبِ الإيمانِ ولا تَنفعُ الشُّعَبُ الأخرَى إلّا بهذه الشُّعبةِ ٤٨
«فصل» (٤): في أنّ للشّهادةِ شروطًا ٤٩

«باب» (٥): بيانُ أصلِ لفظِ الإسلامِ في اللّغةِ ووُرودُه في القرآنِ **٥٠**
«فصل» (١): معنَى «سَلِمَ» الذي هو أصلُ لفظِ الإسلامِ في اللّغةِ ٥٠
«فصل» (٢): استعمالُ «سَلِمَ» في القرآنِ في قولِه تعالَى ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ ومَثَلُ المسلمِ والمشركِ ٥١
«فصل» (٣): ما يَلزمُ المخالِفَ في هذه الآيةِ ٥٥

«باب» (٦): بيانُ معنَى لفظِ الإسلامِ في اللّغةِ أنّه الإخلاصُ وتسميتُه بذلك في السّنّةِ **٥٧**
«فصل» (١): معنَى الفعلِ «أَسْلَمَ» وأنّ الإسلامَ هو الإخلاصُ ٥٧
«فصل» (٢): تسميةُ النّبيِّ ﷺ شهادةَ الإسلامِ بـ «كَلِمَةِ الإخلاصِ» ٥٩

«باب» (٧): ذِكرُ «إسلامِ الوجهِ» للَّهِ في القرآنِ وأنّه الإسلامُ والإخلاصُ **٦١**
«فصل» (١): تفسيرُ السّلفِ لقولِه تعالَى ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ بالإخلاصِ ٦٣
«فصل» (٢): شِعرُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ رضي الله عنه وذِكرُه الإسلامَ قبلَ نبوّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ٦٦

«باب» (٨): في أنّ الإسلامَ هو الإيمانُ باللَّهِ والكفرُ بالطّاغوتِ وهو الكفرُ بعبادةِ غيرِ اللَّهِ **٦٧**

«فصل» (١): قولُه تعالَى ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ ٦٧

«فصل» (٢): قولُه تعالَى ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾ ٦٩

«باب» (٩): في أنّ توحيدَ العبادةِ حقُّ اللَّهِ على العبادِ وأنّ الحنفاءَ عَرفُوا ذلك قبلَ بِعثةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ٧٠

«فصل» (١): قولُ النّبيِّ ﷺ «إِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ٧٠

«فصل» (٢): حديثُ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ وإنكارُ الحنفاءِ للشّركِ قبلَ نبوّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ٧١

«باب» (١٠): معرفةُ مشركِي العربِ والعجمِ معنَى الشّهادةِ وفهمُهم لِما خاطبَهم به الأنبياءُ عليهم السلام ٧٢

«فصل» (١): المشركونَ فهِمُوا معنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عندما دعاهم الأنبياءُ إلى الإسلامِ ٧٢

«فصل» (٢): مشركُو العربِ فهِمُوا ما خاطبَهم به النّبيُّ ﷺ ٧٥

«فصل» (٣): قصّةُ وفاةِ أَبِي طَالِبٍ ٧٦

«فصل» (٤): قصّةُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وأنّ الحنفاءَ عَرفُوا معنَى الإسلامِ ٧٧

«فصل» (٥): جميعُ الأنبياءِ وأَتباعِهم عَرفُوا المسلمَ مِنَ المشركِ وبَرِئُوا مِنَ المشركينَ، وقولُه تعالَى ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ ٨٢

«فصل» (٦): اشتراطُ النّبيِّ ﷺ البراءةَ مِنَ المشركِ والكافرِ على المرءِ عند أوّلِ دخولِه في الإسلامِ ٨٤

«فصل» (٧): لا يَقبلُ اللَّهُ عملًا حتّى يفارقَ المشركينَ إلى المسلمينَ ٨٥

«فصل» (٨): في أنّ أصلَ البراءةِ هو نفيُ الإسلامِ عن المشركِ وهذا يكونُ عن عِلمٍ وأنّ الإحسانَ إلى المشركِ لا يناقضُ أصلَ البراءةِ ٨٧

«فصل» (٩): الشّيطانُ يَبرأُ مِن إشراكِ المشركينَ إيّاه مع اللَّهِ يومَ القيامةِ بقولِه ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ﴾، وعلاقةُ ذلك بآيةِ الممتحَنةِ ٨٨

«فصل» (١٠): قولُ اللَّهِ ﷻ عن إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠﴾ وعن نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ مثلَه ٩٢

«فصل» (١١): في توبةِ المرتدّينَ بإقرارِهم على أنفسِهم وموتاهم بالكفرِ ٩٥

«فصل» (١٢): قصّةُ هِرَقْلَ ومعرفةُ أهلِ الكتابِ والمشركينَ معنَى الإسلامِ ٩٨

«فصل» (١٣): قصّةُ النَّجَاشِيِّ رحمَه اللَّهُ تعالَى ورضيَ عنه ١٠٠

«فصل» (١٤): في عِظَمِ جُرمِ مَن كفّرَ المسلمَ ١٠٤

«باب» (١١): الإسلامُ العامُّ دِينُ الأنبياءِ جميعًا ١٠٧

«فصل» (١): التّصريحُ بكونِ جميعِ المرسَلينَ مسلمينَ ١٠٩

«فصل» (٢): جميعُ الأنبياءِ أُمِرُوا بلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أو بعبادةِ اللَّهِ وحدَه أو بتركِ الشّركِ أو يأتِي ذلك مجموعًا، وكلُّ ذلك هو الإسلامُ ١١٠

«باب» (١٢): الإسلامُ دِينُ اللَّهِ تعالَى وهو الحنيفيّةُ وملّةُ إِبْرَاهِيمَ ١١١

«فصل» (١): دِينُ اللَّهِ هو الإسلامُ، لا يَقبلُ اللَّهُ غيرَه، وقولُه تعالَى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ ١١١

«فصل» (٢): الإسلامُ هو ملّةُ إِبْرَاهِيمَ وهو الحنيفيّةُ دِينُ الحُنَفاءِ، وقولُه تعالَى ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ ١١٢

«باب» (١٣): دِينُ اللَّهِ هو دِينُ الفطرةِ ويُمكِنُ معرفتُه بالفطرةِ والعقلِ ومعنَى الميثاقِ الذي أخذَه اللَّهُ على النّاسِ ١١٥

«فصل» (١): بيانُ النّبيِّ ﷺ كيف تُحرَّفُ فطرةُ النّاسِ عن الحنيفيّةِ التي خلقَهم اللَّهُ عليها ١١٦

«فصل» (٢): عِظَمُ شأنِ الميثاقِ عند مَن يَفهمُ الكتابَ والسّنّةَ وإن جَهِلَه المتكلِّمونَ، وقولُه تعالَى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ١١٨

«باب» (١٤): الإسلامُ هو الإخلاصُ والحنيفيّةُ وملّةُ إِبْرَاهِيمَ والكفرُ بالطّاغوتِ، والمشركُ لا يُحقِّقُ شيئًا مِن ذلك ١٢٢

«فصل» (١): قولُ اللَّهِ جلَّ ذِكرُه ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ ١٢٣

«فصل» (٢): الإسلامُ هو الإخلاصُ، والإخلاصُ لا يُوجَدُ في أحدٍ مِنَ المشركينَ، كما في أوّلِ سورةِ الزُّمَرِ ١٢٤

«فصل» (٣): الإسلامُ هو الحنيفيّةُ والمشركُ ليس حنيفًا، وقولُه تعالَى ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ ١٢٦

«فصل» (٤): الإسلامُ هو ملّةُ إِبْرَاهِيمَ والمشركُ مخالِفٌ لأساسِها، وقولُه تعالَى ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ ١٢٨

«فصل» (٥): الإسلامُ هو الكفرُ بالطّاغوتِ والمشركُ لا يُحقِّقُ ذلك ١٢٨

«فصل» (٦): لو كان الإسلامُ مجرَّدَ الانتسابِ إليه لكان عُبّادُ الأصنامِ مسلمينَ ١٣٠

«فصل» (٧): معنَى كلمةِ الشِّركِ ١٣١

«باب» (١٥): التّوحيدُ أصلُ الإسلامِ، فكيف يكونُ على الإسلامِ مَن لم يُحقِّقْ أصلَه؟ ١٣٤

«فصل» (١): المشركُ لم يُحقِّقْ ما خُلِقَ له، كما في قولِه تعالَى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ١٣٤

«باب» (١٦): اللَّهُ لا يَغفرُ الشّركَ الأكبرَ والمشركُ لا يَدخلُ الجنّةَ ١٣٧

«فصل» (١): في قولِ اللَّهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ...﴾ ١٣٧

«فصل» (٢): قولُ النّبيِّ ﷺ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ» ١٤٠

«فصل» (٣): حديثُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه ١٤١

«فصل» (٤): مَن أَشركَ باللَّهِ لا يَدخلُ الجنّةَ، وقولُه تعالَى ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ ١٤٤

«باب» (١٧): المشركُ لا يَعرفُ معنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ١٤٦

«فصل» (١): العِلمُ بالمعنَى مِن شروطِ شهادةِ الإسلامِ، وقولُه تعالَى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ١٤٦

«فصل» (٢): معنَى الشّهادةِ أن يَعلمَ الشّاهدُ ما شَهِدَ به، وقولُه تعالَى ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٤٨

«فصل» (٣): سؤالُ الملَكَينِ في القبرِ، وقولُه تعالَى ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ ١٥٠

«فصل» (٤): أوّلُ ما يُعَلَّمُ الصّبيُّ الإيمانُ باللَّهِ والكفرُ بالطّاغوتِ وهو الإسلامُ ١٥٤

«فصل» (٥): مثالٌ يَضربُه بعضُ مَن ضلَّ في هذا الزّمانِ يدلُّ على سوءِ الفهمِ ١٥٤

«فصل» (٦): أمثلةُ المشركِ الجاهلِ وعدمُ عُذرِه في القرآنِ ١٥٧

«باب» (١٨): أحاديثُ امتحانِ بعضِ النّاسِ يومَ القيامةِ ١٥٩

«باب» (١٩): لا يَدخُلُ المشركُ الإسلامَ إلّا بالتّوبةِ مِنَ الشّركِ ١٦١

«فصل» (١): أوّلُ ما يُدعَى إليه المشركُ هو التّوحيدُ ١٦٣

«باب» (٢٠): مَن جَعلَ نوعًا مِنَ المشركينَ مسلمينَ بجهلِهم يَلزمُه ذلك في جميعِ أنواعِ المشركينَ، وقولُه تعالَى ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ١٦٥

«فصل» (١): مَن فعلَ ذلك في نوعٍ مِنَ الشّركِ فإنّه يَلزمُه ضرورةً في جميعِ الأنواعِ ١٦٧

«فصل» (٢): كثيرٌ مِنَ المشركينَ السّابقينَ أولَى بالإسلامِ على هذا الأصلِ الباطلِ ١٦٧

«فصل» (٣): مخالَفةٌ للقرآنِ والسّنّةِ والإجماعِ مِن وجوهٍ كثيرةٍ ١٦٨

«فصل» (٤): عامّةُ المشركينَ إنّما يقعونَ في الشّركِ بسببِ جهلِهم ١٦٨

«باب» (٢١): الشّركُ يُحبِطُ جميعَ الأعمالِ ١٦٩

«فصل» (١): قولُ اللَّهِ تعالَى عن نبيِّنا ﷺ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ ١٧٠

«فصل» (٢): قولُ اللَّهِ تعالَى عن الأنبياءِ عليهم السلام ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ ١٧٢

«فصل» (٣): مخالَفةُ آياتٍ كثيرةٍ مِنَ القرآنِ وأنّ لفظَ المشركينَ فيه يَشملُ الجاهلَ مِنهم بلا شكٍّ ١٧٣

الخاتِمة **١٧٨**

فهرسُ الآياتِ وتفسيرِ السّلفِ ١٨٢

فهرسُ الأحاديثِ ١٩٤

فهرسُ الآثارِ ١٩٨

فهرسُ المصادرِ ٢٠٠

فهرسُ أسماءِ المصنِّفينَ المنقولِ عنهم ٢١١

المقدِّمة

الحمدُ للَّهِ والصّلاةُ والسّلامُ على رسولِ اللَّهِ وعلى آلِه وصحبِه ومَن والاه، وبعدُ،

هذه رسالةٌ في بيانِ معنَى الإسلامِ، اقتصرتُ فيها على نصوصِ الكتابِ والسّنّةِ، وما يُعينُ على فهمِها مِن أقوالِ السّلفِ. يَظهرُ مِن تلك النّصوصِ جليًّا أنّ الإسلامَ هو عبادةُ اللَّهِ وحدَه وتركُ الإشراكِ به في شيءٍ مِن خصائصِه ﷻ، في ربوبيّتِه وأسمائِه وصفاتِه وألوهيّتِه، كما يَظهرُ مِنها أنّه ملّةُ إبْرَاهِيمَ الحنيفيّةُ وأنّه دِينُ جميعِ الأنبياءِ والرّسلِ عليهم السلام وأنّه الإيمانُ باللَّهِ والكفرُ بالطّاغوتِ.

وقد التبسَ معنَى الإسلامِ اليومَ على كثيرٍ مِنَ النّاسِ، فكان مِنهم مَن غلَا ورمَى المسلمَ بالكفرِ والخروجِ مِنَ الملّةِ، وآخرونَ يُدخِلونَ في الإسلامِ مَن لم يتحقّقْ فيه معناه. فالمقصودُ مِن ذِكرِ الأدلّةِ في هذا الكتابِ توضيحُ أمرَينِ: أنّ مَن حقّقَ معنَى الإسلامِ، ولم يقعْ مِنه ما يناقضُه، فهو المسلمُ، له ما للمسلمِ وعليه ما على المسلمِ. وفي مُقابِلِ ذلك مَن أَشركَ باللَّهِ الشّركَ الأكبرَ وتحقّقتْ فيه حقيقتُه، فلا يكونُ مسلمًا بحالٍ - إلّا أن يتوبَ مِنه -، هذا في غيرِ الشّركِ الأصغرِ والمحتمِلاتِ مِنَ الأقوالِ والأفعالِ.

وقد لخّصَ بعضُ أهلِ العلمِ هذا في جملةٍ واحدةٍ ينبغي أن يتأمّلَها المرءُ، فقالوا: **«الْإِسْلَامُ وَالشِّرْكُ نَقِيضَانِ، لَا يَجْتَمِعَانِ»**! ولا فرقَ في هذا بينَ مَن ينتسبُ إلى الإسلامِ مع وقوعِ الشّركِ الأكبرِ مِنه وبينَ غيرِه مِنَ المشركينَ، إذ كيف يكونُ مُحقِّقًا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» مَن اتّخذَ إلهَينِ وجَعلَ للَّهِ شركاءَ في العبادةِ؟

فالمشركُ - أيًّا كان - تنتفِي عنه أربعةُ أمورٍ:

(١) حقيقةُ الإسلامِ

(٢) اسمُ الإسلامِ

(٣) أحكامُ المسلمينَ في الدّنيَا

(٤) أحكامُ المسلمينَ في الآخرةِ.

وهذه الحقائقُ غابتْ عن فهمِ كثيرٍ مِنَ النّاسِ في هذا الزّمانِ، وبسببِ ذلك قد انتشرَ اليومَ إثباتُ الإسلامِ لأصنافٍ مِنَ المشركينَ انتشارًا واسعًا إلى درجةِ أن يُتَّهَمَ بالغلوِّ مَن حَكمَ عليهم بما أَوجبَه الكتابُ والسّنّةُ.

والنّاسُ في مخالَفتِهم لهذا الأصلِ على أقوالٍ، فمِنهم مَن أَثبتَ الإسلامَ لبعضِ المشركينَ مِن كلِّ وجهٍ، ومِنهم مَن نفَى عنهم بعضَ الأحكامِ دونَ بعضٍ. فعلينا أن نُراجِعَ هذا الأصلَ مِن مصادرِه وأن نُحكِمَه إحكامًا.

ثمّ تتفرّعُ عن هذا الأصلِ مسائلُ مهمّةٌ، ينبغِي أن يُتَكلَّمَ في كلٍّ مِنها منفردةً بعدَ إحكامِ الأصلِ. أوّلُها السّؤالُ عن حقيقةِ الشّركِ، وادّعاءُ بعضِ النّاسِ أنّ الشّركَ إنّما يكونُ في الرّبوبيّةِ، وأنّ مجرّدَ الطّلبِ مِنَ الموتَى ليس شركًا حتّى يَصحبَه الاعتقادُ أنّ المدعوَّ يُعطِي مستقلًّا عن اللَّهِ تعالَى. وقد تكلّمتُ عليها في مواضعَ مِن هذا الكتابِ[1].

---

[1] انظرِ البابَ (٣)، الفصلَينِ (٦) «التّنبيهُ إلى الأصلِ المهمِّ في الشّرعِ واللّغةِ أنّ الشّيءَ يُسمَّى بأهمِّ ما فيه» و(٧) «مَن يقولُ إنّ العبادةَ لا تكونُ شركًا حتّى يُشرِكَ في الرّبوبيّةِ»، والبابَ (١٤)، الفصلَ (٧) «معنَى كلمةِ الشِّركِ».

ثمّ مِن هذه المسائلِ أحاديثُ أهلِ الفترةِ وامتحانِهم، ومتى تقومُ الحجّةُ، وحُكْمُ مَن حَكَمَ بإسلامِ بعضِ المشركينَ مع العلمِ التّامِّ بحالِهم. وقد أَشرتُ إليها بقَدْرِ تعلُّقِها بالأصلِ[1].

وذكرتُ هذه المسائلَ بشيءٍ مِنَ التّفصيلِ في «الخاتِمةِ». وهي كلُّها مهمّةٌ لكنّ العنايةَ بها بعدَ الكلامِ على الأصلِ الذي تتفرّعُ عنه. وممّا يُصعِّبُ الفهمَ على كثيرٍ مِنَ النّاسِ عدمُ مراعاةِ هذا التّرتيبِ وخلطُهم بينَ هذه المسائلِ.

وكذلك ما يُورَدُ على هذا الأصلِ مِنَ الشّبهاتِ، وهي كثيرةٌ، وعامّتُها مِنِ اتّباعِ المتشابِهِ مِنَ النّصوصِ وأقوالِ أهلِ العلمِ، كالاستدلالِ بحديثِ ذاتِ أنواطٍ وحديثِ سجودِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ للنّبيِّ ﷺ على أنّ مَن وقعَ في الشّركِ الأكبرِ قد يكونُ مسلمًا، وكجَعْلِ أقوالِ بعضِ العلماءِ حُجّةً بنفسِها يُعارَضُ بها ما دلَّ عليه الكتابُ والسّنّةُ، وإنّما يُحتَجُّ لأقوالِ العلماءِ ولا يُحتَجُّ بها. وهذه أيضًا تحتاجُ أن يُجابَ عنها على حِدَةٍ، ولم أَتعرّضْ لها هنا قصدًا، لأنّ الأصلَ يُقرَّرُ أوّلًا مِن أدلّتِه المحكَمةِ، ثمّ يُرَدُّ إليه ما اشتبهَ.

في كثرةِ أدلّةِ الإسلامِ وقوّتِها

معنَى الإسلامِ الذي ينبني عليه هذا الدِّينُ هو أهمُّ ما يجبُ على المرءِ تعلُّمُه والعملُ به، لذا تجدُ أنّ الأدلّةَ المبيِّنةَ لمعناه لا تُحصَى، فهي متوفِّرةٌ بكثرةٍ ومتعاضدةٌ ومعروفةٌ عند أهلِ الإسلامِ الأوائلِ. فما كان مِنها في كتابِ اللَّهِ، فهو الأصلُ وفيه البيانُ الواضحُ المُبِينُ. وأمّا الأحاديثُ فعامّتُها مِن أقوَى ما رُوِيَ بالإسنادِ، وتلقّاها علماءُ الحديثِ بالقبولِ وعَرفُوا كونَها حجّةً. ثمّ إذا ذُكِرَتْ في هذا السّياقِ بعضُ آثارِ السّلفِ في تفسيرِ

[1] أحاديثُ أهلِ الفترةِ في البابِ (١٨)، وحُكْمُ مَن حَكَمَ بإسلامِ بعضِ المشركينَ في البابِ (٢٠).

القرآنِ ونحوِها ممّا في إسنادِه ضعفٌ يسيرٌ فإنّما تُذكَرُ لتوضيحِ الأصلِ الثّابتِ للقارئِ وتأكيدِه لا للتّأصيلِ، فأصلُ الإسلامِ لا يفتقرُ إلى أن يُثبَتَ بمِثلِه، فليُفهَمْ ذلك[1]. ويُلحَقُ بما ذُكِرَ ما قد يُنقَلُ عن بعضِهم لتوضيحِ معانِي العربيّةِ أو لإثباتِ أنّ ما يُذكَرُ في هذا الكتابِ مِن بيانِ معنَى الإسلامِ هو ما قرّرَه سائرُ مَن اشتغلَ بالعلمِ في تلك الأزمنةِ.

حولَ تأليفِ هذا الكتابِ

بداياتُ هذا الكتابِ كانت بتأليفِ رسالةٍ ذاتِ أوراقٍ معدودةٍ قبلَ أكثرَ مِن عشرينَ عامًا أَرسلتُها إلى أحدِ الشّيوخِ المصريّينَ أُنبِّهُه فيها إلى بعضِ المعانِي المتعلِّقةِ بحقيقةِ الإسلامِ والشّركِ التي قد وقعَ فيها لَبْسٌ عند بعضِ النّاسِ، ثمّ وُسِّعَتِ الرّسالةُ ثمّ صارتْ كتابًا. وفي كلِّ هذه المراحلِ كنتُ حريصًا على جمعِ الأدلّةِ مِنَ القرآنِ والسّنّةِ والاعتمادِ عليها، حتّى بدَا لي أن أُلحِقَ بكلِّ دليلٍ ما وردَ عن سلفِ هذه الأمّةِ مِنَ البيانِ لِما عندهم مِنَ العلمِ الرّاسخِ بالكتابِ والسّنّةِ وكلامِ العربِ الذي لا يَبلغُ مِثلَه أحدٌ بعدَهم

---

[1] ويُشارُ هنا إلى أنّ السّلفَ الأوائلَ عند احتجاجِهم بالأحاديثِ والآثارِ لم يَنظرُوا إلى قوّةِ الإسنادِ وخلوِّه مِنَ العللِ المضعِّفةِ فحسبُ، بل ضمُّوا إلى ذلك قرائنَ عديدةً عرفُوها وأَتقنُوها ويَغفُلُ عنها كثيرٌ ممّن يَقسِمُ كتبَهم في عصرِنا هذا إلى صحيحٍ وضعيفٍ، ظنًّا أنّهم لم يَعرفُوا ما في أسانيدِها مِنَ الضّعفِ، مع أنّهم قد بيَّنُوا طريقتَهم في ذلك بأنفسِهم. فالأئمّةُ فرّقُوا بينَ الأسانيدِ ولم يَجعلُوها حُكمًا واحدًا، فعاملُوا المأثورَ في التّفسيرِ غيرَ معاملةِ ما رُوِيَ مِنَ الأخبارِ في الحلالِ والحرامِ. وانظرْ في رسالةِ «شرحُ مقدّمةِ تفسيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ» بابَ «تعليقٌ على كلامِ المُحقِّقينَ في أسانيدِ هذا التَّفسيرِ، ومعاملةُ علماءِ السَّلفِ لأسانيدِ التَّفسيرِ». هذا فضلًا عمّا تلقَّوه بالقبولِ مِنَ الأخبارِ وأَجمعُوا على الاحتجاجِ به وكان مِن أهمِّ أمورِ الدِّينِ كالأخبارِ التي ذُكِرَتْ في بيانِ معنَى الإسلامِ.

كائنًا مَن كان[1]. فخرجَ الكتابُ بهذه الصّورةِ في طبعتِه الأولى على ضيقٍ مِنَ الوقتِ وفي أحوالٍ صعبةٍ، فعزمتُ بعدَ خروجِه بقليلٍ على مراجعتِه، ولم يتيسّرْ لي ذلك سنواتٍ، حتّى مكّنَني اللَّهُ بفضلِه مِن استدراكِه في هذه الطّبعةِ.

وقد تغيّرَ في هذه الطّبعةِ التّنسيقُ والمظهرُ كثيرًا، وجرتْ عليه تعديلاتٌ عديدةٌ: فقُوبِلَتِ النّصوصُ المنقولةُ بمصادرِها المطبوعةِ، وأُضيفَتْ أدلّةٌ في مواضعَ، رجاءَ أن يكونَ هذا الموضوعُ المهمُّ أقربَ إلى ما يليقُ به مِنَ التّحقيقِ والإتقانِ، وزِيدَتْ في آخرِه فهارسُ لتَكمُلَ هذه الفائدةُ.

منهجُ الكتابِ

اعتمدتُ في النّقلِ الطّبعاتِ الموجودةَ في «المكتبةِ الشّاملةِ» ليَسهُلَ على القارئِ الرّجوعُ إليها، ولم أذكرْ أرقامَ الأجزاءِ والصّفحاتِ والأحاديثِ، لأنّها تختلفُ مِن طبعةٍ إلى أخرى، والنّصُّ يُوجَدُ فيها بالبحثِ عن لفظِه، وإذا تعدّدتْ طبعاتُ الكتابِ حرصتُ على ما هو معتمَدٌ مِنها عند المعتنينَ بهذا الشّأنِ في الجملةِ، وذكرتُ الطّبعةَ التي اعتمدتُ عليها في الأصلِ تحت كلِّ كتابٍ في «فهرسِ المصادرِ»، ولم أذكرِ اختلافَ النُّسَخِ إلّا إذا تغيّرَ به المعنَى. وإذا كان الحديثُ في «الصّحيحَينِ» عن الصّحابيِّ نفسِه قلتُ بعدَ ذِكرِ المصدرِ: «متّفقٌ عليه»، أي: اتّفقَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ على إخراجِه، وإن

---

[1] قال الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ في أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ ﷻ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ ...»، رواه ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ في «جامعِ بيانِ العلمِ وفضلِه». ورواه أيضًا عن قَتَادَةَ عن ابْنِ مَسْعُودٍ بنحوِه، وفيه: «فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ»، وَقَتَادَةُ لم يُدرِكِ ابْنَ مَسْعُودٍ.

اختلفَ لفظُهما أو انفردَ أحدُهما ببعضِ رواياتِه، واللّفظُ للمصدرِ المذكورِ. وكذلك ما رُوِيَ في غيرِ «الصّحيحَينِ» بلفظِ المصدرِ أو بنحوِه ذكرتُه بعدَه أيضًا ما أَمكنَ باختصارٍ، كقولِي: «وبمِثلِه عند فلانٍ»، وما طالَ ذكرتُه في الحاشيةِ.

وحذفتُ أسانيدَ المرويّاتِ اختصارًا، فيبدأُ النّقلُ عند الصّحابيِّ أو القائلِ، وإذا حُذِفَ الإسنادُ في أثناءِ النّقلِ أو بقيَ بعدَ حذفِه ما يُشكِلُ وضعتُ مكانَه ثلاثَ نقاطٍ (...). وضبطتُ النّصوصَ المنقولةَ بالشّكلِ التّامِّ، واكتفيتُ في كلامي بضبطِ ما قد يُشكِلُ. وكتبتُ الآياتِ على رسمِ المصاحفِ العثمانيّةِ بروايةِ حفصٍ عن عاصمٍ، وما احتِيجَ فيه إلى قراءةٍ أخرى كتبتُه على رسمِ مصحفِ تلك الرّوايةِ.

وقد أَنقُلُ عن بعضِ مَنِ انحرفَ في الاعتقادِ، وأكثرُ ذلك في بيانِ اللُّغةِ، لأنّ معانيَها كانت معروفةً منتشرةً في القرونِ الأولَى، وقد أَذكرُ أحدَهم أحيانًا في الحاشيةِ لِلفظٍ لا يُوجَدُ عند غيرِه، فليس في ذِكرِهم تزكيةٌ لهم، ولا احتجاجٌ بهم في شيءٍ مِن أمورِ الدِّينِ.

ورقّمتُ الأبوابَ، والفصولَ في كلِّ بابٍ، والنّصوصَ المنقولةَ في الإطاراتِ برقمٍ متسلسلٍ، ولم أُرقِّمِ الآياتِ، لأنّها معروفةٌ بمواضعِها في المصحفِ، وتُعرَفُ مواضعُها في الكتابِ مِن «فهرسِ الآياتِ وتفسيرِ السّلفِ».

وعددُ الآياتِ في الكتابِ: ١٧٢، وعددُ النّصوصِ المرقَّمةِ: ٢١٢، مِنها أحاديثُ: ٧٦، وأقوالُ المتقدِّمينَ في التّفسيرِ: ٩٦.

وفي آخرِ هذه المقدِّمةِ ما بقِيَ إلّا أن أَشكُرَ اللَّهَ تعالَى على إتمامِ هذا الكتابِ ثمّ مَن أَعانَني على إنجازِه مِنَ الأهلِ والإخوانِ، أَحسنَ اللَّهُ إليهم وجزاهم اللَّهُ خيرًا. ومَن استفدتُ مِنه علمًا أَفادَني في هذا الكتابِ أو غيرِه ممّن تعلّمتُ مِنهم، فأَحسنَ اللَّهُ إليهم

كما أَحسنُوا إليَّ، ومَن خالفَ مِنهم ما تقرّرَ في الكتابِ والسّنّةِ وأقوالِ السّلفِ في هذا الأصلِ وأمثالِه فأَسألُ اللَّهَ أن يَهدِيَني وإيّاهم إلى الصّوابِ وإلى الصّراطِ المستقيمِ. آمينَ.

... هذا، واللَّهُ أعلمُ، وباللَّهِ تعالَى التّوفيقُ والسّدادُ. واللَّهَ أَسألُ الإعانةَ وإيّاه أدعُو أن يُوفِّقَني لِما يُحبُّه ويرضاه وأن يَجعلَ هذا الكتابَ نافعًا لعبادِه ونيّاتِنا خالصةً لوجهِه الكريمِ، آمينَ.

وكتبه
أبو حمزةَ بنُ مسافر

«باب» (١): أفضلُ عِلمٍ هو معرفةُ اللَّهِ ومعرفةُ توحيدِه وهو أعظمُ ما يُسعَى في طلبِه

العِلمُ باللَّهِ تعالَى وتوحيدِه هو أسمَى ما يَطلبُه كُلُّ طالبٍ وهو ما خُلِقَ له بنُو آدَمَ، قال تعالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢]. وهو أوّلُ ما يُدعَى إليه الإنسانُ.

١ - **رَوَى الْبُخَارِيُّ:** «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ عَلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ **أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ** إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، **فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ**، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ ...»»

وفي روايةٍ له: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ ...» [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

٢ - **وذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ:** «قَالَ سُفْيَانُ[١]: أَفْضَلُ الْعِلْمِ الْعِلْمُ بِاللَّهِ، وَالْعِلْمُ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ الْعَبْدُ عَالِمًا بِاللَّهِ، وَعَالِمًا بِأَمْرِ اللَّهِ فَقَدْ بَلَغَ، وَلَمْ تَصِلْ إِلَى الْعِبَادِ نِعْمَةٌ أَفْضَلُ مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ، وَالْعِلْمِ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِمْ عُقُوبَةٌ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ، وَالْجَهْلِ بِأَمْرِ اللَّهِ»

«قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: خَرَجَ أَهْلُ الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَذُوقُوا أَطْيَبَ شَيْءٍ فِيهَا، قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا يَحْيَى؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى»

---

[١] هو سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، ذكرَ أَبُو نُعَيْمٍ قولَه هذا في ترجمتِه.

«... سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، يَقُولُ: أَهْلُ الدُّنْيَا خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يَتَطَعَّمُوا أَطْيَبَ مَا فِيهَا، قِيلَ لَهُ: وَمَا أَطْيَبُ مَا فِيهَا؟ قَالَ: الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ ﷻ».

[حِلْيَةُ الأولياءِ، لِأَبِي نُعَيْمٍ (ت ٤٣٠هـ)]

وهذا العِلمُ هو الذي يُورِثُ في القلبِ الصّادقِ محبّةَ اللَّهِ والخوفَ مِنه سبحانَه، وقد قال تعالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

٣ - **كما رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ:** «قَالَ بُدَيْلٌ: مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ أَحَبَّهُ، وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا زَهِدَ فِيهَا، ...» [الزُّهدُ والرَّقائقُ، لِابْنِ الْمُبَارَكِ (ت ١٨١هـ)]

٤ - **ورَوَى مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ:** «عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْحَوَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيَّ، يَقُولُ: مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَخْوَفَ، قَالَ أَحْمَدُ: صَدَقَ وَاللَّهِ». [تَعظيمُ قَدْرِ الصَّلاةِ، لِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيِّ (ت ٢٩٤هـ)]

فَلْتَعْلُ همّةُ مَن أرادَ الخيرَ لنفسِه أن يَسعَى لفهمِ هذا الأمرِ العظيمِ.

«باب» (٢): معنَى كلمةِ الإسلامِ وأهمّيّةُ هذا المعنَى وبيانُ النّبيِّ ﷺ له

إنّ اللَّهَ تعالَى سمَّى هذا الدِّينَ الإسلامَ، فقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج: ٧٨][1]، ولا بُدَّ أن يكونَ لهذه التّسميةِ حكمةٌ عظيمةٌ، إذ جعلَ كلمةَ «الإسلام» الاسمَ الشّاملَ للملّةِ، وكلُّ اسمٍ استعملَه اللَّهُ تعالَى لم يستعملْه إلّا لحكمةٍ بالغةٍ، فكيف بهذا الاسمِ الذي سُمِّيَ به الدِّينُ كلُّه؟ فعُلِمَ بذلك أهمّيّةُ معرفةِ معنَى لفظِ الإسلامِ للمسلمِ.

«فصل» (١): وَصْفُ النّبيِّ ﷺ الإسلامَ بأنّه إفرادُ اللَّهِ بالعبادةِ وتَرْكُ الشّركِ

٥ - رَوَى الْبُخَارِيُّ عن أَبِي هُرَيْرَةَ حديثَ جِبْرِيلَ، وفيه أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ ...» [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

---

[1] أي: اللَّهُ سمّاكم، وهو قولُ ابْنِ عَبَّاسٍ ومُجَاهِدٍ وقَتَادَةَ فيما رواه الطَّبَرِيُّ، ورَدَّ الطَّبَرِيُّ قولَ مَن جعلَ الضّميرَ لإبْرَاهِيمَ، إذ لم يُسَمِّهم بذلك في القرآنِ، وقد نزلَ بعدَه بدهرٍ طويلٍ. وفي حديثِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ عن النّبيِّ ﷺ: «فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ»، رواه التِّرْمِذِيُّ وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، ونقلَ عن الْبُخَارِيِّ قولَه: «الحَارِثُ الأَشْعَرِيُّ لَهُ صُحْبَةٌ وَلَهُ غَيْرُ هَذَا الحَدِيثِ».

فالإسلامُ هو عبادةُ اللَّهِ وعدمُ الإشراكِ به. فمَن لم يَعبدِ اللَّهَ كان مستكبِرًا، كما قال تعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، ومَن عبدَه وعبدَ معه غيرَه كان مشركًا غيرَ مسلمٍ. وما ذُكِرَ في الحديثِ بعدَ ذلك مِنَ الشّرائعِ، مع عِظَمِ شأنِها، مبنيٌّ كلُّه على التّوحيدِ، فمَن صلَّى وصامَ وحجَّ ولم يُحقِّقِ التّوحيدَ لم يُقبَلْ مِنه شيءٌ. والفرقُ بينَ هذا الأصلِ وما بُنِيَ عليه يَظهرُ مِن وجوهٍ:

الأوّلُ: أنّ مَن جهِلَ الصّلاةَ أو غيرَها مِنَ الشّرائعِ لأنّ النّصَّ في وجوبِها لم يَبلغْه فهو مسلمٌ معذورٌ بجهلِه، بخلافِ التّوحيدِ، إذ كيف يكونُ محقِّقًا للإسلامِ مَن جهِلَ الإسلامَ؟ ومعلومٌ ببداهةِ العقولِ أنّ إسلامَ المرءِ يقتضِي قصدًا ونيّةً، وأنّى لمَن جهِلَ شيئًا أن يُحقِّقَه قاصدًا إليه؟

> ٦ - **رَوَى ابْنُ مَاجَه:** «عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ[١]، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ ﷻ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ، الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا». فَقَالَ لَهُ صِلَةُ[٢]: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، **وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ وَلَا صِيَامٌ وَلَا نُسُكٌ وَلَا صَدَقَةٌ؟** فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صِلَةُ، **تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ، ثَلَاثًا**». [سننُ ابْنِ مَاجَه (ت ٢٧٣هـ)][٣]

---

[١] «يَدْرُسُ»: يَعفُو ويَذهبُ أثرُه، و«وَشْيُ الثّوبِ»: نقشُه.

[٢] هو صِلَةُ بْنُ زُفَرَ الْعَبْسِيُّ، صاحبُ حُذَيْفَةَ.

[٣] صحّحَه الْحَاكِمُ على شرطِ مُسْلِمٍ، وقال الْبَزَّارُ: «وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنْ حُذَيْفَةَ مَوْقُوفًا»، والأشبهُ أنّه موقوفٌ على حُذَيْفَةَ، ومِثلُه لا يُقالُ بالرّأيِ، واللَّهُ أعلمُ.

والحديثُ فيمَن بقِيَ على التّوحيدِ وجهِلَ الشّرائعَ لاندراسِ العِلمِ بها، لا فيمَن قالَ الكلمةَ ولم يَعرفْ معناها أو نقضَها بعبادةِ غيرِ اللَّهِ، فإنّها لا تنفعُ إلّا مَن عَلِمَ معناها وعمِلَ به[1].

الثّاني: أنّ الشّرائعَ تختلفُ بينَ الأنبياءِ، والتّوحيدُ واحدٌ لا يختلفُ، كما قال النّبيُّ ﷺ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ[2]، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»، متّفقٌ عليه، وسيأتِي في البابِ (١١) «الإسلامُ العامُّ دينُ الأنبياءِ جميعًا».

الثّالثُ: أنّ التّوحيدَ أوّلُ ما يُدعَى إليه، ثمّ تأتِي الشّرائعُ بعدَه، كما في حديثِ مُعَاذٍ الذي سبقَ ذِكرُه في البابِ الأوّلِ برقمِ (١): «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ ...».

الرّابعُ: أنّ الشّرائعَ نزلتْ بعدَ التّوحيدِ شيئًا فشيئًا، وقد ماتَ مِنَ المسلمينَ بِمَكّةَ مَن ماتَ قبلَ أن يُفرَضَ الصّيامُ والحجُّ[3]، فلو كانت شرطًا في أصلِ الإسلامِ لما تأخّرَ نزولُها.

٧ - وفي حديثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عن أبيه عند مُسْلِمٍ: «وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا

---

[1] انظرِ البابَ (١٧)، الفصلَ (١) «العِلمُ بالمعنَى مِن شروطِ شهادةِ الإسلامِ، وقولُه تعالَى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾».

[2] العَلّاتُ: الضَّرائرُ، وبنو العَلّاتِ: الإخوةُ لأبٍ واحدٍ مِن أمّهاتٍ شتّى.

[3] وإنّما فُرِضَ صيامُ رمضانَ بالمدينةِ، ففي «الطّبقاتِ الكبيرِ» لِابْنِ سَعْدٍ: «نَزَلَ فَرْضُ شَهْرِ رَمَضَانَ بَعْدَمَا صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ إِلَى الْكَعْبَةِ بِشَهْرٍ فِي شَعْبَانَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مُهَاجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ ...» [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

فإنّه ﷺ لم يُرِدْ أن يَشهدَ المرءُ أن لا معبودَ حقٌّ إلّا اللَّهُ وإن كان يَعبدُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى وقتَ شهادتِه واستمرَّ على عبادةِ الأوثانِ، جهلًا مِنه أنّ هذا ينافِي معنَى الشّهادةِ. وهل يَفهمُ هذا المعنَى مِنَ الحديثِ المذكورِ إلّا مَن هو نفسُه جاهلٌ بالإسلامِ؟

«فصل» (٢): إسلامُ عَلِيٍّ رضي الله عنه وأنّ الإسلامَ هو توحيدُ العبادةِ والبراءةُ مِنَ الأوثانِ والكفرُ بها

٨ - **ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:** «ثُمَّ إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بِيَوْمَيْنِ فَوَجَدَهُمَا يُصَلِّيَانِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: مَا هَذَا يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **دِينُ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَى لِنَفْسِهِ، وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ، فَأَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِلَى عِبَادَتِهِ، وَكُفْرٍ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى،**

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَسْمَعْ بِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ، فَلَسْتُ بِقَاضٍ أَمْرًا حَتَّى أُحَدِّثَ أَبَا طَالِبٍ، فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُفْشِيَ عَلَيْهِ سِرَّهُ قَبْلَ أَنْ يَسْتَعْلِنَ أَمْرَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَلِيُّ، إِذَا لَمْ تُسْلِمْ فَاكْتُمْ،

فَمَكَثَ عَلِيٌّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَوْقَعَ فِي قَلْبِ عَلِيٍّ الْإِسْلَامَ، فَأَصْبَحَ غَادِيًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَهُ، فَقَالَ: مَا عَرَضْتَ عَلَيَّ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **تَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَكْفُرُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى، وَتَبْرَأُ مِنَ الْأَنْدَادِ،** فَفَعَلَ عَلِيٌّ وَأَسْلَمَ، وَمَكَثَ عَلِيٌّ يَأْتِيهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ أَبِي طَالِبٍ، وَكَتَمَ عَلِيٌّ إِسْلَامَهُ وَلَمْ يَظْهَرْ بِهِ». [سيرةُ ابْنِ إِسْحَاقَ (ت ١٥١هـ)]

فسمَّى عبادةَ اللَّهِ وحدَه والكفرَ بالأصنامِ «دِين اللَّه» و«الإسلام».

«فصل» (٣): الأمرُ بتوحيدِ العبادةِ في القرآنِ وقولُه تعالَى ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ وهو أوّلُ أمرٍ في كتابِ اللَّهِ

قد سبقَ أنّ النّبيَّ ﷺ بيّنَ معنَى الإسلامِ بتوحيدِ العبادةِ، وأمّا كتابُ اللَّهِ تعالَى فإنّه يدورُ على بيانِ التّوحيدِ كلِّه، إذ هو رسالةُ الأنبياءِ وسببُ إرسالِهم وإنزالِ كتبِهم عليهم السلام، كما قال تعالَى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢﴾ [هود: ١-٢]، وسيأتِي بيانُ ذلك مفصَّلًا.

٩ - قال الطَّبَرِيُّ في الآيةِ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ثُمَّ فُصِّلَتْ **بِأَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَخْلَعُوا الْآلِهَةَ وَالْأَنْدَادَ»** [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

قال اللَّهُ تعالَى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ...﴾ [الإسراء: ٢٣]، ومِثلُه قولُه تعالَى في سورةِ البقرةِ، وهو أوّلُ أمرٍ في القرآنِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة: ٢١]، فلا شكَّ أنّ شهادةَ الإسلامِ طالبتِ المشركينَ بتوحيدِ العبادةِ للَّهِ تعالَى.

١٠ - رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَوْلُهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] **أَيْ وَحِّدُوا رَبَّكُمْ»** [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)][1]

١١ - ولذلك قال الطَّبَرِيُّ في معنَى العبادةِ عمومًا وفي الآيةِ: «فَأَمَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ الْفَرِيقَيْنِ[2] ... وَغَيْرَهُمْ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ الْمُكَلَّفِينَ، بِالِاسْتِكَانَةِ وَالْخُضُوعِ لَهُ بِالطَّاعَةِ،

---

[1] وذكرَ هذا الخبرَ في مواضعَ مِن تفسيرِه.

[2] أي: الكفّارَ والمنافقينَ المذكورينَ في أوّلِ سورةِ البقرةِ.

وَإِفْرَادِ الرُّبُوبِيَّةِ لَهُ وَالْعِبَادَةِ دُونَ الْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ وَالْآلِهَةِ، لِأَنَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ هُوَ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ، وَخَالِقُ أَوْثَانِهِمْ وَأَصْنَامِهِمْ وَآلِهَتِهِمْ ... وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا رُوِيَ لَنَا عَنْهُ يَقُولُ فِي ذَلِكَ نَظِيرَ مَا قُلْنَا فِيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ ذُكِرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي مَعْنَى: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] **وَحِّدُوا رَبَّكُمْ**.

وَقَدْ دَلَّلْنَا فِيمَا مَضَى مِنْ كِتَابِنَا هَذَا عَلَى أَنَّ مَعْنَى الْعِبَادَةِ الْخُضُوعُ لِلَّهِ بِالطَّاعَةِ وَالتَّذَلُّلُ لَهُ بِالِاسْتِكَانَةِ. وَالَّذِي أَرَادَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِقَوْلِهِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ وَحِّدُوهُ: أَيْ **أَفْرِدُوا الطَّاعَةَ وَالْعِبَادَةَ لِرَبِّكُمْ** دُونَ سَائِرِ خَلْقِهِ.

حَدَّثَنَا ... عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، أَيْ **وَحِّدُوا رَبَّكُمُ** الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

«فصل» (٤): الأمرُ بتوحيدِ العبادةِ في قولِه تعالَى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

١٢ - **قال الطَّبَرِيُّ:** «وَتَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] لَكَ اللَّهُمَّ نَخْشَعُ وَنَذِلُّ وَنَسْتَكِينُ إِقْرَارًا لَكَ يَا رَبَّنَا بِالرُّبُوبِيَّةِ لَا لِغَيْرِكَ.

كَمَا حَدَّثَنَا ... عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ جِبْرِيلُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ:

«قُلْ يَا مُحَمَّدُ: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾، **إِيَّاكَ نُوَحِّدُ وَنَخَافُ وَنَرْجُو** يَا رَبَّنَا **لَا غَيْرَكَ**»

وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمَعْنَى مَا قُلْنَا، وَإِنَّمَا اخْتَرْنَا الْبَيَانَ عَنْ تَأْوِيلِهِ بِأَنَّهُ **بِمَعْنَى نَخْشَعُ وَنَذِلُّ وَنَسْتَكِينُ**، دُونَ الْبَيَانِ عَنْهُ بِأَنَّهُ بِمَعْنَى نَرْجُو وَنَخَافُ، **وَإِنْ كَانَ الرَّجَاءُ وَالْخَوْفُ لَا يَكُونَانِ إِلَّا مَعَ ذِلَّةٍ، لِأَنَّ الْعُبُودِيَّةَ عِنْدَ جَمِيعِ الْعَرَبِ أَصْلُهَا الذِّلَّةُ**، وَأَنَّهَا

تُسَمِّي الطَّرِيقَ الْمُذَلَّلَ الَّذِي قَدْ وَطِئَتْهُ الْأَقْدَامُ وَذَلَّلَتْهُ السَّابِلَةُ[1]: مُعَبَّدًا. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ طَرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ:

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعَتْ ... وَظِيفًا وَظِيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ[2]

يَعْنِي بِالْمَوْرِ: الطَّرِيقَ، وَبِالْمُعَبَّدِ: الْمُذَلَّلَ الْمَوْطُوءَ وَمِنْ ذَلِكَ قِيلَ لِلْبَعِيرِ الْمُذَلَّلِ بِالرُّكُوبِ فِي الْحَوَائِجِ: مُعَبَّدٌ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْعَبْدُ عَبْدًا لِذِلَّتِهِ لِمَوْلَاهُ. **وَالشَّوَاهِدُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَكَلَامِهَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى**، وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ لِمَنْ وُفِّقَ لِفَهْمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

---

[1] «السَّابِلَةُ»: المارّةُ، قال الْخَلِيلُ في «العَيْنِ»: «الْمُخْتَلِفَةُ فِي الطُّرُقَاتِ لِلْحَوَائِجِ»، أي: الجائيةُ والذّاهبةُ فيها.

[2] البيتُ مِن مُعلَّقةِ طَرَفَةَ، وهو شاعرٌ جاهليٌّ. قال ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ في «شرح القصائدِ السَّبع»: «مَعْنَاهُ: هُمَا يَتَبَارَيَانِ فِي السَّيْرِ، إِذَا فَعَلَ هَذَا شَيْئًا فَعَلَ هَذَا مِثْلَهُ ... وَ«الْعِتَاقُ»: الْكِرَامُ مِنَ الْإِبِلِ الْبِيضُ ... وَ«النَّاجِيَاتُ»: السِّرَاعُ ... وَقَوْلُهُ: «وَأَتْبَعَتْ وَظِيفًا وَظِيفًا»، مَعْنَاهُ: وَأَتْبَعَتِ النَّاقَةُ وَظِيفَ يَدِهَا وَظِيفَ رِجْلِهَا»، وقال ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فيما نقلَه ابْنُ سِيدَهْ في «المحكَمِ»: ««الْوَظِيفُ» مِنْ رُسْغَيِ الْبَعِيرِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ فِي يَدَيْهِ، وَأَمَّا فِي رِجْلَيْهِ فَمِنْ رُسْغَيْهِ إِلَى عُرْقُوبَيْهِ».

«باب» (٣): معنَى الإلهِ ومعنَى شهادةِ الإسلامِ

«فصل» (١): في معنَى الإلهِ وشهادةِ الإسلامِ وأنّ مشركي قُرَيْشٍ كانوا أعلمَ به مِن كثيرٍ مِنَ المنتسِبينَ إلى الإسلامِ اليومَ

معنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هو «لا معبودَ حقٌّ إلّا اللَّهُ»[١]، لأنّ الإلهَ هو المعبودُ.

١٣ - قال الطَّبَرِيُّ في بيانِ معنَى الإلهِ في لغةِ العربِ: «أَمَّا تَأْوِيلُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: اللَّهِ، فَإِنَّهُ عَلَى مَعْنَى مَا رُوِيَ لَنَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ الَّذِي يَأْلَهُهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَعْبُدُهُ كُلُّ خَلْقٍ. وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ... عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «اللَّهُ ذُو الْأُلُوهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ[٢] عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ»

فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: فَهَلْ لِذَلِكَ فِي فَعَلَ وَيَفْعَلُ أَصْلٌ كَانَ مِنْهُ بِنَاءُ هَذَا الِاسْمِ؟ قِيلَ: أَمَّا سَمَاعًا مِنَ الْعَرَبِ فَلَا، وَلَكِنِ اسْتِدْلَالًا. فَإِنْ قَالَ: وَمَا دَلَّ عَلَى أَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ هِيَ الْعِبَادَةُ، وَأَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَأَنَّ لَهُ أَصْلًا فِي فَعَلَ وَيَفْعَلُ؟ قِيلَ: لَا تَمَانُعَ بَيْنَ الْعَرَبِ فِي الْحُكْمِ لِقَوْلِ الْقَائِلِ يَصِفُ رَجُلًا بِعِبَادَةٍ وَيَطْلُبُ مَا عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: تَأَلَّهَ فُلَانٌ بِالصِّحَّةِ وَلَا خِلَافَ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ رُؤْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ:

لِلَّهِ دَرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّهِ ... سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي[٣]

---

[١] أو «لا معبودَ بحقٍّ إلّا اللَّهُ» على تفصيلِ ما يَذكرُه أهلُ العِلمِ عند الكلامِ على إعرابِ الشّهادةِ ومعناها المفصَّلِ وتقديرِ المحذوفِ مِنها، لكنّ كلَّ ذلك في معنًى واحدٍ.

[٢] في طبعةِ أحمد شاكر: «والمَعْبُودِيَّة».

[٣] رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ راجزٌ مشهورٌ. قال الْخَلِيلُ في «العَيْنِ»: ««الْغَانِيَةُ»: الشَّابَّةُ الْمُتَزَوِّجَةُ، يُقَالُ: =

يَعْنِي: مِنْ تَعَبُّدِي وَطَلَبِي اللَّهَ بِعَمَلِي. وَلَا شَكَّ أَنَّ التَّأَلُّهَ التَّفَعُّلُ مِنْ: أَلَهَ يَأْلَهُ، وَأَنَّ مَعْنَى أَلَهَ إِذَا نُطِقَ بِهِ: عَبَدَ اللَّهَ.

وَقَدْ جَاءَ مِنْهُ مَصْدَرٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ نَطَقَتْ مِنْهُ بِفَعِلَ يَفْعَلُ بِغَيْرِ زِيَادَةٍ وَذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ ... عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧][1] قَالَ: «عِبَادَتَكَ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ يُعْبَدُ وَلَا يَعْبُدُ»

وَحَدَّثَنَا ... عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾ قَالَ: «إِنَّمَا كَانَ فِرْعَوْنُ يُعْبَدُ وَلَا يَعْبُدُ. وَكَذَلِكَ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَؤُهَا وَمُجَاهِدٌ»

وَحَدَّثَنَا ... عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلَهُ: ﴿وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ﴾ قَالَ: «وَعِبَادَتَكَ» وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِلَاهَةَ عَلَى مَا فَسَّرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ أَلَهَ اللَّهَ فُلَانٌ إِلَاهَةً، كَمَا يُقَالُ: عَبَدَ اللَّهَ فُلَانٌ عِبَادَةً، وَعَبَرَ الرُّؤْيَا عِبَارَةً. فَقَدْ بَيَّنَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ هَذَا أَنَّ أَلَهَ: عَبَدَ، وَأَنَّ الْإِلَاهَةَ مَصْدَرُهُ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

وقد أساءَ كثيرٌ مِنَ النّاسِ فهمَ معنَى الإلهِ والشّهادةِ، وإنّما ذلك لكثرةِ انشغالِهم بالفلسفةِ المذمومةِ عن فهمِ كتابِ اللَّهِ وسنّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ على مرادِ اللَّهِ وعن أقوالِ سلفِ هذه الأمّةِ، وقد مرَّ ما رُوِيَ عن الصّحابةِ ﷺ، وسيأتِي مزيدٌ.

= غَنِيَتْ بِزَوْجِهَا، وَيُقَالُ: غَنِيَتْ بِجَمَالِهَا عَنِ الزِّينَةِ»، وقال: ««الْمَدْهُ» يُضَارِعُ الْمَدْحَ، إِلَّا أَنَّ الْمَدْهَ فِي نَعْتِ الْجَمَالِ وَالْهَيْئَةِ، وَالْمَدْحُ فِي كُلِّ شَيْءٍ»، وقال الْجَوْهَرِيُّ في «الصِّحاح»: ««الْمَادِهُ»: الْمَادِحُ، وَالْجَمْعُ «الْمُدَّهُ»». و«سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ»: قُلنَ: «سبحانَ اللَّهِ»، و«إنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعونَ».

[1] هي قراءةُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ، وهي قراءةٌ شاذّةٌ، وقرأَ قُرّاءُ الأمصارِ: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾، قال الطَّبَرِيُّ: «وَالْقِرَاءَةُ الَّتِي لَا نَرَى الْقِرَاءَةَ بِغَيْرِهَا هِيَ الْقِرَاءَةُ الَّتِي عَلَيْهَا قَرَأَةُ الْأَمْصَارِ، لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنَ الْقَرَأَةِ عَلَيْهَا».

بل حتّى مَن كان قليلَ الفهمِ والتّتبّعِ لمعانِي ألفاظِ القرآنِ يَعلمُ أنّ معنَى الإلهِ هو المعبودُ وليس الخالقَ أو القادرَ على الاختراعِ فقط كما ظنَّه هؤلاء. ولو كان معنَى الإلهِ الخالقَ لكان مشركُو العربِ موحِّدينَ، فقد كانوا يُقِرّونَ بأنّ اللَّهَ وحدَه خالقُهم ورازقُهم، كما سيأتِي. والأمثلةُ الآتيةُ تُبيِّنُ هذا.

«فصل» (٢): أَمْرُ الأنبياءِ أقوامَهم بتوحيدِ العبادةِ وفَهْمُ المشركينَ لهذا الخطابِ في قولِهم ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾

﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥]

هذا قولُ المشركينَ، وليس قصدُهم أنّ مُحَمَّدًا جعلَ الخالقِينَ خالقًا واحدًا.

> ١٤ - **قال الطَّبَرِيُّ مبيِّنًا:** «يَقُولُ: وَقَالَ هَؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ الَّذِينَ قَالُوا: مُحَمَّدٌ سَاحِرٌ كَذَّابٌ: أَجْعَلَ مُحَمَّدٌ **الْمَعْبُودَاتِ** كُلَّهَا مَعْبُودًا وَاحِدًا، يَسْمَعُ دُعَاءَ جَمِيعِنَا، وَيَعْلَمُ عِبَادَةَ كُلِّ عَابِدٍ عَبَدَهُ مِنَّا ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: ٥] أَيْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ...» [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

فجعلَ الطَّبَرِيُّ «المعبوداتِ» مكانَ «الآلهةَ»، و«معبودًا واحدًا» مكانَ «إلهًا واحدًا».

فتبيّنَ أنّ المشركينَ مِنَ العربِ فهِمُوا معنَى الشّهادةِ تمامَ الفهمِ، لأنّهم تعجّبُوا مِن مُحَمَّدٍ ﷺ أنّه جعلَ الآلهةَ المعبودةَ عندهم معبودًا واحدًا، وهذا يَدلُّ قطعًا على أنّهم فهِمُوا ما خاطبَهم به النّبيُّ ﷺ، فعلِمُوا معنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

ومِثلُه في قولِه تعالَى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝١٣٨﴾ [الأعراف: ١٣٨]

ولا يستقيمُ أن يكونَ المعنَى: «اجعلْ لنا خالقًا كما لهم خالقونَ».

وكلُّ المرسَلينَ قالوا لأقوامِهم ما حكاه اللَّهُ عنهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥؛ هود: ٥٠، ٦١، ٨٤؛ المؤمنون: ٢٣، ٣٢]، فأمرُوهم بعبادةِ اللَّهِ وحدَه وبيّنُوا لهم أنّه لا معبودَ بحقٍّ غيرُه.

وأجابَ قومُ هُودٍ بما حكاه اللَّهُ عنهم: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، أي: هم فهِمُوا مِن لفظِ الإلهِ أنّه المعبودُ. وفي القرآنِ مِن هذا كثيرٌ.

١٥ - قال الطَّبَرِيُّ في معنَى الآيةِ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قَالَتْ عَادٌ لِهُودٍ: أَجِئْتَنَا تَتَوَعَّدُنَا بِالْعِقَابِ مِنَ اللَّهِ عَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ **كَيْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَدِينَ لَهُ بِالطَّاعَةِ خَالِصًا وَنَهْجُرَ عِبَادَةَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَهَا وَنَتَبَرَّأَ مِنْهَا؟** فَلَسْنَا فَاعِلِي ذَلِكَ وَلَا مُتَّبِعِيكَ عَلَى مَا تَدْعُونَا إِلَيْهِ، فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا مِنَ الْعِقَابِ وَالْعَذَابِ عَلَى تَرْكِنَا **إِخْلَاصَ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ، وَعِبَادَتِنَا مَا نَعْبُدُ مِنْ دُونِهِ** مِنَ الْأَوْثَانِ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ عَلَى مَا تَقُولُ وَتَعِدُ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

١٦ - وذَكَرَ الْبُخَارِيُّ في «خلقِ أفعالِ العبادِ»: «وَقَالَ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي: «كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟» قَالَ: سَبْعَةٌ، سِتَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدٌ فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَلِرَهْبَتِكَ؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «أَمَا إِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ يَنْفَعَانِكَ»، فَلَمَّا أَسْلَمَ الْحُصَيْنُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، قَالَ: «اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي»». [خَلقُ أفعالِ العِبادِ، لِلْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)][1]

---

[1] ورواه التِّرْمِذِيُّ وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وقال في «العِلَلِ الكبيرِ»: «سَأَلْتُ مُحَمَّدًا عَنْ هَذَا =

فسمَّى حُصَيْنٌ ما كان يعبدُه مِن دونِ اللَّهِ آلهةً، مع أنّه يَعُدُّ للرّغبةِ والرّهبةِ الذي في السّماءِ، فالإلهُ عندَه المعبودُ لا الخالقُ.

وفي هذا العصرِ قومٌ مِن أهلِ الجهلِ، أمثالُ إخوانِهم الذين مضَوا مِن قَبلِهم، يُنكِرونَ كونَ لفظِ الإلهِ بمعنَى المعبودِ، مستدِلِّينَ بأهوائِهم، يَقصدونَ مِن وراءِ ذلك إبطالَ حقيقةِ التّوحيدِ وإدخالَ جميعِ مَن تلفّظَ بلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ في الإسلامِ، مهما عَظُمَ شركُهم وطمَّ كفرُهم. وكلامُهم هذا خطأٌ ظاهرٌ، ولو نظرُوا في ما قاله أهلُ العِلمِ في القرونِ الأولَى وقبِلُوه، لعلِمُوا أنّهم بيّنُوا معنَى لفظِ الإلهِ كثيرًا في كلامِهم.

ومِن ذلك ما سيأتي مِن نقلِ أهلِ التّفسيرِ في عدّةِ مواضعَ مِن كلامِهم ممّا لا يَترُكُ شكًّا أنّهم قرّرُوا المعنَى كما ذُكِرَ فوقُ، وهو أنّ المشركينَ مِنَ العربِ كانوا يَعرفونَ أنّ اللَّهَ خالقُهم ورازقُهم ونحوُ ذلك. فالنّبيُّ ﷺ لم يأتِهم بشهادةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ليُعلِّمَهم ذلك، إذ قد علِمُوه مِن قبلُ.

وإنّما المرادُ أن يَترُكُوا شركَهم في العبادةِ والطّاعةِ. وليس معنَى ذلك أنّ مشركِي العربِ لم يقعُوا في الإشراكِ باللَّهِ في ربوبيّتِه، بل حصلَ ذلك مِن كثيرٍ مِنهم في جوانبَ مختلِفةٍ مِنَ الرّبوبيّةِ، كما بيّنَه اللَّهُ في القرآنِ في مواضعَ، ولكنّ هذا لا يُبطِلُ أنّ ما جاءَ به النّبيُّ ﷺ هو الأمرُ بعبادةِ اللَّهِ وحدَه والنّهيُ عن الشّركِ في العبادةِ، وهذا ما خفِيَ على مَن يُنكِرُ أنّ معنَى الإلهِ هو المعبودُ، هداهم اللَّهُ. وسيأتِي بعضُ ما نبّهتُ إليه مِن كلامِ السّلفِ فيما يلِي.

= الْحَدِيثِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ مُحَمَّدٌ: وَرَوَى مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ جُوَيْرِيَةَ بْنِ بَشِيرٍ، عَنِ الْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا». وقال ابْنُ الْمَدِينِيِّ: «الْحَسَنُ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ»، ومثلُه عن أَبِي حَاتِمٍ، ذكرَهما ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ في «المراسيلِ». ورواه الطَّبَرَانِيُّ في «الدّعاءِ»، وَالْبَزَّارُ في «المسندِ» وقال: «وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي إِسْنَادِهِ».

«فصل» (٣): أقوالُ السّلفِ في قولِه تعالَى ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ وهو أوّلُ نَهيٍ في القرآنِ، وقولِه: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ١٠٦﴾، وما في معناهما

قال اللَّهُ تعالَى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]

١٧ - **رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:** «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢٢] أَيْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ غَيْرَهُ مِنَ الأَنْدَادِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلا تَضُرُّ، **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَكُمْ يَرْزُقُكُمْ غَيْرُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الْحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ**». [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)]

فهذا الخبرُ وحدَه يكفِي في إبطالِ هذا الضّلالِ المذكورِ، ومِثلُه عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ:

١٨ - «عَنْ قَتَادَةَ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢٢] **أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، ثُمَّ أَنْتُمْ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا**». [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)، وبمِثلِه عند الطَّبَرِيِّ]

فالأمرُ بيّنَه السّلفُ وفيه الكفايةُ. ولا شكَّ عند مَن يَعقلُ أنّ السّلفَ إن بيّنُوا ذلك بمِثلِ هذا الوضوحِ فلا بُدَّ أن ينتقلَ المعنَى إلى مَن يأخذُ عنهم، ولتبيينِ هذا سأَذكرُ طرفًا مِن قولِ الطَّبَرِيِّ في هذا الأمرِ.

١٩ - **قال الطَّبَرِيُّ:** «فَكَأَنَّهُ قَالَ: اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الْخَالِقَكُمْ، وَالْخَالِقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، الْجَاعِلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا».

«فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمَا وَخَلَقَ جَمِيعَ مَا فِيهِمَا وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعَمِ هُوَ **الْمُسْتَحِقُّ عَلَيْهِمُ الطَّاعَةَ وَالْمُسْتَوْجِبُ مِنْهُمُ الشُّكْرَ وَالْعِبَادَةَ** دُونَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ ...»

«فَنَهَاهُمُ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ أَنْ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ، أَوْ يَتَّخِذُوا لَهُ نِدًّا أَوْ عِدْلًا فِي الطَّاعَةِ، **فَقَالَ: كَمَا لَا شَرِيكَ لِي فِي خَلْقِكُمْ وَفِي رِزْقِيَ الَّذِي أَرْزُقُكُمْ، وَمِلْكِي إِيَّاكُمْ، وَنِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُهَا عَلَيْكُمْ، فَكَذَلِكَ فَأَفْرِدُوا لِيَ الطَّاعَةَ، وَأَخْلِصُوا لِيَ الْعِبَادَةَ، وَلَا تَجْعَلُوا لِي شَرِيكًا وَنِدًّا مِنْ خَلْقِي، فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ عَلَيْكُمْ فَمِنِّي»**

«وَلَكِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ قَدْ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ عَنْهَا[1] **أَنَّهَا كَانَتْ تُقِرُّ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، غَيْرَ أَنَّهَا كَانَتْ تُشْرِكُ فِي عِبَادَتِهِ مَا كَانَتْ تُشْرِكُ فِيهَا،** فَقَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وَقَالَ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢] إِذْ كَانَ مَا كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنَ الْعِلْمِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَأَنَّهُ مُبْدِعُ الْخَلْقِ وَخَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ، نَظِيرَ الَّذِي كَانَ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ. وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَنَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ أَحَدَ الْحِزْبَيْنِ، بَلْ مَخْرَجُ الْخِطَابِ بِذَلِكَ عَامٌّ لِلنَّاسِ كَافَّةً، لِأَنَّهُ تَحَدَّى النَّاسَ كُلَّهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهُ

---

[1] أي: عن العربِ.

مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ، مِنْ **أَنَّهُ مَعْنِيٌّ بِذَلِكَ كُلُّ مُكَلَّفٍ عَالِمٍ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي خَلْقِهِ يُشْرِكُ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ،** كَائِنًا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ».

[تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

هذا كلامُه في آيةٍ واحدةٍ فحسبُ! ومع هذا يقولُ بعضُ النّاسِ غيرَ ذلك، وانظرْ إلى غفلتِهم عن كلِّ هذه النّصوصِ، وإن علِمُوا فانظرْ إلى تعالِيهم على الصّحابةِ الذين عرفُوا أحوالَ العربِ، إذ كانوا مِنهم وعاشُوا في زمانِهم، وشَهِدُوا التّنزيلَ وعرفُوا أسبابَه وفيمَ نزلَ! فهل يُظَنُّ أنّ أهلَ هذا العصرِ، مع بُعدِهم عن زمنِ التّنزيلِ وانتشارِ الجهلِ بينَهم، أدرَى مِنَ الصّحابةِ؟

٢٠ - ورَوَى الْبُخَارِيُّ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أنّه قال: «وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، **إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ،** وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ[1] لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، وبنحوِه عند مُسْلِمٍ]

٢١ - وقال ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «فَأَمَّا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهُمُ الَّذِينَ **شَهِدُوا الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ، وَعَرَفُوا التَّفْسِيرَ وَالتَّأْوِيلَ،** وَهُمُ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَنُصْرَتِهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ وَإِظْهَارِ حَقِّهِ ... فَفَقِهُوا فِي الدِّينِ، وَعَلِمُوا أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ وَمُرَادَهُ بِمُعَايَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمُشَاهَدَتِهِمْ مِنْهُ تَفْسِيرَ الْكِتَابِ وَتَأْوِيلَهُ».

[الجرحُ والتّعديلُ، لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)]

---

[1] أي: تُوصِلُني إليه، و«بَلَّغَ» يتعدّى إلى مفعولَين، تقولُ: «بَلَّغْتُه المكانَ»، وحُذِفَ هنا الأوّلُ، وهو مذكورٌ في روايةِ الْكُشْمِيهَنِيِّ: «تُبَلِّغُنِيهِ الْإِبِلُ». وضُبِطَ عند مُسْلِمٍ: «تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ»، أي: تَصِلُ إليه، والمعنَى واحدٌ.

وقد سبقَ في «المقدِّمةِ» قولُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ في أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا».

٢٢ - **ورَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:** «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] تَسْأَلُهُمْ: مَنْ خَلَقَهُمْ؟ وَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَيَقُولُونَ: اللَّهُ، **فَذَلِكَ إِيمَانُهُمْ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ**». [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)][(١)]

٢٣ - **وجاءَ في تفسيرِ مُجَاهِدٍ:** «عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] قَالَ: **إِيمَانُهُمْ قَوْلُهُمُ: اللَّهُ يَخْلُقُنَا وَيَرْزُقُنَا وَيُمِيتُنَا، وَهُوَ إِيمَانُ الْمُشْرِكِينَ**». [تفسيرُ مُجَاهِدٍ (ت ١٠٤هـ)]

٢٤ - **وعند عَبْدِ الرَّزَّاقِ:** «عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٦] قَالَ: لَا يُسْأَلُ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: مَنْ رَبُّكَ؟ **إِلَّا قَالَ: اللَّهُ، وَهُوَ يُشْرِكُ فِي ذَلِكَ**». [تفسيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (ت ٢١١هـ)]

٢٥ - **وقال مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**[(٢)]: «قَوْلُهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٧] **يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ: كُفَّارَهُمْ** ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ: خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، نَزَلَتْ فِي آخِرِهَا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾

---

(١) ونحوُه عن عِكْرِمَةَ، ذكرَه الْبُخَارِيُّ في «صحيحِه» في «كتابِ التّوحيدِ»: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾»، ورواه في «خلقِ أفعالِ العبادِ»: «يَسْأَلُهُمْ: مَنْ خَلَقَهُمْ؟ وَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَيَقُولُونَ: اللَّهُ، فَذَلِكَ إِيمَانُهُمْ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ غَيْرَهُ».

(٢) هو أَبُو الْحَسَنِ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْبَلْخِيُّ، تُوُفِّيَ سنةَ ١٥٠هـ، وهو مِن أقدمِ المفسِّرينَ الذين بقِيَ تفسيرُهم مكتوبًا إلى اليومِ، بل هو أوّلُ مَن وصلَ إلينا مِنه تفسيرٌ كاملٌ للقرآنِ.

فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَقَالُوا: اللَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَهُوَ خَلَقَنَا.

وقد كثُرَ الكلامُ في مُقَاتِلٍ نفسِه، فطَعنَ فيه بعضُهم طعنًا شديدًا ونسبُوه إلى ضلالٍ عظيمٍ في الاعتقادِ، وهو التّشبيهُ، ونفَى هو ذلك عن نفسِه، وقال ابْنُ تَيْمِيَّةَ في «منهاجِ السّنّةِ» بعدَ ما نقلَه الْأَشْعَرِيُّ في مُقَاتِلٍ: «وَأَمَّا مُقَاتِلٌ فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ حَالِهِ، وَالْأَشْعَرِيُّ يَنْقُلُ هَذِهِ الْمَقَالَاتِ مِنْ كُتُبِ الْمُعْتَزِلَةِ، وَفِيهِمُ انْحِرَافٌ عَلَى مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ، فَلَعَلَّهُمْ زَادُوا فِي النَّقْلِ عَنْهُ ... أَوْ نَقَلُوا عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ، وَإِلَّا فَمَا أَظُنُّهُ يَصِلُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ». وضعّفَه عامّةُ أهلِ الحديثِ في الرّوايةِ.

ومع ذلك كلِّه شَهِدَ له كثيرٌ مِن أهلِ العِلمِ بسَعةِ العِلمِ بالتّفسيرِ والإمامةِ فيه، وأَثنَى عددٌ مِن أئمّةِ السّلفِ على ما في تفسيرِه، ورأَى بعضُهم تَرْكَه الأسانيدَ نقصًا، كما رَوَى الْخَطِيبُ في «تاريخِ بَغْدَادَ» عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أنّه نَظرَ في جزءٍ مِن تفسيرِه فقال: «يَا لَهُ مِنْ عِلْمٍ لَوْ كَانَ لَهُ إِسْنَادٌ».

ورَوَى ابْنُ عَدِيٍّ الْجُرْجَانِيُّ في «الكاملِ في ضعفاءِ الرّجالِ» عن نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ قال: «رَأَيْتُ عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ كِتَابًا لِمُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ، فَقُلْتُ لِسُفْيَانَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، تَرْوِي لِمُقَاتِلٍ فِي التَّفْسِيرِ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْتَدِلُّ بِهِ وَأَسْتَعِينُ بِهِ».

ورَوَى أيضًا عن الْعَبَّاسِ بْنِ مُصْعَبٍ الْمَرْوَزِيِّ أنّه قال فيه: «وَكَانَ حَافِظًا لِلتَّفْسِيرِ، وَكَانَ لَا يَضْبِطُ الإِسْنَادَ». فعِلمُه بالتّفسيرِ مشهودٌ له عند أهلِ العِلمِ كما تقدَّمَ، وهو مِن أمثلةِ مَن لم يُحسِنْ عِلمَ الإسنادِ مِنَ المتقدّمينَ مع تقدُّمِه في التّفسيرِ.

فإذا نُقِلَ في هذا الكتابِ شيءٌ يسيرٌ مِن كلامِ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ فليس المقصودُ روايةَ الحديثِ عنه، وإنّما المقصودُ بيانُ أنّ ما في هذا الكتابِ يوافقُ أقدمَ ما دُوِّنَ في التّفسيرِ تمامَ الموافقةِ ولا يخالفُه بوجهٍ، وأنّ ما نُقِلَ عنه مِن ذلك يوافقُ ما رُوِيَ عن غيرِه مِنَ السّلفِ، وكان مِنَ العلماءِ مَن يستدلُّ بتفسيرِه ويستعينُ به، كما تقدَّمَ عن ابْنِ عُيَيْنَةَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ يَقُولُ: مِنْ أَيْنَ يُكَذِّبُونَ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، **وَأَنْتُمْ مُقِرُّونَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَخَلَقَكُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُ أَحَدٌ فِي مُلْكِهِ فِيمَا خَلَقَ؟ فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؟»** [تفسيرُ مُقَاتِلٍ (ت ١٥٠هـ)]

«فصل» (٤): قولُ اللَّهِ تعالَى ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾

قال تعالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: ١١٧]

٢٦ - ورَوَى يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ: «وَكَانَ قَتَادَةُ يَقُولُ: لَا بَيِّنَةَ لَهُ بِهِ بِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ **أَنْ يَعْبُدَ إِلَهًا مِنْ دُونِهِ»**. [تفسيرُ يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ (ت ٢٠٠هـ)]

٢٧ - وقال الطَّبَرِيُّ هنا: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَنْ يَدْعُ **مَعَ الْمَعْبُودِ الَّذِي لَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ مَعْبُودًا آخَرَ،** لَا حُجَّةَ لَهُ بِمَا يَقُولُ وَيَعْمَلُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا بَيِّنَةَ».
[تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

«فصل» (٥): قولُه تعالَى ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾

قال تعالَى في سورةِ الزّمرِ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ١-٣]

أَرادتِ العربُ الشّفاعةَ مِن أوثانِهم، فتقرّبُوا إليها بالذّبحِ والدّعاءِ والمحبّةِ والخوفِ، وهذا عبادةٌ لها، فكان منافِيًا لإخلاصِ العبادةِ للَّهِ تعالَى، ولهذا كانوا مشركينَ.

ومِن أهلِ الجهلِ في هذا الزّمانِ مَن يتلاعبُ بهذه الآيةِ على فهمِه هو، فيزعمونَ أنّها مقصورةٌ على الشّركِ في الرّبوبيّةِ، وأنّ الشّركَ المذكورَ فيها إنّما هو في الاعتقادِ، فلا تكونُ العبادةُ عندهم شركًا إلّا إذا اقترنَ بها اعتقادُ الاستقلالِ في المعبودِ، على عادةِ مَن ضلَّ عن التّفسيرِ المأثورِ عن السّلفِ، ولكنّ السّلفَ أعلمُ مِنهم بلا شكٍّ[1].

> **٢٨ - وقال الطَّبَرِيُّ في الآيةِ:** «عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] قَالَ: **قُرَيْشٌ تَقُولُهُ لِلْأَوْثَانِ**، وَمَنْ قَبْلَهُمْ يَقُولُهُ لِلْمَلَائِكَةِ وَلِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَلِعُزَيْرٍ»
>
> «عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] قَالُوا: مَا نَعْبُدُ هَؤُلَاءِ إِلَّا لِيَشْفَعُوا **لَنَا عِنْدَ اللَّهِ**»
>
> «عَنِ السُّدِّيِّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] قَالَ: **هِيَ مَنْزِلَةٌ**»
>
> «قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] قَالَ: **قَالُوا هُمْ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، وَهُمُ الَّذِينَ يُقَرِّبُونَنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ** لِلْأَوْثَانِ، وَالزُّلْفَى: الْقُرْبُ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

فلو قال رجلٌ واحدٌ مِن هؤلاء المفسِّرينَ مِنَ السّلفِ هذا القولَ ما شكَّ عاقلٌ أنّه أعلمُ بشركِ العربِ وحقيقةِ حالِهم لقربِه مِنهم في الزّمنِ واطّلاعِه على أخبارِهم. فكيف إذا رُوِيَ هذا عن جماهيرِهم؟ أَوَ بعدَ كلِّ هذا نلتفتُ إلى أيِّ فيلسوفٍ كبيرٍ يَخرجُ في

---

[1] انظرِ الفصلَ (٧) «مَن يقولُ إنّ العبادةَ لا تكونُ شركًا حتّى يُشرِكَ في الرّبوبيّةِ» في آخرِ هذا البابِ.

هذه الأزمنةِ المتأخّرةِ التي يَغرَقُ النّاسُ فيها في الجهلِ والضّلالِ؟ فأين يُذهَبُ بهم عن أقوالِ السّلفِ؟

٢٩ - وقال الطَّبَرِيُّ في معنَى الآيةِ: «وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٣] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْأَحْزَابِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا فِي الدُّنْيَا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ **فِي الدُّنْيَا مِنْ عِبَادَتِهِمْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ فِيهَا، بِأَنْ يُصْلِيَهِمْ جَمِيعًا جَهَنَّمَ، إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ الدِّينَ لِلَّهِ، فَوَحَّدَهُ، وَلَمْ يُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

«فصل» (٦): التّنبيهُ إلى الأصلِ المهمِّ في الشّرعِ واللّغةِ أنّ الشّيءَ يُسمَّى بأهمِّ ما فيه

قد تبيّنَ أنّ الإسلامَ هو الاستسلامُ للّهِ تعالَى وإخلاصُ العبادةِ له، وستأتِي نصوصٌ كثيرةٌ تُثبِتُ هذا وتُرسِّخُه. وعلى نحوِه ستأتِي تسميةُ الإسلامِ بالحنيفيّةِ وغيرِ ذلك مِنَ العباراتِ. فيَحسُنُ هنا تقديمُ أصلٍ مهمٍّ يُبيِّنُ أنّ الشّيءَ في الشّرعِ وفي لغةِ العربِ يُسمَّى ويُوصَفُ بأهمِّ أجزائِه وأعظمِ ما فيه. وكثيرًا ما يَحصلُ ذلك بألفاظٍ متعدِّدةٍ تَرجعُ إلى أصلٍ واحدٍ في المعنَى، وهذه العباراتُ والألفاظُ عندئذٍ متداخِلةٌ في المعنَى يشدُّ بعضُها بعضًا. ومثالُ ذلك:

٣٠ - رَوَى التِّرْمِذِيُّ: «عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ، أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِعَرَفَةَ فَسَأَلُوهُ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا، فَنَادَى: «الحَجُّ عَرَفَةُ ...»»

[سننُ التِّرْمِذِيِّ (ت ٢٧٩هـ)، وبنحوِه عند أَحْمَدَ وَأَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَه وَالنَّسَائِيِّ][(١)]

---

(١) قال سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «وَهَذَا أَجْوَدُ حَدِيثٍ رَوَاهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ»، وقال وَكِيعٌ: «هَذَا الحَدِيثُ =

ومعناه أنّ الوقوفَ بعَرَفَةَ هو الرّكنُ الأعظمُ في الحجِّ ومَن فاتَه الوقوفُ فاتَه الحجُّ.

٣١ - وقال التِّرْمِذِيُّ بعدَ الحديثِ: «وَالعَمَلُ عَلَى حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُ مَنْ لَمْ يَقِفْ بِعَرَفَاتٍ قَبْلَ طُلُوعِ الفَجْرِ فَقَدْ فَاتَهُ الحَجُّ». [سننُ التِّرْمِذِيِّ (ت ٢٧٩هـ)]

٣٢ - وعند مُسْلِمٍ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤]، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»». [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

سمَّى اللَّهُ تعالَى هنا الفاتحةَ بالصّلاةِ لمّا قال «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ» ثمّ بيّنَ كيف قِسمةُ سورةِ الفاتحةِ في الصّلاةِ، ذلك لأنّها أعظمُ ركنٍ في الصّلاةِ.

وسمَّى اللَّهُ الصّلاةَ إيمانًا في قولِه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣]، لأنّها أعظمُ عملٍ في الإيمانِ بعدَ أساسِه الذي هو التّوحيدُ

= أُمُّ المَنَاسِكِ»، رواهما التِّرْمِذِيُّ بعدَ الحديثِ.

والإخلاصُ، واستدلَّ بها أئمّةُ السّنّةِ على أنّ الأعمالَ مِنَ الإيمانِ، إذ سُمِّيَتِ الصّلاةُ إيمانًا وهي عملٌ.

٣٣ - قال أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ: «﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣]، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ تُوُفُّوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ عَلَى الصَّلَاةِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. فَأَيُّ شَاهِدٍ يُلْتَمَسُ عَلَى أَنَّ الصَّلَاةَ مِنَ الْإِيمَانِ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ؟»

[كتابُ الإيمانِ، لِأَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ (ت ٢٢٤هـ)]

٣٤ - وترجمَ الْبُخَارِيُّ في «صحيحِه»: «بَابٌ: **الصَّلَاةُ مِنَ الْإِيمَانِ**، وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] يَعْنِي: صَلَاتَكُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ»، **ورَوَى فيه عن الْبَرَاءِ:** «... أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)]

هذه أمثلةٌ يَذكرُها أهلُ العِلمِ في هذا المقامِ.

فالشّيءُ يُسمَّى بأهمِّ أجزائِه كما ظهرَ مِنَ الأمثلةِ المذكورةِ، وهو في تسميةِ الإسلامِ أوضحُ. وعلى وَفْقِ ما قِيلَ هنا جاء بيانُ معنَى الإسلامِ في نصوصِ الشّرعِ بأنّه الإخلاصُ، وإخلاصُ العبادةِ والطّاعةِ للَّهِ، وإخلاصُ الدِّينِ للَّهِ، وإسلامُ الوجهِ للَّهِ تعالَى، والحنيفيّةُ، والإيمانُ باللَّهِ والكفرُ بالطّاغوتِ، وتوحيدُ العبادةِ، وعبادةُ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له، وملّةُ إِبْرَاهِيمَ.

فكلُّ هذا يدلُّ على أهمِّ معنًى في الإسلامِ وعلى الأساسِ الذي بُنِيَ عليه، والعباراتُ متداخِلةٌ كلُّ عبارةٍ تدلُّ على هذا المعنَى مِن جانبٍ. وهذه طريقةُ النّبيِّ ﷺ والصّحابةِ ﷺ وأئمّةِ السّلفِ مِن بعدِهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ في تقريرِ أمورِ الدِّينِ.

«فصل» (٧): مَن يقولُ إنّ العبادةَ لا تكونُ شركًا حتّى يُشرِكَ في الرّبوبيّةِ

ومِنَ النّاسِ مَن يَصرِفُ الشّهادةَ عن معناها، إذ يقولُ إنّ العبادةَ عندما تُذكَرُ في الكتابِ والسّنّةِ ليستْ مقصودةً لذاتِها، فمَن عَبدَ غيرَ اللَّهِ عبادةً ظاهرةً ليس فعلُه شركًا باللَّهِ حتّى يكونَ مقرونًا بالإشراكِ في الرّبوبيّةِ، على قولِ أولئك القومِ.

فالعجبُ بعدَ هذا البيانِ مِن قولِهم، إذ كيف يدّعِي عاقلٌ أنّ اللَّهَ أَرادَ شيئًا ثمّ سمّاه بما ليس مهمًّا فيه وبما لا تأثيرَ له في نفسِ الأمرِ؟!

فأوّلُ أمرٍ في كتابِ اللَّهِ هو الأمرُ بالعبادةِ، قال تعالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، ويأتِي هؤلاء القومُ موهِمينَ أنّ اللَّهَ إنّما أَرادَ بذلك: «لا تُشرِكُوا باللَّهِ صاحبةً ولا ولدًا».

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠]، فمعناه على هذا القولِ المنحرفِ مثلًا: «ما تَنسُبونَ إلى اللَّهِ الولدَ ونحوَه إلّا تسميةً لا حقيقةَ لها، وأمَرَ اللَّهُ ألّا تَنسُبُوا له الولدَ ونحوَه».

ومِثلُ ذلك في قولِه تعالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس: ١٨]

وفي سورةِ الزّمرِ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١١-١٥]

وكيف يقولُ المسلمُ في كلِّ ركعةٍ مِن صلاتِه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ويُكرِّرُ ذلك في اليومِ والليلةِ سبعَ عشرةَ مرّةً على الأقلِّ، إن لم تكنِ العبادةُ هي المقصودَ؟

٣٥ - وقال النّبيُّ ﷺ في روايةٍ لحديثِ الْبُخَارِيِّ الذي سبقَ في أوّلِ الكتابِ برقمِ (٥): «الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

فيَلزمُ أن يكونَ معناه عند هؤلاء: «الإسلامُ ألّا تَنسُبَ إلى اللَّهِ الولدَ ونحوَه وتَجعلَه واحدًا في الخلقِ والرَّزقِ ونحوِهما».

والمواضعُ التي فيها ذِكرُ الأمرِ بعبادةِ اللَّهِ وحدَه والنّهيِ عن الشّركِ فيها لا تنحصرُ عددًا كما يَعلمُ ضرورةً كلُّ مَن نظرَ في نصوصِ هذا الدِّينِ، وعلى قولِ هؤلاء سمَّى اللَّهُ تعالَى في كلِّ هذه المواضعِ العبادةَ، مع كونِها لا تُؤثِّرُ في حقيقةِ الأمرِ شيئًا! فمَن عَبدَ غيرَ اللَّهِ يكونُ مسلمًا مخلِصًا للَّهِ تعالَى عندهم، ما لم ينضمَّ إلى فعلِه شيءٌ مِن اعتقادِ الولدِ الذي يتصرّفُ في الكونِ مستقلًّا عن اللَّهِ تعالَى ونحوِه. ولذلك تراهم كثيرًا يشترطونَ استقلالَ المعبودِ في القدرةِ عن قدرةِ اللَّهِ تعالَى، فليس العابدُ عندهم مشركًا حتّى يعتقدَ في معبودِه الاستقلالَ عن اللَّهِ تعالَى، بل يُنكِرونَ كونَه عابدًا أصلًا، فيقولُ مَن بلغَ مبلغَه مِنَ الكِبْرِ مِنهم إنّه لا يُسمَّى عابدًا أصلًا حتّى يعتقدَ استقلالَ المعبودِ.

كلُّ هذا مع دوَرانِ هذا الدِّينِ ونصوصِه على لفظِ العبادةِ والنّهيِ عن الإشراكِ فيها.

«باب» (٤): مكانةُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» في دِينِ الإسلامِ

«فصل» (١): في عِظَمِ شأنِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»

قال اللَّهُ تعالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]

٣٦ - رَوَى التِّرْمِذِيُّ: «... سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ». [سننُ التِّرْمِذِيِّ (ت ٢٧٩هـ)][1]

٣٧ - ورَوَى أَحْمَدُ أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً[2]، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)، وبنحوِه عند الْبُخَارِيِّ في الأدبِ المفرَدِ]

٣٨ - وبوّبَ له النَّسَائِيُّ: «ذِكْرُ خَبَرِ أَبِي سَعِيدٍ فِي فَضْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، **ورَوَى فيه:** «عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا،

---

[1] قال التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مُوسَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ»، ورواه ابْنُ مَاجَه، وَالنَّسَائِيُّ في «السّنن الكبرى» وفي «عملِ اليومِ واللّيلةِ»، وَالْحَاكِمُ وقال: «صَحِيحُ الْإِسْنَادِ».

[2] «مُبْهَمَةً»: مُغلَقةً لا فُرجةَ فيها، قال الْخَلِيلُ في «العَيْنِ»: «وَبَابٌ مُبْهَمٌ: لَا يُهْتَدَى لِفَتْحِهِ».

قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تَخُصُّنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ[١]، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»». [السّننُ الكُبرى، لِلنَّسَائِيِّ (ت ٣٠٣هـ)][٢]

٣٩ - ورَوَى اللَّالَكَائِيُّ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ اللَّهُ لَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ[٣] أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ»». [شرحُ أصولِ اعتقادِ أهلِ السّنَّةِ، لِلَّالَكَائِيِّ (ت ٤١٨هـ)][٤]

---

[١] وأكثرُهم يضبطونَها «كِفَّة» بكسرِ الكافِ، وهما لغتانِ.

[٢] ورواه النَّسَائِيُّ أيضًا في «عملِ اليومِ واللّيلةِ»، وَالطَّبَرَانِيُّ في «الدّعاءِ»، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ في «المصنَّفِ». وصحّحَه الْحَاكِمُ، وفي إسنادِه دَرَّاجٌ عن أَبِي الْهَيْثَمِ، وثّقَه ابْنُ مَعِينٍ في «تاريخِه»، وقال أَحْمَدُ: «أَحَادِيثُ دَرَّاجٍ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ فِيهَا ضَعْفٌ»، كما في «الكاملِ» لِابْنِ عَدِيٍّ.

[٣] قال شيخُ ابْنِ مَاجَه فيه مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهْلِيُّ: «الْبِطَاقَةُ: الرُّقْعَةُ، وَأَهْلُ مِصْرَ يَقُولُونَ لِلرُّقْعَةِ: بِطَاقَةٌ»، ذكرَه ابْنُ مَاجَه بعدَ الحديثِ.

[٤] ورواه ابْنُ الْمُبَارَكِ في «الزّهدِ»، وَأَحْمَدُ في «المسندِ»، وَابْنُ مَاجَه، وَالتِّرْمِذِيُّ وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وَالْحَاكِمُ وقال: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ». وأوّلُه عند أَحْمَدَ وَالْحَاكِمِ: «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ»، وعند التِّرْمِذِيِّ: «سَيُخَلِّصُ»، وعند ابْنِ الْمُبَارَكِ: «يَسْتَخِصُّ».

٤٠ - **ورواه أيضًا الْآجُرِّيُّ فقال:** «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرَجُلٍ إِلَى الْمِيزَانِ، وَيُؤْتَى بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ، فِيهَا خَطَايَاهُ وَذُنُوبُهُ، فَتُوضَعُ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، ثُمَّ يُخْرَجُ بِطَاقَةٌ بِقَدْرِ أُنْمُلَةٍ فِيهَا: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَتُوضَعُ فِي الْكِفَّةِ الْأُخْرَى، فَتَرْجَحُ بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ»». [الشّريعةُ، لِلْآجُرِّيِّ (ت ٣٦٠هـ)]

وحديثُ البطاقةِ هذا قد أساءَ فهمَه بعضُ مَن ضلَّ الطّريقَ، وقد تقدّمَ أنّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ معناها التّوحيدُ عِلمًا وعملًا، وبذلك يُعلَمُ أنّ مَن جعلَها عند الكلامِ على هذا الحديثِ لفظًا مجرَّدًا، وجرّدَها مِن شروطِ العِلمِ واليقينِ والقصدِ ومِنَ العملِ بمقتضَاها، وتوهَّمَ أنّها تُفيدُ قائلَها مع تلبُّسِه بالشّركِ الأكبرِ وبما يَنقُضُها مِن أصلِها، فقد وقعَ بذلك في أعظمِ تحريفٍ لأساسِ الملّةِ. وما تجدُه في هذا الكتابِ يدورُ على هذا الأمرِ كلِّه ويَزيدُ المذكورَ هاهنا بيانًا شيئًا بعدَ شيءٍ، فاذكرْ هذا الحديثَ عند قراءةِ ما يأتِي.

٤١ - **ورَوَى أَبُو نُعَيْمٍ:** «... سَمِعْنَا سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ عَرَّفَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ كَالْمَاءِ فِي الدُّنْيَا».

«قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: يُقَالُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ فِي الدُّنْيَا، لَا يَحْيَا شَيْءٌ فِي الدُّنْيَا إِلَّا عَلَى الْمَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ فِي الدُّنْيَا، مَنْ لَمْ تَكُنْ مَعَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ مَيِّتٌ، وَمَنْ كَانَتْ مَعَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ حَيٌّ».
[حِلْيَةُ الأولياءِ، لِأَبِي نُعَيْمٍ (ت ٤٣٠هـ)]

«فصل» (٢): في أنّ الإسلامَ هو توحيدُ العبادةِ وأنّه رأسُ الأمرِ كلِّه

٤٢ - رَوَى أَحْمَدُ: «عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، **تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ»

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦]، حَتَّى بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة: ١٧]

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ[١] سَنَامِهِ؟» فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ** وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ»

ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ[٢] ذَلِكَ كُلِّهِ؟» فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ[٣]؟»» [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)]

٤٣ - وعند التِّرْمِذِيِّ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ؟» [سننُ التِّرْمِذِيِّ (ت ٢٧٩هـ)][٤]

---

[١] وأكثرُهم يضبطونَه «ذِرْوَة» بكسرِ الذّالِ، وهما لغتانِ.

[٢] قال الخَلِيلُ في «العَيْنِ»: «وَمِلَاكُ الْأَمْرِ: مَا يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ».

[٣] قال أَبُو عُبَيْدٍ في «غريبِ الحديثِ»: «الْحَصَائِدُ: مَا قَالَهُ اللِّسَانُ وَقَطَعَ بِهِ عَلَى النَّاسِ».

[٤] قال التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

«فصل» (٣): في أنّ الإسلامَ أعلَى شُعَبِ الإيمانِ ولا تَنفعُ الشُّعَبُ الأخرَى إلّا بهذه الشُّعبةِ

٤٤ - رَوَى مُسْلِمٌ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»». [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)، متّفقٌ عليه]

وعند أَحْمَدَ: «وَأَرْفَعُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[١]، **وعند ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ:** «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ بَابًا، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا أَعْظَمُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[٢]، **وعند الطَّبَرَانِيِّ:** «أَعْلَاهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[٣]، **وعند الْخَلَّالِ:** «أَوَّلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[٤]، **وعند أَبِي نُعَيْمٍ:** «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ خَصْلَةً أَكْبَرُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَصْغَرُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»[٥].

فلا يَبقَى ريبٌ أنّ دِينَ الإسلامِ كلَّه ينبني على لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وتوحيدِ العبادةِ وأنّ ذلك رأسُ الإسلامِ وأفضلُه وأوّلُه وأرفعُه وأعلاه، وأنّ أهلَ الإسلامِ في القرونِ الأولَى على ذلك قاطبةً لا يختلفُ فيه اثنانِ مِنهم.

---

(١) أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ في «المسندِ»، ومعه التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه وغيرُهما في «السّنَنِ».

(٢) ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ في «المصنَّفِ».

(٣) الطَّبَرَانِيُّ في «الدّعاءِ»، ومعه مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ في «تعظيمِ قَدْرِ الصّلاةِ» وغيرُهما.

(٤) الْخَلَّالُ في «السّنَّةِ»، ومعه ابْنُ مَنْدَه في «الإيمانِ» وَاللَّالَكَائِيُّ في «شرحِ أصولِ اعتقادِ أهلِ السّنّةِ والجماعةِ» وَأَبُو نُعَيْمٍ في «الحليةِ».

(٥) أَبُو نُعَيْمٍ في «الحليةِ» أيضًا.

فمَن أَشركَ باللَّهِ الشّركَ الأكبرَ في العبادةِ أو الطّاعةِ لا يُمكِنُ أن يكونَ ممّن حقّقَ الإسلامَ البتّةَ، مَهما أتَى به مِنَ الشُّعَبِ الأخرَى مِن صلاةٍ وزكاةٍ وحجٍّ وإطعامِ الطّعامِ والإحسانِ إلى اليتامَى وغيرِ ذلك. ومَن وُجِدَتْ مِنه أعلَى شُعبةٍ في الظّاهرِ مع خُلُوِّ قلبِه مِنها فهو منافقٌ خالصٌ، يَثبُتُ له حكمُ الإسلامِ ما لم يَظهَرْ ويَثبُتْ مِنه الكفرُ الصّريحُ.

«فصل» (٤): في أنّ للشّهادةِ شروطًا

٤٥ - قال الْبُخَارِيُّ: «بَابٌ فِي الجَنَائِزِ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَقِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ»».

[صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)]

٤٦ - رَوَى الْبَزَّارُ: «عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَشَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ». [مسندُ الْبَزَّارِ (ت ٢٩٢هـ)، وبنحوِه عند أَحْمَدَ][1]

أي: إذا أُتِيَ بها على شروطِها، وهذا معلومٌ عند المسلمينَ، وقد مرَّ قولُ وَهْبٍ في ذلك، ومِثلُه قولُ الْحَسَنِ:

٤٧ - ورَوَى أَبُو الْقَاسِمِ الْأَصْبَهَانِيُّ: «عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عُمَيْرَةَ قَالَ: قِيلَ لِلْحَسَنِ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ. قَالَ: مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَدَّى حَقَّهَا وَفَرْضَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ». [الحُجَّةُ في بَيانِ المَحَجَّةِ، لِأَبِي الْقَاسِمِ الْأَصْبَهَانِيِّ (ت ٥٣٥هـ)]

---

[1] إسنادُه منقطعٌ كما ذكرَ الْبَزَّارُ، ومعناه صحيحٌ لا شكَّ فيه.

«باب» (٥): بيانُ أصلِ لفظِ الإسلامِ في اللّغةِ ووُرودُه في القرآنِ

«فصل» (١): معنَى «سَلِمَ» الذي هو أصلُ لفظِ الإسلامِ في اللّغةِ

الإسلامُ مصدرُ[١] الفعلِ أَسْلَمَ. وهذا الفعلُ مأخوذٌ[٢] مِن «سَلِمَ».

يتلخّصُ ما يُذكَرُ في المعاجمِ[٣] في معنَى «سَلِمَ» كما يلِي:

- سَلِمَ مِنَ الآفاتِ والعيوبِ يَسْلَمُ سَلامًا وسَلامَةً، أي: بَرِئَ.
- والسَّلامُ والسَّلامَةُ: البَراءَةُ، والسَّلامُ في الأصلِ: السَّلامةُ، ومِنه قِيلَ للجنّةِ دارُ السَّلامِ، لأنّها دارُ السَّلامةِ مِنَ الآفاتِ.
- سَلِمَ له كذا، أي: خَلَصَ، فهو سَالِمٌ وسَلِيمٌ.

---

[١] يقولُ النّحويّونَ: المصدرُ هو اسمٌ فيه معنَى الفعلِ مع عدمِ دلالتِه على زمنٍ معيَّنٍ، كما قال ابْنُ السَّرَّاجِ في «الأصولِ في النّحوِ»: «الْمَصْدَرُ لَا دَلِيلَ فِيهِ عَلَى زَمَانٍ بِعَيْنِهِ».

[٢] أي: مشتقٌّ منه، ولا يَعنينا هنا خلافُ البصريّينَ والكوفيّينَ في أصلِ الاشتقاقِ: أهو المصدرُ أم الفعلُ؟ وانظرْ «الإيضاحَ في عللِ النّحوِ» لِلزَّجَّاجِيِّ، بابَ «القولِ في الفعلِ والمصدرِ أيُّهما مأخوذٌ مِن صاحبِه».

[٣] قال الْخَلِيلُ في «العَيْنِ»: «وَرَجُلٌ سَلِيمٌ، أَيْ: سَالِمٌ، وَقَدْ سَلِمَ سَلَامَةً ... وَالسَّلَامُ يَكُونُ بِمَعْنَى السَّلَامَةِ»، وقال ابْنُ سِيدَهْ في «المحكَمِ»: «السَّلَامُ وَالسَّلَامَةُ: الْبَرَاءَةُ»، وقال الزَّجَّاجُ في «معاني القرآنِ وإعرابِه»: «وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ سُمِّيَتِ الْجَنَّةُ دَارَ السَّلَامِ لِأَنَّهَا دَارُ السَّلَامَةِ الدَّائِمَةِ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ»، وقال الْأَزْهَرِيُّ في «تهذيبِ اللّغةِ»: «يُقَالُ: سَلِمَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ، أَيْ: خَلَصَ لَهُ»، وانظرْ مادّةَ «سلم» في «لسانِ العربِ».

«فصل» (٢): استعمالُ «سَلِمَ» في القرآنِ في قولِه تعالَى ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ ومَثَلُ المسلمِ والمشركِ

وردَ في القرآنِ «سَلَمٌ» الذي هو مصدرُ «سَلِمَ». قال تعالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩]

٤٨ - وقال الطَّبَرِيُّ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مَثَّلَ اللَّهُ مَثَلًا لِلْكَافِرِ بِاللَّهِ الَّذِي يَعْبُدُ آلِهَةً شَتَّى، وَيُطِيعُ جَمَاعَةً مِنَ الشَّيَاطِينِ، **وَالْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ الْوَاحِدَ،**

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩] لِهَذَا الْكَافِرِ ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ يَقُولُ: هُوَ بَيْنَ جَمَاعَةٍ مَالِكِينَ مُتَشَاكِسِينَ، يَعْنِي **مُخْتَلِفِينَ** مُتَنَازِعِينَ، سَيِّئَةً أَخْلَاقُهُمْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: رَجُلٌ شَكِسٌ: إِذَا كَانَ سَيِّئَ الْخُلُقِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَسْتَخْدِمُهُ بِقَدْرِ نَصِيبِهِ وَمُلْكِهِ فِيهِ،

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾، يَقُولُ: **وَرَجُلًا خُلُوصًا لِرَجُلٍ يَعْنِي الْمُؤْمِنَ الْمُوَحِّدَ الَّذِي أَخْلَصَ عِبَادَتَهُ لِلَّهِ، لَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ وَلَا يَدِينُ لِشَيْءٍ سِوَاهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ،**

وَاخْتَلَفَتِ الْقَرَأَةُ فِي قِرَاءَةِ قَوْلِهِ: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ فَقَرَأَ ذَلِكَ بَعْضُ قَرَأَةِ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْبَصْرَةِ: ﴿وَرَجُلًا سَلِمًا لِّرَجُلٍ﴾[1] وَتَأَوَّلُوهُ بِمَعْنَى: **رَجُلًا خَالِصًا لِرَجُلٍ،** وَقَدْ رُوِيَ ذَلِكَ أَيْضًا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ... أَنَّهُ قَرَأَهَا: ﴿سَلِمًا لِّرَجُلٍ﴾ يَعْنِي بِالْأَلِفِ، وَقَالَ: لَيْسَ

---

[1] قال ابْنُ مُجَاهِدٍ (ت ٣٢٤هـ) في «السّبعة»: «قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو ﴿سَلِمًا﴾ بِأَلِفٍ وَلَامٍ مَكْسُورَةٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿سَلَمًا﴾ بِغَيْرِ أَلِفٍ وَلَامٍ مَفْتُوحَةٍ»، والآيةُ هنا على رسمِ مُصحَفِ الدُّورِيِّ عن أَبِي عَمْرٍو وضَبطِه.

فِيهِ لِأَحَدٍ شَيْءٌ، وَقَرَأَ ذَلِكَ عَامَّةُ قَرَأَةِ الْمَدِينَةِ وَالْكُوفَةِ: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ بِمَعْنَى: صُلْحًا، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا أَنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مَعْرُوفَتَانِ، قَدْ قَرَأَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُلَمَاءُ مِنَ الْقَرَأَةِ، مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَى، فَبِأَيَّتِهِمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَهُوَ مُصِيبٌ، وَذَلِكَ أَنَّ السَّلَمَ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: سَلِمَ فُلَانٌ لِلَّهِ سَلَمًا بِمَعْنَى: **خَلَصَ لَهُ خُلُوصًا**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

وقد صرّحَ الطَّبَرِيُّ هنا بأنّ الرّجلَ الثّانيَ في المثَلِ هو المؤمنُ الموحِّدُ الذي أخلصَ عبادتَه للَّهِ، فهو المسلمُ الذي طهّرَ جميعَ أعمالِه مِنَ الشّركِ، ليس له إلهٌ آخرُ ولا شريكٌ.

وهذا المعنى ظاهرٌ عند أهلِ اللّغةِ.

٤٩ - قال الْفَرَّاءُ: «هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ، فَجَعَلَ الَّذِي فِيهِ شُرَكَاءُ الَّذِي يَعْبُدُ الْآلِهَةَ الْمُخْتَلِفَةَ، وَقَوْلُهُ: ﴿رَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩] **هُوَ الْمُؤْمِنُ الْمُوَحِّدُ**».

[معاني القرآنِ، لِلْفَرَّاءِ (ت ٢٠٧هـ)]

٥٠ - وقال الزَّجَّاجُ: «وَتَفْسِيرُ هَذَا الْمَثَلِ أَنَّهُ ضُرِبَ لِمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ، وَلِمَنْ جَعَلَ لَهُ شَرِيكًا، فَالَّذِي وَحَّدَ اللَّهَ مَثَلُهُ مَثَلُ السَّالِمِ لِرَجُلٍ لَا يَشْرَكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ، وَمَثَلُ الَّذِي عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ مَثَلُ صَاحِبِ الشُّرَكَاءِ الْمُتَشَاكِسِينَ ... وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩] أَيْ: هَلْ يَسْتَوِي مَثَلُ الْمُوَحِّدِ وَمَثَلُ الْمُشْرِكِ».

[معاني القرآنِ وإعرابُه، لِلزَّجَّاجِ (ت ٣١١هـ)][1]

---

[1] نقلَه عنه الْأَزْهَرِيُّ في «تهذيبِ اللّغةِ» في مادّةِ «سلم»، وبقيَ هذا المعنى معروفًا عند المتأخّرينَ، مِثلِ ابْنِ مَنْظُورٍ، فإنّه يذكرُه في «لسانِ العربِ» في المادّةِ نفسِها ناقلًا عن الزَّجَّاجِ.

فاللَّهُ تعالَى يَضربُ مَثَلًا للمسلمِ والمشركِ مبيِّنًا للفرقِ بينَهما، ثمّ يؤكِّدُ هذا الفرقَ بقولِه: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ [الزمر: ٢٩]. وقد جاء عن بعضِ السّلفِ في معنَى الآيةِ مِثلُ ما ذكرَه الطَّبَرِيُّ.

٥١ - كما رَوَى الطَّبَرِيُّ نفسُه عند هذه الآيةِ: «عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ [الزمر: ٢٩] قَالَ: هَذَا الْمُشْرِكُ تَتَنَازَعُهُ الشَّيَاطِينُ، لَا يُقِرُّ بِهِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[1] قَالَ: **هُوَ الْمُؤْمِنُ، أَخْلَصَ الدَّعْوَةَ لِلَّهِ وَالْعِبَادَةَ**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

٥٢ - «قَالَ ابْنُ زَيْدٍ[2]، فِي قَوْلِهِ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾[3] [الزمر: ٢٩] قَالَ: «أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ كُلُّهُمْ سَيِّئُ الْخُلُقِ، لَيْسَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ يَلْقَاهُ إِلَّا أَخَذَ بِطَرَفٍ مِنْ مَالٍ - إِلَّا اسْتَخْدَمَهُ - أَسَوَاءٌ هُمْ وَالَّذِي لَا يَمْلِكُهُ إِلَّا وَاحِدٌ، فَإِنَّمَا هَذَا مَثَلُ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ **يَعْبُدُونَ الْآلِهَةَ، وَجَعَلُوا لَهَا فِي أَعْنَاقِهِمْ حُقُوقًا**، فَضَرَبَهُ اللَّهُ مَثَلًا لَهُمْ، **وَلِلَّذِي يَعْبُدُهُ وَحْدَهُ** ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٩﴾ [الزمر: ٢٩]» وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ يَقُولُ: **لَيْسَ مَعَهُ شِرْكٌ**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

---

[1] كذا ﴿سَلَمًا﴾ في طبعتَيِ التركي وشاكر، وعند عَبْدِ الرَّزَّاقِ في «تفسيرِه» وَابْنِ قُتَيْبَةَ في «غريبِ القرآنِ»، وقَتَادَةُ بَصْرِيٌّ، وهي قراءةُ أهلِ البصرةِ أَبِي عَمْرٍو ويَعْقُوبَ.

[2] هو عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، مِن أهلِ التّفسيرِ، وقد أكثرَ الطَّبَرِيُّ النّقلَ عنه.

[3] كذا في الموضعَينِ في طبعةِ التركي، وفي طبعةِ شاكر في الأوّلِ: ﴿سَلَمًا﴾، وفي الثّاني: ﴿سَلِمًا﴾، فجعلتُهما جميعًا ﴿سَلِمًا﴾ على ما في طبعةِ التركي، إذ لا تجتمعُ قراءتانِ في روايةٍ واحدةٍ، وإن كان ابْنُ زَيْدٍ مَدَنيًّا، وأهلُ المدينةِ يقرؤونَ: ﴿سَلَمًا﴾، كما سبقَ عند الطَّبَرِيِّ برقمِ (٤٨)، واللَّهُ أعلمُ.

٥٣ - ثمَّ قال الطَّبَرِيُّ: «﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَمَا يَسْتَوِي هَذَا الْمُشْتَرَكُ فِيهِ، وَالَّذِي هُوَ مُنْفَرِدٌ مِلْكُهُ لِوَاحِدٍ، بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ **لَا يَعْلَمُونَ** أَنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ، **فَهُمْ بِجَهْلِهِمْ بِذَلِكَ يَعْبُدُونَ آلِهَةً شَتَّى** مِنْ دُونِ **اللَّهِ**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

وفي كلامِه هذا أوضحُ بيانٍ أنّ عامّةَ أهلِ الشّركِ إنّما يُشرِكونَ باللَّهِ لجهلِهم بحقيقةِ فِعْلِهم وعِظَمِ قُبحِه، ولم يَجعلْهم بجهلِهم هذا مسلمينَ معذورينَ في شيءٍ، مع انتسابِهم لدِينِ إِبْرَاهِيمَ الذي هو الإسلامُ العامُّ في حقيقتِه وأصلِه[1].

٥٤ - وقال الطَّبَرِيُّ في قولِه تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٤]: «يَقُولُ: **وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ لِلَّهِ مُطِيعُونَ،** وَفِيمَا نَدَبَ عِبَادَهُ إِلَيْهِ مُجْتَهِدُونَ. **وَهَذَا مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَى خَطَأِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِاللَّهِ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَقْصِدُ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْعِلْمِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ،** وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ سَعْيَهُمُ الَّذِي سَعَوْا فِي الدُّنْيَا ذَهَبَ ضَلَالًا، وَقَدْ كَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ فِي صُنْعِهِمْ ذَلِكَ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَلَوْ كَانَ الْقَوْلُ كَمَا قَالَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِاللَّهِ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُ، لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ فِي عَمَلِهِمُ الَّذِي أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْسَبُونَ فِيهِ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعَهُ، كَانُوا مُثَابِينَ مَأْجُورِينَ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ الْقَوْلَ بِخِلَافِ مَا قَالُوا، فَأَخْبَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ بِاللَّهِ كَفَرَةٌ، وَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ حَابِطَةٌ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

---

[1] انظرِ البابَ (١٠)، الفصلَ (٤) «قصّةُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وأنّ الحنفاءَ عَرفُوا معنَى الإسلامِ»، والبابَ (١١) «الإسلامُ العامُّ دِينُ الأنبياءِ جميعًا».

«فصل» (٣): ما يَلزمُ المخالِفَ في هذه الآيةِ

قد بيّنَ اللَّهُ تعالَى أنّ المسلمَ والمشركَ ضدّانِ، وذكرَ الفارقَ بينَهما وهو فِعْلُ الشّركِ[١]. المسلمُ يتّصفُ بالإخلاصِ بخلافِ المشركِ. وذكرَ اللَّهُ تعالَى في الآيةِ أيضًا أنّ أكثرَ المشركينَ لا يَعلمونَ حقيقةَ حالِهم، كما سبقَ. فالذين يجوِّزونَ وجودَ «مسلمٍ مشركٍ» بحجّةِ أنّه معذورٌ بجهلِه بالإسلامِ، يَلزَمُهم مخالفةُ الآيةِ مخالفةً صريحةً مِن وجوهٍ:

- على قولِهم لا يُمكِنُ أن يَشملَ هذا المثَلُ المشركَ الجاهلَ، مع أنّ اللَّهَ تعالَى يجعلُه مِنه بوضوحٍ. المشركُ - عالمًا كان أو جاهلًا - لا يَعبدُ اللَّهَ وحدَه، فلا يُمكِنُ أن يكونَ مسلمًا مخلِصًا للَّهِ.

---

[١] معلومٌ أنّ أحكامَ الدّنيا لا يُمكِنُ أن تُعلَّقَ بالباطنِ، إذ ليس في مقدورِ البشرِ معرفةُ ما في باطنِ الإنسانِ، ولذلك لم نُؤمَرْ أن نَشُقَّ عن قلوبِ النّاسِ، كما قال النّبيُّ ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ»، رواه مُسْلِمٌ، متّفقٌ عليه، وعلماءُ السّلفِ قد نبّهُوا إلى ذلك مرارًا، ومِن ذلك قولُ الشَّافِعِيِّ في كتابِه «الأُمِّ»:

> «وَأَحْكَامُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ تَدُلُّ عَلَى أَنْ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى أَحَدٍ إلَّا بِظَاهِرٍ، وَالظَّاهِرُ مَا أَقَرَّ بِهِ أَوْ مَا قَامَتْ بِهِ بَيِّنَةٌ تُثْبِتُ عَلَيْهِ، فَالْحُجَّةُ فِيمَا وَصَفْنَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَفِي الرَّجُلِ الَّذِي اسْتَفْتَى فِيهِ الْمِقْدَادُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ قَطَعَ يَدَهُ عَلَى الشِّرْكِ، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ «فَهَلَّا كَشَفْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟» يَعْنِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَكَ إلَّا ظَاهِرُهُ».

وعلى هذا يُتَصوَّرُ أنّ شخصًا ما يُعتَبَرُ مسلمًا في الظّاهرِ مع أنّه لم يَفهمِ التّوحيدَ في نفسِ الأمرِ ويَفعلُ الشّركَ جهلًا، لكن لا يُحكَمُ عليه بذلك ما لم يَظهَرْ مِنه، فيَبقَى مسلمًا في الظّاهرِ. وهو بهذا الاعتبارِ كالمنافقِ الذي لم يَقبلِ الإسلامَ في باطنِه مع إظهارِه له، والمنافقُ الخالصُ يُعتَبَرُ مسلمًا في الظّاهرِ حتّى يُثبِتَ الدّليلُ خلافَ ذلك.

- أكثرُ المشركينَ يَجهلونَ هذه الحقيقةَ ويقعونَ في الشّركِ بسببِ هذا الجهلِ، كما بيّنَه الطَّبَرِيُّ، لكنّ هؤلاء المشركينَ الجهّالَ يَلزَمُ على هذا القولِ الباطلِ أن يكونوا بجهلِهم مسلمينَ.
- قولُهم يقتضِي ألّا يكونَ بينَ المشركِ الجاهلِ والمسلمِ فرقٌ وأنّهما يستويانِ، مع أنّ اللَّهَ تعالَى يصرّحُ في الآيةِ أنّ هذا المشركَ ليس مسلمًا قطعًا، بل أنّه ضدُّ المسلمِ.
- ثمّ يجبُ عليهم تخطئةُ جميعِ مَن سلفَ مِن أهلِ العِلمِ، لأنّ كلامَ أهلِ العِلمِ في الآيةِ لا يحتملُ معنًى آخرَ، فلا يُمكِنُ أنّهم تصوّرُوا وجودَ أناسٍ هم مشركونَ ومسلمونَ في وقتٍ واحدٍ، بل مَن قرأَ كلامَهم عَلِمَ أنّ مِثلَ هذا لم يَخطُرْ على بالِهم أصلًا.

وهذا يبيِّنُ أنّ كونَ التّوحيدِ أساسَ دِينِ الإسلامِ وكونَ الإسلامِ يستحيلُ تحقُّقُه مع وجودِ الشّركِ، كان عند المتقدِّمينَ مِن أوضحِ الأمورِ. حتّى أهلُ البدعةِ ما خطرَ ببالِهم أن يجعلُوا مشركًا ما مسلمًا.

وبهذا تكونُ الآيةُ حجّةً قاطعةً في هذا الأمرِ.

«باب» (٦): بيانُ معنَى لفظِ الإسلامِ في اللّغةِ أنّه الإخلاصُ وتسميتُه بذلك في السّنّةِ

«فصل» (١): معنَى الفعلِ «أَسْلَمَ» وأنّ الإسلامَ هو الإخلاصُ

وردَ معنَى الفعلِ «أسلم» في المعاجمِ[١] كما يلِي:

- أَسلَمَ، أي: انقادَ واستَسلَمَ ودخَلَ في السِّلْمِ (بالفتحِ وبالكسرِ).
- أَسلَمَ الشّيءَ إليه، أي: دفَعَه.
- أَسلَمَ أمرَه له وإليه، أي: فوّضَه.
- أَسلَمَ الشّيءَ له، مِثلُ «سلَّمَه له»، أي: خلَّصَه له وجعَلَه سالِمًا له وخالِصًا.

وكما هو مبيَّنٌ في كتبِ عِلمِ الصّرفِ، يجوزُ أن تُزادَ في أوّلِ الفعلِ الثّلاثيِّ همزةٌ. وهذا التّغييرُ في بِنيةِ الكلمةِ يؤدِّي إلى إضافةِ معنَى الجَعْلِ إلى الفعلِ.

> **٥٥ - قال سِيبَوَيْهِ في «الكتابِ»، في «بابِ افتراقِ فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ في الفعلِ للمعنَى»:** «تَقُولُ: دَخَلَ وَخَرَجَ وَجَلَسَ. **فَإِذَا أَخْبَرْتَ أَنَّ غَيْرَهُ صَيَّرَهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا قُلْتَ: أَخْرَجَهُ وَأَدْخَلَهُ وَأَجْلَسَهُ.** وَتَقُولُ: فَزِعَ وَأَفْزَعْتُهُ، وَخَافَ وَأَخَفْتُهُ ... فَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ عَلَى فَعَلَ إِذَا أَرَدْتَ أَنَّ غَيْرَهُ أَدْخَلَهُ فِي ذَلِكَ يُبْنَى الْفِعْلُ مِنْهُ عَلَى أَفْعَلْتُ».
> [الكتابُ، لِسِيبَوَيْهِ (ت ١٨٠هـ)]

---

[١] قال الْجَوْهَرِيُّ (ت ٣٩٣هـ) في «الصِّحاحِ»: «وَأَسْلَمَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ، أَيْ: سَلَّمَ. وَأَسْلَمَ، أَيْ: دَخَلَ فِي السِّلْمِ، وَهُوَ الِاسْتِسْلَامُ»، وقال الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ (ت ٣٨٥هـ) في «المحيطِ في اللّغةِ»: «وَأَسْلَمْتُ إِلَيْهِ ثَوْبًا، وَسَلَّمْتُ لَهُ وَإِلَيْهِ»، وقال ابْنُ سِيدَهْ (ت ٤٥٨هـ) في «المحكَمِ»: «وَأَسْلَمَ إِلَيْهِ الشَّيْءَ: دَفَعَهُ». وانظرْ للمعنَى الأخيرِ كلامَ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ الآتيَ برقمِ (٥٦).

وهكذا استعملتِ العربُ «أَسْلَمَ» بمعنَى «جعَلَه يَسْلَمُ» أي: جعَلَه سَالِمًا، فيكونُ «سَلِمَ» و«أَسْلَمَ» نظيرَ «خَلَصَ» و«أَخْلَصَ» في البِنيةِ والمعنَى. والعربُ تقولُ لِمَن طهّرَ الذّهبَ[1] أو نحوَه: أَخْلَصَه يُخلِصُه. وقد نصَّ على ذلك أهلُ اللّغةِ:

٥٦ - قال ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ في «الزّاهرِ في معاني كلماتِ النّاسِ» في قولِهم: «رجلٌ مسلمٌ»: «فِيهِ قَوْلَانِ: قَالَ قَوْمٌ: **الْمُسْلِمُ: الْمُخْلِصُ لِلَّهِ الْعِبَادَةَ.** وَقَالُوا: هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: قَدْ **سَلِمَ الشَّيْءُ لِفُلَانٍ: إِذَا خَلَصَ لَهُ.** قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩] مَعْنَاهُ: خَالِصًا لِرَجُلٍ. وَقَالَ قَوْمٌ: الْمُسْلِمُ مَعْنَاهُ: الْمُسْتَسْلِمُ لِأَمْرِ اللَّهِ، الْمُتَذَلِّلُ لَهُ». [الزّاهرُ في معاني كلماتِ النّاسِ، لِابْنِ الْأَنْبَارِيِّ (ت ٣٢٨هـ)]

٥٧ - وقال الْجَوْهَرِيُّ في «الصِّحاحِ»: «وَخُلَاصَةُ السَّمْنِ بِالضَّمِّ: مَا خَلَصَ مِنْهُ ... **وَالْمَصْدَرُ مِنْهُ الْإِخْلَاصُ، وَقَدْ أَخْلَصْتُ السَّمْنَ.** وَالْإِخْلَاصُ أَيْضًا فِي الطَّاعَةِ: تَرْكُ الرِّيَاءِ، **وَقَدْ أَخْلَصْتُ لِلَّهِ الدِّينَ**». [الصِّحاحُ، لِلْجَوْهَرِيِّ (ت ٣٩٣هـ)]

فالإسلامُ هو الإخلاصُ، لا وجودَ للإسلامِ دونَ إخلاصٍ. وبذلك يَظهرُ التّناقضُ عند مَن يَزعمُ وجودَ مسلمٍ يَفعلُ الشّركَ الأكبرَ ويَعبدُ إلهًا آخرَ مِن دونِ اللَّهِ، إذ معنَى ذلك أنّه «مُخلِصٌ غيرُ مُخلِصٍ» في حالٍ واحدةٍ، أي: مَن قال هذا فقد تصوَّرَ مسلمًا بلا إسلامٍ. وأمّا الإخلاصُ فالمرادُ به تطهيرُ الأفعالِ مِنَ الشّركِ كما تبيّنَ ممّا سبقَ في هذا الكتابِ، وكما سيأتِي[2]. فإنّ الرّسلَ ما بُعِثُوا إلّا لهذا، وبُعِثُوا إلى أقوامٍ أَشركُوا باللَّهِ تعالَى وما أَخلصُوا له.

---

[1] قال الْخَطَّابِيُّ (ت ٣٨٨هـ) في «غريبِ الحديثِ»: «وَالْخِلَاصُ وَالْخُلَاصَةُ: مَا أَخْلَصَتْهُ النَّارُ مِنَ الذَّهَبِ».

[2] انظرِ البابَ (٣)، الفصلَ (٢) «أَمْرُ الأنبياءِ أقوامَهم بتوحيدِ العبادةِ وفَهْمُ المشركينَ لهذا =

«فصل» (٢): تسميةُ النّبيِّ ﷺ شهادةَ الإسلامِ بـ«كَلِمَةِ الإخلاصِ»

ولأنّ معنَى الإسلامِ الإخلاصُ، كما تقدّمَ، ذكَرَ أهلُ العِلمِ كثيرًا أنّ التّوحيدَ هو إخلاصُ العبادةِ للّهِ، وقد رأيتَه مرارًا فيما نُقِلَ في هذا الكتابِ، وتأتِي أمثلةٌ أخرَى.

٥٨ - قال الْخَلِيلُ في «العَيْنِ»: «**وَالْإِخْلَاصُ: التَّوْحِيدُ لِلَّهِ خَالِصًا**، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِسُورَةِ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: سُورَةُ الْإِخْلَاصِ. وَأَخْلَصْتُ لِلَّهِ دِينِي: أَمْحَضْتُهُ».

[كتابُ العَيْنِ، لِلْخَلِيلِ (ت ١٧٠هـ)]

وسمَّوا شهادةَ الإسلامِ «كلمةَ التّوحيدِ»، وهذا مشهورٌ عندهم، ومعناه ظاهرٌ، كما في حديثِ جَابِرٍ رضي الله عنه في صفةِ حجّةِ النّبيِّ ﷺ:

٥٩ - رَوَى مُسْلِمٌ عن جَابِرٍ: «... وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، **فَأَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ**: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»».

[صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

٦٠ - وقال ابْنُ قُتَيْبَةَ في مناظرةٍ له: «قُلْتُ لَهُ: أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَأْسُ الْإِيمَانِ وَكَلِمَةُ التَّوْحِيدِ**؟ قَالَ: بَلَى». [الاختلافُ في اللّفظِ والرّدُّ على الجهميّةِ والمشبِّهةِ، لِابْنِ قُتَيْبَةَ (ت ٢٧٦هـ)]

وأمّا «كلمةُ الإخلاصِ» فقد جاءتْ في السّنّةِ،

٦١ - كما رَوَى أَحْمَدُ: «عَنِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ

الخطابِ في قولِهم ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾»، والبابَ (١٤)، الفصلَ (٢) «الإسلامُ هو الإخلاصُ، والإخلاصُ لا يُوجَدُ في أحدٍ مِنَ المشركينَ، كما في أوّلِ سورةِ الزُّمَرِ».

وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)][١]

٦٢ - **وفسّرَها عُمَرُ رضي الله عنه بالشّهادةِ، كما رَوَى أَحْمَدُ:** «عَنْ حُمْرَانَ بْنِ أَبَانَ، أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَنَا أُحَدِّثُكَ مَا هِيَ، **هِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ** الَّتِي أَلْزَمَهَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى **مُحَمَّدًا** ﷺ وَأَصْحَابَهُ، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى الَّتِي أَلَاصَ عَلَيْهَا[٢] نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ عِنْدَ الْمَوْتِ: **شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)][٣]

---

[١] ورواه ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ والدَّارِمِيُّ والنَّسَائِيُّ في «السّنن الكبرى» وفي «عملِ اليومِ واللّيلةِ» عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَى عن أبيه، وفيه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ قَالَ: ...».

[٢] «أَلَاصَ عليها»: حاولَ أن يُلزِمَه إيّاها، قال الْأَزْهَرِيُّ في «تهذيبِ اللّغةِ»: «وَيُقَالُ: أَدَرْتُ فُلَانًا عَلَى الْأَمْرِ، وَأَلَصْتُهُ عَلَيْهِ: إِذَا حَاوَلْتَ إِلْزَامَهُ إِيَّاهُ».

[٣] رواه الْحَاكِمُ بنحوِه، والضِّيَاءُ في «المختارةِ»، وفي إسنادِه انقطاعٌ، قال يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ: «لَمْ يَسْمَعْ قَتَادَةُ مِنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ»، رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ في «العِلَلِ ومعرفةِ الرّجالِ».

«باب» (٧): ذِكرُ «إسلامِ الوجهِ» للَّهِ في القرآنِ وأنّه الإسلامُ والإخلاصُ

قد اتّضحَ أنّ الدِّينَ كلَّه ينبنِي على تطهيرِ الأعمالِ مِنَ الشّركِ الأكبرِ، وقد سُمِّيَ الدِّينُ كلُّه باسمٍ يدلُّ على هذا المعنَى دلالةً صريحةً. وما قِيلَ في المصدرِ يُقالُ فيما اشتُقَّ منه، لأنّه يَحملُ المعنَى نفسَه. فالمتّبِعُ لهذا الدِّينِ اسمُه مسلمٌ لأنّه محقِّقٌ للإسلامِ أي: للإخلاصِ.

ولِعِظَمِ شأنِ هذا المعنَى جاءَ بيانُه ظاهرًا متكرِّرًا في كتابِ اللَّهِ، ففي القرآنِ مواضعُ عدّةٌ تبيِّنُ معنَى الإسلامِ، وفيها تفصيلُ المرادِ بالشّيءِ الذي يُسلِمُه المسلمُ ويُخلِصُه المخلِصُ ما هو، وهذا مِن تفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ، وقد صرّحَ السّلفُ بهذا مرارًا كما يأتِي.

﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾ [البقرة: ١١١]

- فاليهودُ والنّصارَى ادّعتْ كلُّ طائفةٍ مِنهما أنّ الجنّةَ خاصّةٌ بها، لا يُدخِلُها اللَّهُ إلّا مَن كان مِنهم.

> **٦٣ - كما رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:** «عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ: قَالَتِ الْيَهُودُ: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا يَهُودِيٌّ. وَقَالَتِ النَّصَارَى: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا نَصْرَانِيٌّ. وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَالرَّبِيعِ، وَالسُّدِّيِّ نَحْوُ ذَلِكَ». [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)]

- لكنّ اللَّهَ تعالَى يكذّبُهم، فإنّما ذلك مِن أمانيِّهم التي ذكرَ اللَّهُ بعضَها في مواضعَ مِن كتابِه.

٦٤ - **رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:** «عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ يَقُولُ اللَّهُ: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ١١١] يَقُولُ: أَمَانِيُّ تَمَنَّوْهَا عَلَى اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ. وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ نَحْوُ ذَلِكَ».

[تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)]

- ثمّ يقرّرُ اللَّهُ تعالَى الطّريقَ الصّحيحَ لمعرفةِ الحقِّ، ولا طريقَ غيرُه: إثباتُ الدّعوَى بالدّليلِ.
- هذا الدّليلُ لا يُمكِنُ أن يكونَ في هذا الأمرِ مِن غيرِ اللَّهِ، لأنّهم تكلّمُوا فيمَن يُدخِلُه اللَّهُ جنّتَه دونَ غيرِه، وهذا لا يُعلَمُ إلّا مِن عند اللَّهِ تعالَى. فلمّا لم يكنْ عندهم مِنَ اللَّهِ برهانٌ، تبيّنَ أنّهم افترَوا ذلك على اللَّهِ بغيرِ عِلمٍ.

٦٥ - **كما رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:** «عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١١١] أَيْ حُجَّتَكُمْ.

وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَالسُّدِّيِّ، وَالرَّبِيعِ نَحْوُ ذَلِكَ».

«عَنْ قَتَادَةَ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١١١] قَالَ: بَيِّنَتَكُمْ عَلَى ذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

[تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)]

ثمّ يبيّنُ اللَّهُ تعالَى مَن الذي يَدخلُ الجنّةَ حقيقةً بخلافِ دعواهم، فقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢]

- أي: بلى، يَدخلُ الجنّةَ غيرُ مَن زعمتُم، وله أجرُه عند ربِّه.
- وهو المسلِمُ وجهَه للَّهِ. فاللَّهُ تعالَى يُخبِرُ أنّ كلَّ مَن اتّصفَ بهذا نالَ رضاه، وفي ذلك بيانُ معنَى كلمةِ الإسلامِ.

٦٦ - **كما رَوَى الطَّبَرِيُّ:** «عَنِ السُّدِّيِّ، قَالَ: أَخْبَرَهُمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَقَالَ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] الْآيَةَ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

- أمّا الأجرُ المذكورُ في الآيةِ فهو الجنّةُ ورضوانُ اللَّهِ، لِما ذُكِرَ في الآيةِ التي قبلَها مِن أنّ أهلَ الكتابِ ادّعَوا ذلك لأنفسِهم كما سبقَ.
- هؤلاء المسلمونَ لا خوفٌ عليهم في الآخرةِ ممّا يأتي، ولا هم يَحزنونَ عند الموتِ على ما مضى.

٦٧ - **كما رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:** «عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ١١٢] يَعْنِي فِي الْآخِرَةِ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يَعْنِي لَا يَحْزَنُونَ لِلْمَوْتِ».
[تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)]

«فصل» (١): تفسيرُ السّلفِ لقولِه تعالَى ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ بالإخلاصِ

٦٨ - **رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ في هذه الآيةِ:** «عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] يَقُولُ: **مَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ**. وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ نَحْوُ ذَلِكَ».

«عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] قَالَ: مَنْ أَسْلَمَ **أَخْلَصَ وَجْهَهُ**، قَالَ: **دِينَهُ**». [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)]

وذكرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ كِلَا القولَينِ أيضًا عند قولِه تعالَى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]

والحنيفُ هو المتّبِعُ لملّةِ إِبْرَاهِيمَ المخلِصُ للَّهِ تعالَى.

٦٩ - كما رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عند الآيةِ المذكورةِ آنفًا: «عَنِ السُّدِّيِّ قَوْلَهُ: ﴿حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥] **يَقُولُ: مُخْلِصًا»**[1]. [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)]

وإن جاءَ غيرُ ذلك عن السّلفِ فليس على سبيلِ المخالَفةِ بل مِن قبيلِ اختلافِ التّنوّعِ الذي هو التّعبيرُ عن المعنَى الواحدِ بعباراتٍ مختلفةٍ، أو ذِكرُ بعضِ أنواعِه على سبيلِ التّمثيلِ، وهذا كثيرٌ في تفسيرِ السّلفِ للآياتِ.

ورَوَى الطَّبَرِيُّ بإسنادِه عن الرَّبِيعِ في آيةِ البقرةِ مِثلَ ما رواه ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، كما في كلامِه الآتِي.

٧٠ - قال الطَّبَرِيُّ في معنَى إسلامِ الوجهِ للَّهِ: «وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] فَإِنَّهُ يَعْنِي بِإِسْلَامِ الْوَجْهِ التَّذَلُّلَ لِطَاعَتِهِ وَالْإِذْعَانَ لِأَمْرِهِ. وَأَصْلُ الْإِسْلَامِ: الِاسْتِسْلَامُ، لِأَنَّهُ مِنِ اسْتَسْلَمْتُ لَهُ، وَهُوَ الْخُضُوعُ لِأَمْرِهِ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمُسْلِمُ مُسْلِمًا لِخُضُوعِ جَوَارِحِهِ لِطَاعَةِ رَبِّهِ، كَمَا حَدَّثَنِي ... عَنِ الرَّبِيعِ قَوْلَهُ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ **يَقُولُ: «أَخْلَصَ لِلَّهِ»**،

وَكَمَا قَالَ **زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ**:

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا

يَعْنِي بِذَلِكَ: اسْتَسْلَمْتُ لِطَاعَةِ مَنِ اسْتَسْلَمَ لِطَاعَتِهِ الْمُزْنُ وَانْقَدْتُ لَهُ.

وَخَصَّ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْخَبَرِ عَمَّنْ أَخْبَرَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ بِإِسْلَامِ وَجْهِهِ لَهُ دُونَ سَائِرِ جَوَارِحِهِ، لِأَنَّ أَكْرَمَ أَعْضَاءِ ابْنِ آدَمَ وَجَوَارِحِهِ وَجْهُهُ، وَهُوَ

---

[1] وذكرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ في «حَنِيفًا» عند هذه الآيةِ أوجهًا، منها: «حَاجًّا»، و«مُتَّبِعًا»، و«الْمُسْتَقِيمُ»، و«مُخْلِصًا»، و«الَّذِي يُؤْمِنُ بِالرُّسُلِ كُلِّهِمْ».

أَعْظَمُهَا عَلَيْهِ حُرْمَةً وَحَقًّا، فَإِذَا خَضَعَ لِشَيْءٍ وَجْهُهُ الَّذِي هُوَ أَكْرَمُ أَجْزَاءِ جَسَدِهِ عَلَيْهِ فَغَيْرُهُ مِنْ أَجْزَاءِ جَسَدِهِ أَحْرَى أَنْ يَكُونَ قَدْ خَضَعَ لَهُ.

وَلِذَلِكَ تَذْكُرُ الْعَرَبُ فِي مَنْطِقِهَا الْخَبَرَ عَنِ الشَّيْءِ فَتُضِيفُهُ إِلَى وَجْهِهِ وَهِيَ تَعْنِي بِذَلِكَ نَفْسَ الشَّيْءِ وَعَيْنَهُ ... وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ: **بَلَى مَنْ أَخْلَصَ طَاعَتَهُ وَعِبَادَتَهُ لِلَّهِ مُحْسِنًا فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

ومِثلُ ذلك قولُه تعالَى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠﴾ [آل عمران: ٢٠]

٧١ - قال الطَّبَرِيُّ عند هذه الآيةِ: «فَقُلْ: انْقَدْتُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، بِلِسَانِي وَقَلْبِي وَجَمِيعِ جَوَارِحِي ... ﴿ءَأَسْلَمْتُمْۚ﴾ [آل عمران: ٢٠] يَقُولُ: قُلْ لَهُمْ: **هَلْ أَفْرَدْتُمُ التَّوْحِيدَ، وَأَخْلَصْتُمُ الْعِبَادَةَ وَالْأُلُوهَةَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**، دُونَ سَائِرِ الْأَنْدَادِ وَالْأَشْرَاكِ[1] الَّتِي تُشْرِكُونَهَا مَعَهُ فِي عِبَادَتِكُمْ إِيَّاهُمْ، وَإِقْرَارِكُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِمْ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ؟ ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ﴾ يَقُولُ: **فَإِنِ انْقَادُوا لِإِفْرَادِ الْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ، وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ وَالْأُلُوهَةِ لَهُ**، ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ﴾ يَعْنِي: فَقَدْ أَصَابُوا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَسَلَكُوا مَحَجَّةَ الرُّشْدِ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

٧٢ - وقال مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: «﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] يَعْنِي: **أَخْلَصَ دِينَهُ لِلَّهِ**»، و«﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٢٥] يَعْنِي: **أَخْلَصَ دِينَهُ لِلَّهِ** ...

---

[1] «الْأَشْرَاكُ»: جمعُ «شَرِيكٍ»، قال الْأَزْهَرِيُّ في «تهذيبِ اللّغةِ»: «يُقَالُ: شَرِيكٌ وَأَشْرَاكٌ، كَمَا قَالُوا: يَتِيمٌ وَأَيْتَامٌ، وَنَصِيرٌ وَأَنْصَارٌ».

﴿حَنِيفًا﴾ يَعْنِي: **مُخْلِصًا**»، و«﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٢] يَقُولُ: مَنْ **يُخْلِصُ دِينَهُ لِلَّهِ**». [تفسيرُ مُقَاتِلٍ (ت ١٥٠هـ)]

فجاءَ تأويلُ إسلامِ الوجهِ للَّهِ في تفاسيرِ السّلفِ بهذه المعانِي، يقولونَ: هو إخلاصُ العبادةِ وإخلاصُ الدِّينِ وإخلاصُ الطّاعةِ للَّهِ.

وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو المذكورُ كان مِنَ الحنفاءِ الذين اتّبعُوا ملّةَ إِبْرَاهِيمَ، وقد عرفتَ مِن أقوالِ السّلفِ أنّ الحنيفَ هو المخلِصُ للَّهِ.

«فصل» (٢): شِعرُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ ﵁ وذِكرُه الإسلامَ قبلَ نبوّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ

البيتُ المذكورُ مِن شِعرِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو تُذكَرُ معه أبياتٌ أخرَى في كتبِ التّفسيرِ والسّيرةِ.

٧٣ - كما رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ:

«أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالًا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الْمُزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا
إِذَا هِيَ سِيقَتْ إِلَى بَلْدَةٍ ... أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سِجَالًا
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمَتْ ... لَهُ الرِّيحُ تُصْرَفُ حَالًا فَحَالَا».

[سيرةُ ابْنِ إِسْحَاقَ (ت ١٥١هـ)][1]

---

[1] ورواها ابْنُ هِشَامٍ في «السّيرةِ النّبويّةِ» عن ابْنِ إِسْحَاقَ، وأوّلُها عنده: «وَأَسْلَمْتُ»، وبعدَ البيتِ الأوّلِ: «دَحَاهَا فَلَمَّا رَآهَا اسْتَوَتْ ... عَلَى الْمَاءِ أَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا»، وليس عنده البيتُ الأخيرُ.

ففي هذه الأبياتِ قال ثلاثَ مرّاتٍ: «أَسْلَمْتُ»، وهذا مهمٌّ لأنّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو ماتَ قبلَ نبوّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مع أنّ النّبيَّ ﷺ لقِيَه، وشَهدَ له بالإيمانِ والجنّةِ بعدُ، وتأتِي الآثارُ في ذلك. فهذه الأبياتُ مِن شِعرِ الحنفاءِ في الجاهليّةِ، قبلَ الإسلامِ الخاصِّ. أمّا الإسلامُ العامُّ الذي هو التّوحيدُ ورسالةُ الأنبياءِ كلِّهم فإنّه كان موجودًا قبلَ البِعثةِ وإن قلَّ.

والحنفاءُ انتسبُوا إلى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، كما انتسبَ إليه المشركونَ، لكنّهم عَرفُوا التّوحيدَ وعمِلُوا به فتبرّؤُوا مِن عبادةِ الأصنامِ ومِنَ المشركينَ، مع أنّه لم تكنْ عندهم آيةٌ واحدةٌ مِنَ القرآنِ، كما سيأتِي ذلك كلُّه في خبرِ هذا الرّجلِ الصّالحِ[1]، رحمَه اللَّهُ ورضِيَ عنه. ثمّ يتبيّنُ مِن كلامِه المذكورِ معنَى كلمةِ الإسلامِ في لغةِ العربِ، إذ قِيلَ هذا الشِّعرُ قبلَ الإسلامِ.

«باب» (٨): في أنّ الإسلامَ هو الإيمانُ باللَّهِ والكفرُ بالطّاغوتِ وهو الكفرُ بعبادةِ غيرِ اللَّهِ

«فصل» (١): قولُه تعالَى ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦]

---

[1] انظرِ البابَ (١٠)، الفصلَ (٤) «قصّةُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وأنّ الحنفاءَ عَرفُوا معنَى الإسلامِ».

٧٤ - **قال الطَّبَرِيُّ في هذه الآيةِ:** «وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ عِنْدِي فِي الطَّاغُوتِ أَنَّهُ **كُلُّ ذِي طُغْيَانٍ طَغَى عَلَى اللَّهِ فَعُبِدَ مِنْ دُونِهِ**، إِمَّا بِقَهْرٍ مِنْهُ لِمَنْ عَبَدَهُ، وَإِمَّا بِطَاعَةٍ مِمَّنْ عَبَدَهُ لَهُ، إِنْسَانًا كَانَ ذَلِكَ الْمَعْبُودُ، أَوْ شَيْطَانًا، أَوْ وَثَنًا، أَوْ صَنَمًا، أَوْ كَائِنًا مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ ... فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ إِذَنْ: **فَمَنْ يَجْحَدُ رُبُوبِيَّةَ كُلِّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَكْفُرْ بِهِ** ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] يَقُولُ: وَيُصَدِّقْ بِاللَّهِ أَنَّهُ إِلَهُهُ وَرَبُّهُ وَمَعْبُودُهُ، ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ يَقُولُ: فَقَدْ تَمَسَّكَ بِأَوْثَقِ مَا يَتَمَسَّكُ بِهِ مَنْ طَلَبَ الْخَلَاصَ لِنَفْسِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

٧٥ - **ورَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:** «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، مِثْلُهُ».

«وَرُوِيَ عَنِ السُّدِّيِّ: الإِسْلامُ». [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)]

٧٦ - **ورَوَى الطَّبَرِيُّ في آيةِ البقرةِ:** «عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَوْلَهُ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

عَنِ الضَّحَّاكِ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ مِثْلَهُ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

٧٧ - **وقال مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ:** «﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦] يَقُولُ: أَخَذَ الثِّقَةَ، يَعْنِي الْإِسْلَامَ الَّتِي ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ يَقُولُ: لَا انْقِطَاعَ لَهُ دُونَ الْجَنَّةِ ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِهِمْ ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ بِهِ». [تفسيرُ مُقَاتِلٍ (ت ١٥٠هـ)]

وأمّا الوجوهُ الأخرَى التي يَذكرُها أمثالُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عن السّلفِ، فهي كلُّها أمثلةٌ متداخِلةُ المعنَى تَرجعُ إلى أمرٍ واحدٍ، وهذا ما يُسمَّى اختلافَ التّنوّعِ، وقد سبقَ، وهو كثيرٌ جدًّا في تفسيرِ السّلفِ، بل هو عادتُهم فيه. فليس هذا مِن قبيلِ اختلافِ التّضادِّ.

ومِن ذلك أنّ السّلفَ فسّرُوا العُروةَ الوثقى بمعنَى «الْقُرْآنُ» و«الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ» و«الإيمَانُ»[١]، وهي كلُّها معانٍ أصيلةٌ لا يَصحُّ إسلامُ المرءِ إلّا بها.

٧٨ - ورَوَى الطَّبَرِيُّ في هذه الآيةِ: «عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ: أَنَّهُ عَادَ مَرِيضًا مِنْ جِيرَتِهِ فَوَجَدَهُ فِي السَّوْقِ[٢] وَهُوَ يُغَرْغِرُ لَا يَفْقَهُونَ مَا يُرِيدُ، فَسَأَلَهُمْ: يُرِيدُ أَنْ يَنْطِقَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ: **آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ**، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟» قَالُوا: لَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا حَتَّى انْكَسَرَ لِسَانُهُ، فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَنْطِقَ بِهَا، فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: «أَفْلَحَ صَاحِبُكُمْ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦]»» [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

«فصل» (٢): قولُه تعالَى ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ﴾

قال تعالَى في سورةِ لقمانَ: ﴿وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾ [لقمان: ٢٢]

---

[١] ذكرَها ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ في «تفسيرِه» عند هذه الآيةِ: «الْقُرْآنُ» عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، و«الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ» عن سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، و«الإيمَانُ» عن مُجَاهِدٍ.

[٢] «السَّوْق» بفتحِ السّينِ: النَّزْعُ عند الموتِ، قال ابْنُ شُمَيْلٍ: «رَأَيْتُ فُلَانًا فِي السَّوْقِ، أَيْ: فِي الْمَوْتِ، يُسَاقُ سَوْقًا، وَإِنَّ نَفْسَهُ لَتُسَاقُ»، نقلَه عنه الْأَزْهَرِيُّ في «تهذيبِ اللُّغةِ»، ويُقالُ له «السِّياق» أيضًا، قال الْجَوْهَرِيُّ في «الصِّحاحِ»: «السِّيَاقُ: نَزْعُ الرُّوحِ. يُقَالُ: رَأَيْتُ فُلَانًا يَسُوقُ، أَيْ: يَنْزِعُ عِنْدَ الْمَوْتِ». أمّا «السُّوق» بضمِّ السّينِ فموضعُ البِيَاعاتِ.

٧٩ - **وقال يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ:** «قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٢] أَيْ: وِجْهَتَهُ فِي الدِّينِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: يُخْلِصُ دِينَهُ. ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ». [تفسيرُ يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ (ت ٢٠٠هـ)]

٨٠ - **ورَوَى الطَّبَرِيُّ في هذه الآيةِ:** «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢] قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».
[تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

«باب» (٩): في أنّ توحيدَ العبادةِ حقُّ اللَّهِ على العبادِ وأنّ الحنفاءَ عَرفُوا ذلك قبلَ بِعثةِ مُحَمَّدٍ ﷺ

«فصل» (١): قولُ النّبيِّ ﷺ «إِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»

٨١ - **أَخرجَ الْبُخَارِيُّ عن مُعَاذٍ** رضي الله عنه **قال:** «كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا»». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

٨٢ - **وفي روايةٍ لِمُسْلِمٍ:** «قَالَ: «أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»».
[صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

«فصل» (٢): حديثُ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ وإنكارُ الحنفاءِ للشّركِ قبلَ نبوّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ

٨٣ - أَخرجَ مُسْلِمٌ عن عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ السُّلَمِيِّ قال: «كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ. فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ. فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ». فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللَّهُ». فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ». قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ» - قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ - فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ». [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

فهذا عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ أنكرَ عبادةَ الأوثانِ وهو في الجاهليّةِ قبلَ أن يَسمعَ بالنّبيِّ ﷺ، وكذلك كان الحنفاءُ على الإسلامِ العامِّ ملّةِ إِبْرَاهِيمَ[1]. فليُتدبَّرْ، هؤلاء لم تكنْ عندهم آيةٌ مِنَ القرآنِ. إنّهم عَرفُوا دِينَ الإسلامِ وأنّه إخلاصُ العبادةِ للَّهِ وحدَه مِن بقايَا ملّةِ إِبْرَاهِيمَ. فما بالُ أناسٍ اليومَ لا يَعرفونَ دِينَ اللَّهِ والقرآنُ يُتلَى عليهم في اللّيلِ والنّهارِ؟!

---

[1] انظرِ البابَ (١٠)، الفصلَ (٤) «قصّةُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وأنّ الحنفاءَ عَرفُوا معنَى الإسلامِ»، والبابَ (١١) «الإسلامُ العامُّ دِينُ الأنبياءِ جميعًا».

«باب» (١٠): معرفةُ مشركِي العربِ والعجمِ معنَى الشّهادةِ وفهمُهم لِما خاطبَهم به الأنبياءُ عليهم السلام

«فصل» (١): المشركونَ فهِمُوا معنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عندما دعاهم الأنبياءُ إلى الإسلامِ

يتّضحُ مِن آياتٍ كثيرةٍ في القرآنِ أنّ المشركينَ أنفسَهم فهِمُوا مِن قولِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وجوبَ البراءةِ مِنَ المشركينَ، لأنّهم فهِمُوا معنَى رسالةِ الأنبياءِ أيْ: فهِمُوا الإسلامَ العامَّ والخطابَ الموجَّهَ إليهم.

كما قال تعالَى عن نُوحٍ عليه السلام: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩]

وقال عن قومِه: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح: ٢٣]

ممّا يدلُّ دلالةً واضحةً على أنّهم فهِمُوا معنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأنّ المطلوبَ مِنهم تركُ الآلهةِ مطلَقًا وإفرادُ اللَّهِ تعالَى بالعبادةِ لأنّ اللَّهَ وحدَه يستحقُّ العبادةَ. فلا بدَّ لكلِّ عاقلٍ أن يُقِرَّ أنّ المشركينَ فهِمُوا أنّ كلَّ مَن يَقبلُ هذه الشّهادةَ فيُحقِّقُها عِلمًا وعملًا ليس مِنهم، بل خرجَ مِن دِينِهم خروجًا تامًّا إلى دِينٍ آخرَ جديدٍ.

ومعنَى ذلك أنّهم فرّقُوا تفريقًا بيِّنًا بينَ الشّركِ والإسلامِ وبينَ المشركِ والمسلمِ، هذا مع أنّهم لم يَقبلُوا الإسلامَ لأنفسِهم! فالعجيبُ أنّ مِنَ المنتسِبينَ إلى الإسلامِ اليومَ بل مِنَ المتصدِّرينَ لتدريسِه مَن لا يَفقهُ هذا الأمرَ فيَظنُّ أنّ مَن يَفعلُ الشّركَ الأكبرَ الصّريحَ المجمَعَ على كونِه شركًا أكبرَ قد يكونُ مِنَ المسلمينَ محقِّقًا لحقيقةِ الإسلامِ!

وقال تعالَى عن هُودٍ عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود: ٥٠]، وقال عن قومِه: ﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود: ٥٣]. ومِثلُ هذا في القرآنِ كثيرٌ جدًّا.

وكلُّ المرسَلينَ قالوا لأقوامِهم ما حكاه اللَّهُ عنهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥؛ هود: ٥٠، ٦١، ٨٤؛ المؤمنون: ٢٣، ٣٢]، فأجابَ قومُ هُودٍ: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]. وقد سبقَ الكلامُ على ما أجابَ به المشركونَ لمّا دُعُوا إلى التّوحيدِ، مع بيانِ الطَّبَرِيِّ لذلك[1].

وقال مشركُو قُرَيْشٍ لمّا دعاهم النّبيُّ ﷺ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥]

> **٨٤ - ورَوَى الطَّبَرِيُّ فيها:** «عَنْ قَتَادَةَ، ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥] قَالَ: «عَجِبَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، وَقَالُوا: يَسْمَعُ لِحَاجَاتِنَا جَمِيعًا إِلَهٌ وَاحِدٌ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ»». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

فقد رأيتَ كيف ساقَ الرّوايةَ ويراها موافِقةً لبيانِه السّابقِ. قَصدَ المشركونَ: «كيف نتوجّهُ جميعًا إلى اللَّهِ، بل يجبُ أن نَرفعَ طلباتِنا إلى الآلهةِ وهي تَشفعُ لنا عند اللَّهِ وتَرفعُ طلباتِنا إليه»، وبيانُ ذلك مِن عدّةِ وجوهٍ في هذا الكتابِ الذي بين يدَيِ القارئِ.

---

[1] انظرِ البابَ (٣) «معنَى الإلهِ ومعنَى شهادةِ الإسلامِ»، الفصلَ (٢) «أَمْرُ الأنبياءِ أقوامَهم بتوحيدِ العبادةِ وفَهْمُ المشركينَ لهذا الخطابِ في قولِهم ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾».

٨٥ - ثمّ ساقَ الطَّبَرِيُّ روايةً أُخرَى: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِيهِمْ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَشْتُمُ آلِهَتَنَا، وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ، وَيَقُولُ وَيَقُولُ، فَلَوْ بَعَثْتَ إِلَيْهِ فَنَهَيْتَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ،

فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ الْبَيْتَ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَبِي طَالِبٍ قَدْرُ مَجْلِسِ رَجُلٍ، قَالَ: فَخَشِيَ أَبُو جَهْلٍ إِنْ جَلَسَ إِلَى جَنْبِ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَكُونَ أَرَقَّ لَهُ عَلَيْهِ، فَوَثَبَ فَجَلَسَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، وَلَمْ يَجِدْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا قُرْبَ عَمِّهِ، فَجَلَسَ عِنْدَ الْبَابِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ: أَيِ ابْنَ أَخِي، مَا بَالُ قَوْمِكَ يَشْكُونَكَ؟

يَزْعُمُونَ أَنَّكَ تَشْتُمُ آلِهَتَهُمْ، وَتَقُولُ وَتَقُولُ، قَالَ: فَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ الْقَوْلَ، وَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا عَمِّ إِنِّي أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَهَا، تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي إِلَيْهِمْ بِهَا الْعَجَمُ الْجِزْيَةَ»،

فَفَزِعُوا لِكَلِمَتِهِ وَلِقَوْلِهِ، فَقَالَ الْقَوْمُ: كَلِمَةً وَاحِدَةً؟ نَعَمْ وَأَبِيكَ عَشْرًا، فَقَالُوا: وَمَا هِيَ؟ فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَأَيُّ كَلِمَةٍ هِيَ يَا ابْنَ أَخِي؟ **قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»**، قَالَ: فَقَامُوا فَزِعِينَ يَنْفُضُونَ ثِيَابَهُمْ، **وَهُمْ يَقُولُونَ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾** [ص: ٥] قَالَ: وَنَزَلَتْ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨﴾ [ص: ٨]» [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)، وبِمِثلِه عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ فيما نقلَه السُّيُوطِيُّ في «الدّرِّ المنثورِ»][(١)]

فتبيّنَ أنّ المشركينَ مِنَ العربِ فهِمُوا معنَى الشّهادةِ تمامَ الفهمِ لمّا خُوطِبُوا بها، لأنّهم تعجّبُوا مِن مُحَمَّدٍ ﷺ أنّه جَعلَ الآلهةَ المعبودةَ عندهم معبودًا واحدًا، وهذا يدلُّ قطعًا على أنّهم فهِمُوا ما خاطبَهم به النّبيُّ ﷺ، فعَلِمُوا معنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

---

(١) رواه التِّرْمِذِيُّ وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، ورواه أيضًا أَحْمَدُ في «المسندِ»، والنَّسَائِيُّ في «السّنَنِ الكُبرى»، والْحَاكِمُ في «المستدرَكِ». وأوّلُه عند أكثرِهم: «مَرِضَ أَبُو طَالِبٍ».

«فصل» (٢): مشركُو العربِ فهِمُوا ما خاطبَهم به النّبيُّ ﷺ

فالمشركونَ مِنَ العربِ كانوا يَعلمونَ معنَى الشّهادةِ عِلمًا تامًّا، ولذلك أبَوا أن يقولُوها. والأدلّةُ على ذلك مِنَ القرآنِ والسّنّةِ وسيرةِ النّبيِّ ﷺ كثيرةٌ جدًّا، يُذكَرُ شيءٌ مِنها في ما يأتِي.

٨٦ - رَوَى أَحْمَدُ: «... حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَتَخَلَّلُهَا يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، **قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا**»، قَالَ: وَأَبُو جَهْلٍ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ، **فَإِنَّمَا يُرِيدُ لِتَتْرُكُوا آلِهَتَكُمْ، وَتَتْرُكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى**، قَالَ: وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»

ورَوَى ابنُه عَبْدُ اللَّهِ في زياداتِه على «المسندِ»: «... أَنَّهُ سَمِعَ رَبِيعَةَ بْنَ عِبَادٍ الدِّيلِيَّ، يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ بِمِنًى فِي مَنَازِلِهِمْ، قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَأْمُرُكُمْ **أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**» قَالَ: وَوَرَاءَهُ رَجُلٌ، يَقُولُ: هَذَا يَأْمُرُكُمْ **أَنْ تَدَعُوا دِينَ آبَائِكُمْ**، فَسَأَلْتُ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقِيلَ: هَذَا أَبُو لَهَبٍ». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)]

ففي الحديثَينِ أنّ أَبَا جَهْلٍ وسائرَ العربِ عَرفُوا ما أَرادَ النّبيُّ ﷺ مِنهم.

«فصل» (٣): قصّةُ وفاةِ أَبِي طَالِبٍ

٨٧ - ويتبيّنُ ما ذُكِرَ أيضًا ممّا رواه الْبُخَارِيُّ عن سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عن أبيه: «أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «يَا عَمِّ، **قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،** كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، **أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟** فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ **عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.** فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٣] **الْآيَةَ».** [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

والآيةُ بتمامِها: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣].

فالمشركانِ في الحديثِ عَلِمَا يقينًا أنّ أَبَا طَالِبٍ لو تلفّظَ بهذه الكلمةِ خرجَ بذلك عن ملّتِهم خروجًا تامًّا وبرِئَ مِنها ورغِبَ عنها، وأنّه يَدخلُ بها في دِينٍ جديدٍ.

٨٨ - ورَوَى أَحْمَدُ في هذا: «فَقَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه: تَوَفَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ ﷺ قَبْلَ أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ نَجَاةِ هَذَا الْأَمْرِ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قَدْ سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَنْتَ أَحَقُّ بِهَا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَجَاةُ هَذَا الْأَمْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَبِلَ مِنِّي الْكَلِمَةَ الَّتِي عَرَضْتُ عَلَى عَمِّي، فَرَدَّهَا عَلَيَّ، فَهِيَ لَهُ نَجَاةٌ»». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)][(١)]

[(١)] في إسنادِه رجلٌ مِنَ الأنصارِ لم يُسَمَّ، قال الدَّارَقُطْنِيُّ في «العِلَلِ»: «وَالصَّوَابُ عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: =

«فصل» (٤): قصّةُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وأنّ الحنفاءَ عَرفُوا معنَى الإسلامِ

لمّا خرجَ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو باحثًا عن الدِّينِ لقِيَ عالِمًا يهوديًّا وعالِمًا نصرانيًّا، فسألَ كلَّ واحدٍ مِنهما، فدلَّه كلُّ واحدٍ مِنهما على الحنيفيّةِ.

٨٩ - أَخرجَ الْبُخَارِيُّ: «عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ الْيَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ فَأَخْبِرْنِي. فَقَالَ: لَا تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ. قَالَ زَيْدٌ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ شَيْئًا أَبَدًا وَأَنَّى أَسْتَطِيعُهُ؟

فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ **إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا.** قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: **دِينُ إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ.**

فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ. قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ وَلَا مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا وَأَنَّى أَسْتَطِيعُ؟

فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ **إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا.** قَالَ: وَمَا الْحَنِيفُ؟ قَالَ: **دِينُ إِبْرَاهِيمَ، لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَا يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ.**

= حَدَّثَنِي رِجَالٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَمْ يُسَمِّهِمْ»، ويَشهدُ لمعناه قولُ عُمَرَ رضي الله عنه برقمِ (٦٢) في البابِ (٦)، الفصلِ (٢) «تسميةُ النّبيِّ ﷺ شهادةَ الإسلامِ بـ «كَلِمَةِ الإخلاصِ»».

فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي **عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ**». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)][1]

فَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو فهِمَ معنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، بل العالِمُ مِنَ اليهودِ والعالِمُ مِنَ النّصارَى عَلِمَا معنَى التّوحيدِ وأنّه ملّةُ إِبْرَاهِيمَ.

---

[1] ورَوَى النَّسَائِيُّ في «السّنن الكبرى» مِن حديثِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ أنّ النَّبِيَّ ﷺ لقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قبلَ البعثةِ، وفيه: «... فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لِي أَرَى قَوْمَكَ قَدْ شَنِفُوا لَكَ؟» فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ ذَلِكَ لَبِغَيْرِ نَائِرَةٍ كَانَتْ مِنِّي إِلَيْهِمْ، وَلَكِنِّي أَرَاهُمْ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي هَذَا الدِّينَ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى أَحْبَارِ يَثْرِبَ فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا بِالدِّينِ الَّذِي أَبْتَغِي، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى أَحْبَارِ خَيْبَرَ فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا بِالدِّينِ الَّذِي أَبْتَغِي، فَخَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى أَحْبَارِ فَدَكٍ فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا بِالدِّينِ الَّذِي أَبْتَغِي، خَرَجْتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى أَحْبَارِ أَيْلَةَ فَوَجَدْتُهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا بِالدِّينِ الَّذِي أَبْتَغِي، فَقَالَ لِي حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الشَّامِ: أَتَسْأَلُ عَنْ دِينٍ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا يَعْبُدُ اللَّهَ بِهِ إِلَّا شَيْخًا بِالْجَزِيرَةِ؟ فَخَرَجْتُ فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي خَرَجْتُ لَهُ، فَقَالَ: إِنَّ كُلَّ مَنْ رَأَيْتَ فِي ضَلَالٍ، إِنَّكَ تَسْأَلُ عَنْ دِينٍ هُوَ دِينُ اللَّهِ وَدِينُ مَلَائِكَتِهِ، وَقَدْ خَرَجَ فِي أَرْضِكَ نَبِيٌّ أَوْ هُوَ خَارِجٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ارْجِعْ فَصَدِّقْهُ وَاتَّبِعْهُ وَآمِنْ بِمَا جَاءَ بِهِ ...». ورواه ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ في «الآحادِ والمثاني»، والْبَزَّارُ وأَبُو يَعْلَى في مسنَدَيهما، والطَّبَرَانِيُّ في «المعجمِ الكبيرِ»، وابْنُ مَنْدَه في «التّوحيدِ»، والْحَاكِمُ في «المستدركِ»، وألفاظُهم متقاربةٌ، وفي كلِّها: «يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيُشْرِكُونَ بِهِ»، وقال الْبَزَّارُ: «وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِهَذَا الْإِسْنَادِ». ومدارُه على مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلْقَمَةَ، وتكلَّمَ فيه غيرُ واحدٍ مِنَ الأئمّةِ، ونقلَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ في «التّاريخ الكبيرِ» مِن كتابِ عَلِيِّ ابْنِ الْمَدِينِيِّ: «سَأَلْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، وَكَيْفَ هُوَ؟ قَالَ: تُرِيدُ الْعَفْوَ أَوْ تُشَدِّدُ؟ قُلْتُ: بَلْ أُشَدِّدُ، قَالَ: لَيْسَ هُوَ مِمَّنْ تُرِيدُ».

٩٠ - رَوَى أَحْمَدُ عن سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، وهو ابنُه: «قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي كَانَ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ وَبَلَغَكَ، وَلَوْ أَدْرَكَكَ لآمَنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ، فَاسْتَغْفِرْ لَهُ، قَالَ: «نَعَمْ، فَأَسْتَغْفِرُ لَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ»». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)][(١)]

٩١ - وبوّبَ له ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ بقولِه: «وَمِنْ ذِكْرِ زَيْدِ بْنِ نُفَيْلٍ ﷺ»

«عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ يَسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةَ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِلَهِي إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ، وَدِينِي دِينُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيُصَلِّي وَيَسْجُدُ، قَالَ: وَقَالَ: «ذَاكَ أُمَّةٌ وَحْدَهُ، يُحْشَرُ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»»[(٢)] [الآحادُ والمَثاني، لِابْنِ أَبِي عَاصِمٍ (ت ٢٨٧هـ)]

٩٢ - وبوّبَ له ابْنُ مَنْدَه بقولِه: «ذِكْرُ اسْتِدْلَالِ مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ وَلَمْ يَأْتِهِ رَسُولٌ». [كتابُ التَّوحيدِ، لِابْنِ مَنْدَه (ت ٣٩٥هـ)]

ثمّ دلَّ حديثُ أَسْمَاءَ الذي يلِي القصّةَ المذكورةَ عند الْبُخَارِيِّ على أنّ زَيْدًا لمّا دخلَ في دِينِ الحنفاءِ وخرجَ مِن دِينِ عَبَدةِ الأوثانِ عَرفَ المسلمَ مِنَ المشركِ، أيْ: فرّقَ بينَهما وبرِئَ مِنَ المشركينَ ودِينِهم وعَرفَ أنّ هؤلاء جميعًا على دِينٍ آخرَ غيرِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ، مع انتسابِهم إليه، فتنبّهْ:

٩٣ - قال الْبُخَارِيُّ: «وَقَالَ اللَّيْثُ: كَتَبَ إِلَيَّ هِشَامٌ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَتْ: رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ يَقُولُ:

[(١)] ورواه الطَّبَرَانِيُّ في «المعجمِ الكبيرِ»، والْبَزَّارُ في «مسندِه»، والْآجُرِّيُّ في «الشّريعةِ»، والْحَاكِمُ في «المستدرَكِ».

[(٢)] ورواه الْبَزَّارُ في «مسندِه» بإسنادِه نحوَه، وأَبُو يَعْلَى مختصرًا، ومدارُه على مُجَالِدٍ عن الشَّعْبِيِّ.

يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي. وَكَانَ يُحْيِي الْمَوْءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ ابْنَتَهُ: لَا تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَهَا مَئُونَتَهَا. فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مَئُونَتَهَا».

[صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، ورواه ابْنُ إِسْحَاقَ في سيرتِه]

٩٤ - وفي روايةٍ له عند ابْنِ هِشَامٍ: «لَقَدْ رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ شَيْخًا كَبِيرًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ ... ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَيَّ الْوُجُوهِ أَحَبُّ إِلَيْكَ عَبَدْتُكَ بِهِ، وَلَكِنِّي لَا أَعْلَمُهُ[1]، ثُمَّ يَسْجُدُ عَلَى رَاحَتِهِ». [السّيرةُ النَّبويَّةُ، لِابْنِ هِشَامٍ (ت ٢١٣هـ)]

ومِن عظيمِ الجهلِ أن يُظَنَّ أنّ مشركِي العربِ في زمنِ النّبيِّ ﷺ كانوا لا يَعرفونَ اللَّهَ البتّةَ أو لا يعبدونَه، بل لفظُ الشّركِ بيِّنٌ في أنّهم آمنُوا بوجودِ اللَّهِ وعبَدُوه، لكنّهم أَشركُوا معه في العبادةِ غيرَه. ومعلومٌ أنّهم انتسبُوا إلى دِينِ إِبْرَاهِيمَ وافتخرُوا بالبيتِ، والنّصوصُ الدّالّةُ على هذا لا تُحصَى، وقد سبقَ كثيرٌ مِنها.

٩٥ - ورَوَى مُسْلِمٌ: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ» فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ». [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

---

[1] وهذا الحديثُ يدلُّ على ما ذُكِرَ في مواضعَ مِن هذا الكتابِ أنّ مَن لم يَعلمِ العباداتِ وتفاصيلَها وكيفيّتَها فهو معذورٌ بجهلِه لأنّ مِثلَ ذلك لا سبيلَ إلى عِلمِه إلّا بالسّمعِ أيْ: بعدَ قيامِ الحجّةِ ببلوغِ النّصِّ الشّرعيِّ إليه. هذا، مع كونِ الأمرِ المذكورِ أبيَنَ مِن أن يحتاجَ إلى أن يُستَدَلَّ عليه بدليلٍ خاصٍّ.

فمَن فهِمَ معنَى الشّهادةِ عَرفَ ما فهِمَه زَيْدٌ الحنيفُ مِمّا بلغَه مِنَ الرّسالةِ، وليس بينَ يدَيه آيةٌ واحدةٌ مِنَ القرآنِ! فهذا رجلٌ كان في زمنِ الفترةِ لم يَبلغْه إلّا الإسلامُ العامُّ، أيْ: معنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فعَرفَ به المسلمَ مِنَ المشركِ![1]

وتدبّرْ حديثَ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ الحنيفِ الذي سبقَ ذِكرُه برقمِ (٨٣)، فإنّه لم يكنْ يَعلمُ أنّ الإسلامَ هو إخلاصُ العبادةِ عِلمًا نظريًّا فحسبُ، بل كان يَعلمُ جيِّدًا كغيرِه مِنَ الحنفاءِ مَن هو على دِينِه ومَن ليس على دِينِه. لذا قال «أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ».

---

[1] لا شكَّ أنّ ما يزيدُ على ذلك مِن شرائعِ الإسلامِ **مِنَ الأمورِ التي لا تَثبتُ إلّا بالسّمعِ** ليس ممّا لا بدَّ مِنه لتحقيقِ الإسلامِ، وأنَّى لهؤلاء الحنفاءِ الدّليلُ عليه إن لم يَسمعُوه مِنَ الخبرِ الثّابتِ عن اللَّهِ ورسلِه عليهم السلام.

أيْ: حتّى لو أَمكنَ أن يَعلمَ المرءُ شيئًا مِن هذه الأمورِ بالنّظرِ والاستدلالِ، ليس معناه أن يكونَ واجبًا عليه وجوبًا شرعيًّا حتّى يأتيَ النّصُّ الذي ذُكِرَ فيه هذا الأمرُ صريحًا.

وهذا أصلٌ عظيمٌ عند أهلِ السّنّةِ والجماعةِ، يفارقونَ به أهلَ البدعةِ المفتونينَ بالفلسفةِ، ولكنّه ينبغِي أن يُفهَمَ على حقيقةِ قولِ أهلِ السّنّةِ الأوّلينَ، وهذا بحثٌ آخرُ ينبغِي أن يُهتَمَّ به في غيرِ هذا المكانِ.

«فصل» (٥): جميعُ الأنبياءِ وأَتباعِهم عَرفُوا المسلمَ مِنَ المشركِ وبَرِئُوا مِنَ المشركينَ، وقولُه تعالَى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾

قد بيّنَ اللَّهُ تعالَى أنّ جميعَ الأنبياءِ تبرّؤُوا مِن أقوامِهم، فقال سبحانَه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة: ٤-٦]

فمَن كان يرجُو اللَّهَ واليومَ الآخِرَ فعليه أن يقتدِيَ بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام ومَن معه في الكفرِ بعُبّادِ الطّاغوتِ والبراءةِ مِنهم.

٩٦ - رَوَى الطَّبَرِيُّ: «قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] قَالَ: الَّذِينَ مَعَهُ الْأَنْبِيَاءُ»

وقال الطَّبَرِيُّ مبيِّنًا: «﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مُخْبِرًا عَنْ قِيلِ أَنْبِيَائِهِ لِقَوْمِهِمُ الْكَفَرَةِ: كَفَرْنَا بِكُمْ؛ أَنْكَرْنَا مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ، وَجَحَدْنَا عِبَادَتَكُمْ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ حَقًّا، وَظَهَرَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا عَلَى كُفْرِكُمْ بِاللَّهِ، وَعِبَادَتِكُمْ مَا سِوَاهُ، وَلَا صُلْحَ بَيْنَنَا وَلَا مَوَدَّةَ، ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ يَقُولُ: حَتَّى تُصَدِّقُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، **فَتُوَحِّدُوهُ، وَتُفْرِدُوهُ بِالْعِبَادَةِ.** وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا

قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا؛ مِنْ مُبَايَنَةِ الْكُفَّارِ وَمُعَادَاتِهِمْ، وَتَرْكِ مُوَالَاتِهِمْ، إِلَّا فِي قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾. فَإِنَّهُ لَا أُسْوَةَ لَكُمْ فِيهِ فِي ذَلِكَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ، قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ. يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ، فَتَبَرَّؤُوا مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِهِ، وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَيَتَبَرَّؤُوا مِنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَأَظْهِرُوا لَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ. ...

وَقَوْلُهُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الممتحنة: ٦] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ قُدْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ، إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَالرُّسُلِ. ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾ يَقُولُ: لِمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَالنَّجَاةَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾ يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَنْ يَتَوَلَّ عَمَّا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ وَنَدَبَهُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَمِنْ غَيْرِكُمْ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ وَأَدْبَرَ مُسْتَكْبِرًا، وَوَالَى أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَأَلْقَى إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ عَنْ إِيمَانِهِ بِهِ، وَطَاعَتِهِ إِيَّاهُ، وَعَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ، الْحَمِيدُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِأَيَادِيهِ، وَآلَائِهِ عِنْدَهُمْ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

فإنّ الأنبياءَ جاؤُوا أقوامَهم وكان أوّلَ ما فعلُوا أن أَظهرُوا لهم البراءةَ، كما يدلُّ عليه ظاهرُ آيةِ الممتحَنةِ[1]، فإنّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام تبرّأَ مِنهم قبلَ أن يتبرّأَ مِن آلهتِهم. وتقديمُ

[1] بفتحِ الحاءِ على المشهورِ، وتُكسَرُ أيضًا.

البراءةِ مِنَ العابدينَ على المعبوداتِ تأكيدٌ شديدٌ لوجوبِ البراءةِ مِنَ المشركينَ ولأهمّيّتِها وشدّةِ تعلّقِها بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وقد تبيّنَ أنّ هذا دِينُ جميعِ الأنبياءِ والرّسلِ.

ثمّ بيّنَ اللَّهُ تعالَى أنّ المرءَ إن كان يرجُو اللَّهَ واليومَ الآخِرَ فلا بدَّ أن يتأسَّى بهذه الأسوةِ الحسنةِ، أمّا مَن كان لا يرجُو اللَّهَ واليومَ الآخِرَ وتولَّى فاللَّهُ غنيٌّ عنه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾ [الممتحنة: ٦]. وفي كلِّ هذا دلالةٌ واضحةٌ على أنّ الأنبياءَ وأتباعَهم عرفُوا المشركينَ وفرّقُوا بينَهم وبينَ المسلمينَ وبناءً على هذا العِلمِ تبرّؤُوا مِن أهلِ الشّركِ.

«فصل» (٦): اشتراطُ النّبيِّ ﷺ البراءةَ مِنَ المشركِ والكافرِ على المرءِ عند أوّلِ دخولِه في الإسلامِ

٩٧ - رَوَى أَحْمَدُ: «أَنَّ جَرِيرًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اشْتَرِطْ عَلَيَّ، قَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُصَلِّي الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَنْصَحُ الْمُسْلِمَ، وَتَبْرَأُ مِنَ الْكَافِرِ»». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)]

٩٨ - ورواه الطَّبَرَانِيُّ: «عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اشْتَرِطْ عَلَيَّ فَإِنَّكَ أَعْلَمُ، قَالَ: «اعْبُدِ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَنْصَحُ الْمُسْلِمَ، وَتَبْرَأُ مِنَ الْكَافِرِ»». [المعجمُ الكبيرُ، لِلطَّبَرَانِيِّ (ت ٣٦٠هـ)]

٩٩ - وفي رواياتٍ عند أَحْمَدَ: «وَعَلَى فِرَاقِ الْمُشْرِكِ» **و** «وَيُفَارِقَ الْمُشْرِكَ»[١]

---

[١] رواهما أَحْمَدُ في «المسندِ»، ورَوَى الأولى أيضًا النَّسَائِيُّ في «المجتبَى» و«الكبرى»، والثّانيةَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ في «المصنَّفِ».

وبوّبَ له النَّسَائِيُّ: «الْبَيْعَةُ عَلَى فِرَاقِ الْمُشْرِكِ»، **ورَوَى فيه:** «عَنْ جَرِيرٍ، قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَعَلَى فِرَاقِ الْمُشْرِكِ». [السّننُ الكُبرى، لِلنَّسَائِيِّ (ت ٣٠٣هـ)، وأَوردَه الْخَلَّالُ في السّنّةِ]

فكما ترَى قد بيّنَ له النّبيُّ ﷺ البراءةَ مِنَ المشركِ عند أوّلِ دخولِه في الإسلامِ، بل أَوجبَها، بل اشترطَها عليه، فقد أَبعدَ مَن يريدُ أن يَدفعَ ذلك.

«فصل» (٧): لا يَقبلُ اللَّهُ عملًا حتّى يفارقَ المشركينَ إلى المسلمينَ

وكذلك حديثُ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، فيه اشتراطُ مفارقةِ المشركينَ إلى المسلمينَ لقبولِ الأعمالِ:

١٠٠ - رَوَى ابْنُ مَاجَه: «عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، حَتَّى يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ»». [سننُ ابْنِ مَاجَه (ت ٢٧٣هـ)، وبنحوِه عند النَّسَائِيِّ][1]

١٠١ - وجاءَ الحديثُ عند أَحْمَدَ مطوَّلًا: «عَنْ بَهْزٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكَ حَتَّى حَلَفْتُ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ أُولَاءِ، وَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى أَنْ لَا آتِيَكَ، **وَلَا آتِيَ دِينَكَ**، وَإِنِّي قَدْ جِئْتُ امْرَأً لَا أَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللَّهِ بِمَ بَعَثَكَ رَبُّنَا إِلَيْنَا؟

---

[1] رواه الْحَاكِمُ وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وقال التِّرْمِذِيُّ في بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ: «وَهُوَ ثِقَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ». ولفظُ النَّسَائِيِّ في حديثٍ طويلٍ: «أَوْ يُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ».

قَالَ: «بِالْإِسْلَامِ». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا آيَةُ الْإِسْلَامِ؟
قَالَ: «**أَنْ تَقُولَ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَتَخَلَّيْتُ**، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَكُلُّ مُسْلِمٍ عَلَى مُسْلِمٍ مُحَرَّمٌ أَخَوَانِ نَصِيرَانِ **لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُشْرِكٍ يُشْرِكُ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ** مَا لِي أُمْسِكُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، أَلَا إِنَّ رَبِّي دَاعِيَّ وَإِنَّهُ سَائِلِي: «هَلْ بَلَّغْتَ عِبَادِي؟» وَأَنَا قَائِلٌ لَهُ: «رَبِّ قَدْ بَلَّغْتُهُمْ» أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ، ...» قَالَ: قُلْتُ: **يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا دِينُنَا**. قَالَ: «**هَذَا دِينُكُمْ** وَأَيْنَمَا تُحْسِنْ يَكْفِكَ»». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)]

ففي الحديثِ أنّ اللَّهَ لا يَقبلُ ممّن دخلَ في دِينِ الإسلامِ عملًا حتّى يفارقَ المشركينَ إلى المسلمينَ، وقال في آخرِ الحديثِ «هَذَا دِينُكُمْ» وكان جوابًا عن سؤالِه «وَمَا آيَةُ الْإِسْلَامِ؟» أي: علامتُه، وقولِه بعدَ ذلك «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا دِينُنَا». فإن قِيلَ لعلّ هذا في مفارقةِ المشركينَ إلى المسلمينَ بالبدنِ ويكونُ ذلك بالهجرةِ إليهم، وهذه لا يَكفرُ تاركُها وإن كان آثمًا، قِيلَ: فهو في مفارقةِ المشركينَ إلى المسلمينَ بالعقيدةِ والقلبِ آكدُ وآكدُ، وهل يظنُّ عاقلٌ أنّ مَن لم يفارقْ دِينَهم في القلبِ دخلَ في دِينِ الإسلامِ عِلمًا وقصدًا وعملًا؟!

ثمّ تذكّرْ أنّ فراقَ المشركِ جاءَ مفسَّرًا بالبراءةِ مِنَ الكافرِ في حديثِ جَرِيرٍ السّابقِ ذكرُه بالأرقامِ (٩٧-٩٩)، فهل يظنُّ ظانٌّ أنّ مَن لم يفارقْهم بالعقيدةِ وظنَّ أنّه لم يزلْ معهم على دِينٍ واحدٍ قد حقّقَ ما طُلِبَ مِنه في دِينِ الإسلامِ أصلًا؟

«فصل» (٨): في أنّ أصلَ البراءةِ هو نفيُ الإسلامِ عن المشركِ وهذا يكونُ عن عِلمٍ وأنّ الإحسانَ إلى المشركِ لا يناقضُ أصلَ البراءةِ

المرادُ بالبراءةِ هاهنا مِن حيثُ الأصلُ أن يُخرِجَ المسلمُ المشركَ عن دِينِه فيَنفِيَ عنه وصفَ الإسلامِ واسمَه، أمّا أن يَصِلَ الرّحِمَ أو يُحسِنَ إلى الجارِ وغيرُ ذلك بعدَ أن جَزمَ بأنّه ليس مسلمًا فليس هذا مرادًا هنا.

ولا يخالفُ مَن له عِلمٌ بالكتابِ والسّنّةِ أنّ مِثلَ هذا الإحسانِ إلى الكافرِ لا ينافِي أصلَ الإيمانِ، كما يتبيّنُ مِنَ الآياتِ التي بعدَ المذكورةِ سابقًا: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩﴾ [الممتحنة: ٧-٩]

١٠٢ - قال الطَّبَرِيُّ في هذه الآياتِ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾، أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، ﴿عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨] مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ﴾ يَقُولُ: وَتَعْدِلُوا فِيهِمْ بِإِحْسَانِكُمْ إِلَيْهِمْ، وَبِرِّكُمْ بِهِمْ. ... وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِذَلِكَ: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ **مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمِلَلِ وَالْأَدْيَانِ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتَصِلُوهُمْ، وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**، إِنَّ اللَّهَ ﷻ عَمَّ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾ جَمِيعَ مَنْ كَانَ ذَلِكَ صِفَتَهُ، فَلَمْ يَخْصُصْ بِهِ بَعْضًا دُونَ بَعْضٍ،

وَلَا مَعْنَى لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: ذَلِكَ مَنْسُوخٌ، لِأَنَّ بِرَّ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ مِمَّنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ قَرَابَةُ نَسَبٍ، أَوْ مِمَّنْ لَا قَرَابَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَلَا نَسَبَ غَيْرُ مُحَرَّمٍ وَلَا مَنْهِيٍّ عَنْهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ دَلَالَةٌ لَهُ، أَوْ لِأَهْلِ الْحَرْبِ عَلَى عَوْرَةٍ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، أَوْ تَقْوِيَةٌ لَهُمْ بِكُرَاعٍ أَوْ سِلَاحٍ. وَقَدْ بَيَّنَ صِحَّةَ مَا قُلْنَا فِي ذَلِكَ الْخَبَرُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي قِصَّةِ أَسْمَاءَ وَأُمِّهَا». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

ومَن فسّرَ هذه الآياتِ بمعانٍ أُخَرَ مِن أهلِ التّفسيرِ لا يَقصِدُ أنّ كلَّ إحسانٍ إلى المشركِ في كلِّ زمانٍ وكلِّ مكانٍ محرَّمٌ وأنّه مناقِضٌ لأصلِ البراءةِ، إذ لا يقولُ هذا أحدٌ مِن أهلِ العِلمِ. وما قِيلَ هنا فهو مِن بابِ الإشارةِ إذ ليس الأمرُ المشارُ إليه محلَّ هذا البحثِ.

«فصل» (٩): الشّيطانُ يَبرأُ مِن إشراكِ المشركينَ إيّاه مع اللَّهِ يومَ القيامةِ بقولِه ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾، وعلاقةُ ذلك بآيةِ الممتحَنةِ

قال تعالَى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]

أي: إنّ الشّيطانَ يتبيّنُ له في ذلك الموقفِ أنّ الإصرارَ على ما هو عليه مِن دعوةِ النّاسِ إلى عبادتِه وإلى تركِ عبادةِ اللَّهِ والإشراكِ به يُوجِبُ له العذابَ لا محالةَ، فيحاولُ أن يتبرّأَ مِن كلِّ مَن أَطاعَه وأَشركَه باللَّهِ براءةً تامّةً، وفي القرآنِ أنّه لا يجدُ لهذه البراءةِ في هذا الموقفِ الشّديدِ إلّا أن يقولَ: ﴿**إِنِّي كَفَرْتُ** بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢]

١٠٣ - قال الطَّبَرِيُّ: «﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] يَقُولُ: إِنِّي جَحَدْتُ أَنْ أَكُونَ شَرِيكًا للَّهِ فِيمَا أَشْرَكْتُمُونِي فِيهِ مِنْ عِبَادَتِكُمْ مِنْ قَبْلُ فِي الدُّنْيَا»

«عَنْ عَامِرٍ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿مَآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] قَالَ: خَطِيبَانِ يَقُومَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِبْلِيسُ، وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَأَمَّا إِبْلِيسُ فَيَقُومُ فِي حِزْبِهِ فَيَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، وَأَمَّا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧]»

ورَوَى بعدَه، قال: «عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢] قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَامَ إِبْلِيسُ خَطِيبًا عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ نَارٍ، فَقَالَ: ... ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ﴾ قَالَ: بِطَاعَتِكُمْ إِيَّايَ فِي الدُّنْيَا». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)، وبمِثلِها عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ فيما نقلَه السُّيُوطِيُّ في «الدّرِّ المنثورِ»]

ولا شكَّ أنّ الشّيطانَ - عليه لعنةُ اللَّهِ - لو وجدَ كلمةً تعبِّرُ عن البراءةِ مِن إشراكِ النّاسِ إيّاه باللَّهِ أشدَّ مِنَ الكفرِ بعبادتِهم، لاختارَها ليكونَ أدلَّ على المقصودِ. وهذا يوضِّحُ أنّ الكفرَ بالمشركينَ الذي أمرَنا اللَّهُ تعالَى به هو أشدُّ ما يكونُ مِنَ البراءةِ.

وفي ذلك دلالةٌ قويّةٌ على معنَى البراءةِ في قولِ الأنبياءِ للمشركينَ مِن أقوامِهم ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤].

ومِنَ النّاسِ مَن يريدونَ التّلاعبَ بآيةِ الممتحَنةِ، يزعمونَ أنّ الذي فيها ليس وصفًا لِما لا بدَّ مِنه في دِينِ جميعِ الأنبياءِ مِنَ العِلمِ الفارقِ بينَ المسلمِ والمشركِ. وهذه الأقاويلُ

ليس هنا محلُّ ردِّها، لكن لا يستريبُ مَن عرفَ كلامَ السّلفِ أنّ الآيةَ تبيِّنُ أساسَ دِينِ الأنبياءِ جميعًا.

١٠٤ - رَوَى الطَّبَرِيُّ: «عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الممتحنة: ٤] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾، يَقُولُ: **فِي كُلِّ أَمْرِهِ أُسْوَةٌ، إِلَّا الِاسْتِغْفَارَ لِأَبِيهِ**». **ورَوَى:** «عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الْآيَةَ. يَقُولُ: **ائْتَسُوا بِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ**، مَا خَلَا قَوْلَهُ لِأَبِيهِ: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾. فَلَا تَأْتَسُوا بِذَلِكَ مِنْهُ، فَإِنَّهَا كَانَتْ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ». **وفي روايةٍ عنه:** «لَا تَأَسَّوْا بِذَلِكَ، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ مَوْعِدًا، **وَتَأَسَّوْا بِأَمْرِهِ كُلِّهِ**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

١٠٥ - وقال الطَّبَرِيُّ في قولِه تعالَى عن إِبْرَاهِيمَ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]: «﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ يَقُولُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَجَعَلَ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ - **وَهُوَ قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** - كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ، وَهُمْ ذُرِّيَّتُهُ، فَلَمْ يَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِهِ». **ثمّ رَوَى عن مُجَاهِدٍ والسُّدِّيِّ:** «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، **وعن قَتَادَةَ:** «**شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالتَّوْحِيدَ**، لَمْ يَزَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يَقُولُهَا مِنْ بَعْدِهِ»، **وفي روايةٍ عنه:** «**التَّوْحِيدَ وَالْإِخْلَاصَ**، وَلَا يَزَالُ فِي ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يُوَحِّدُ اللَّهَ وَيَعْبُدُهُ»، **وعن ابْنِ زَيْدٍ، وقرأَ** ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]: «جَعَلَ هَذِهِ كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ، وَقَالَ: **الْإِسْلَامُ**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

ففسّرُوا الكلمةَ التي هي شهادةُ الإسلامِ بهذه المعانِي المذكورةِ.

١٠٦ - رَوَى أَبُو دَاوُدَ: «عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِنَوْفَلٍ: «اقْرَأْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١] ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا، **فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ**»».

[سننُ أَبِي دَاوُدَ (ت ٢٧٥هـ)][(١)]

ولازمُ قولِ هؤلاء ضرورةً أنّ المسلمَ يكفِيه أن يفارقَ عبادةَ الأوثانِ بنفسِه ليكونَ مسلمًا، وإن اعتقدَ أنّه هو ومَن عبَدَ الأوثانَ على دِينٍ واحدٍ، ويُعتَذَرُ له - بزعمِ هؤلاء - بأنّه عند دخولِه في الإسلامِ لم يَعرفِ الآياتِ الآمرةَ بالبراءةِ مِنَ المشركينَ، فلا بأسَ، لأنّه حقّقَ الإسلامَ بمجرَّدِ أن يَتركَ هو نفسُه الشّركَ، وإن لم يَعلمْ أنّ عُبّادَ الأوثانِ على دِينٍ آخرَ! يقولونَ يُعتَذَرُ له لأنّه اشتبهتْ عليه بعضُ الأمورِ فحَكمَ لعابدِ الوثنِ بالإسلامِ.

فيُقالُ: بماذا يُعتَذَرُ له؟ أبأنّه اشتبهَ عليه أنّ عبادةَ الأوثانِ منافِيةٌ للإسلامِ؟ ولا يُنسَى هاهنا أنّنا في معرِضِ الكلامِ على الشّركِ الأكبرِ الصّريحِ، لا على ما يحتمِلُ الشّركَ الأكبرَ وغيرَه مِنَ الأعمالِ والأقوالِ! فإن اشتبهَ هذا، وهو الأصلُ الذي لا يَثبتُ شيءٌ إلّا به، فهل بقِيَ بعدَه شيءٌ؟

---

(١) ورواه التِّرْمِذِيُّ، والنَّسَائِيُّ في «السّنن الكبرى»، وأَحْمَدُ، والدَّارِمِيُّ، مِن طريقِ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ، واختُلِفَ عليه فيه، فقال التِّرْمِذِيُّ في روايةِ زُهَيْرٍ عنه عن فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ عن أبيه: «وَهَذَا أَشْبَهُ وَأَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ، وَقَدِ اضْطَرَبَ أَصْحَابُ أَبِي إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ»، وقال الدَّارَقُطْنِيُّ في «العللِ»: «وَرَوَاهُ إِسْرَائِيلُ، وَأَشْعَثُ بْنُ سَوَّارٍ، وَأَبُو مَرْيَمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيِّ، وَهُوَ الصَّحِيحُ». وله طريقٌ آخرُ عند ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ في «المصنَّفِ» عن أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَوْفَلٍ عن أبيه.

وهل يحاولُ مَن له عقلٌ ودِينٌ أن يحمِّلَ كلامَ اللَّهِ هذا المعنَى تلاعبًا كلاميًّا فلسفيًّا ببعضِ العباراتِ في الآيةِ بعيدًا عن فهمِ كلامِ اللَّهِ على مرادِ اللَّهِ وعلى وَفْقِ بيانِ السّلفِ لعامّةِ الآياتِ المبيِّنةِ لمعنَى توحيدِ العبادةِ؟

فعلى أمثالِ هؤلاء المعترِضينَ أن يَتركُوا مِثلَ هذا وأن يراجعُوا أنفسَهم ويَبحثُوا عن معانِي القرآنِ في مظانِّها بحثًا صادقًا، عسَى اللَّهُ أن يوفِّقَ المرءَ إذا فعلَ ذلك، وباللَّهِ تعالَى التّوفيقُ.

«فصل» (١٠): قولُ اللَّهِ ﷻ عن إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ وعن نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ مِثلَه

قال تعالَى في سورةِ البقرةِ: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ [البقرة: ١٣٥]

وفي آلِ عمرانَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧]

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٥]

وفي سورةِ الأنعامِ: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣]

وفي سورةِ النّحلِ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣]

وقال بصيغةٍ أخرَى في سورةِ الأنعامِ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنعام: ٧٩-٨١]

١٠٧ - قال الطَّبَرِيُّ: «﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩] وَهَذَا خَبَرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ وَعَرَفَهُ، شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَأَظْهَرَ خِلَافَ قَوْمِهِ أَهْلِ الْبَاطِلِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَلَمْ تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَلَمْ يَسْتَوْحِشْ مِنْ قِيلِ الْحَقِّ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، مَعَ خِلَافِ جَمِيعِ قَوْمِهِ لِقَوْلِهِ وَإِنْكَارِهِمْ إِيَّاهُ عَلَيْهِ،

وَقَالَ لَهُمْ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٨] مَعَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَكُمْ فِي عِبَادَتِهِ مِنْ آلِهَتِكُمْ وَأَصْنَامِكُمْ، **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ فِي عِبَادَتِي** إِلَى الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، الدَّائِمِ الَّذِي يَبْقَى وَلَا يَفْنَى، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، لَا إِلَى الَّذِي يَفْنَى وَلَا يَبْقَى، وَيَزُولُ وَلَا يَدُومُ، وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ.

ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَنَّ تَوْجِيهَهُ وَجْهَهُ لِعِبَادَتِهِ **بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي ذَلِكَ لِرَبِّهِ عَلَى مَا يُحِبُّ مِنَ التَّوْحِيدِ**، لَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُوَجِّهُ لَهُ وَجْهَهُ **مَنْ لَيْسَ بِحَنِيفٍ، وَلَكِنَّهُ بِهِ مُشْرِكٌ، إِذْ كَانَ تَوْجِيهُ الْوَجْهِ لَا عَلَى التَّحَنُّفِ غَيْرَ نَافِعٍ مُوَجِّهَهُ بَلْ ضَارُّهُ وَمُهْلِكُهُ.**

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ يَقُولُ: **وَلَسْتُ مِنْكُمْ أَيْ لَسْتُ مِمَّنْ يَدِينُ دِينَكُمْ، وَيَتَّبِعُ مِلَّتَكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ.** وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ كَانَ ابْنُ زَيْدٍ يَقُولُ

... قَالَ ابْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ لِإِبْرَاهِيمَ: تَرَكْتَ عِبَادَةَ هَذِهِ؟ فَقَالَ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، فَقَالُوا: مَا جِئْتَ بِشَيْءٍ وَنَحْنُ نَعْبُدُهُ وَنَتَوَجَّهُهُ، فَقَالَ: لَا، ﴿حَنِيفًا﴾ قَالَ: **مُخْلِصًا، لَا أُشْرِكُهُ كَمَا تُشْرِكُونَ**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

وكذلك في سورةِ يوسفَ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]

١٠٨ - قال الطَّبَرِيُّ في الآيةِ: «﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ **مُحَمَّدٍ** ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يَا **مُحَمَّدُ** ﴿هَٰذِهِۦ﴾ الدَّعْوَةُ الَّتِي أَدْعُو إِلَيْهَا، وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا **مِنَ الدُّعَاءِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ** دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَالِانْتِهَاءِ إِلَى طَاعَتِهِ وَتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ ﴿سَبِيلِيٓ﴾ وَطَرِيقَتِي وَدَعْوَتِي ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿**عَلَىٰ بَصِيرَةٍ**﴾ **بِذَلِكَ وَيَقِينٍ عِلْمٍ مِنِّي** بِهِ، ﴿**أَنَا۠**﴾ **وَيَدْعُو إِلَيْهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَيْضًا** ﴿**مَنِ ٱتَّبَعَنِي**﴾ **وَصَدَّقَنِي وَآمَنَ بِي**

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ يَقُولُ لَهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَقُلْ تَنْزِيهًا لِلَّهِ وَتَعْظِيمًا لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ، أَوْ مَعْبُودٌ سِوَاهُ فِي سُلْطَانِهِ، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ يَقُولُ: **وَأَنَا بَرِيءٌ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ بِهِ، لَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا هُمْ مِنِّي**. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

فهذا أيضًا واضحٌ في الدّلالةِ على أنّ دِينَ جميعِ الأنبياءِ لا بدَّ فيه مِنَ العِلمِ الفاصلِ بينَ المسلمِ والمشركِ والبراءةِ مِنَ المشركينَ. ذلك أنّ اللَّهَ تعالَى بيّنَ في القرآنِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عِدّةَ مرّاتٍ، وختمَ ذلك في كلِّ مرّةٍ بوصفِه بمِثلِ قولِه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣].

ثمّ أَمرَ اللَّهُ تعالَى نبيَّنا مُحَمَّدًا ﷺ باتّباعِ ملّةِ إِبْرَاهِيمَ كما سبقَ بقولِه ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النحل: ١٢٣].

وكان يكفِي ذلك في بيانِ أنّنا أُمِرْنا ألّا نكونَ مِنَ المشركينَ، لكنّ اللَّهَ تعالَى بيّنَه مرّةً أخرَى تصريحًا، فأَمرَ نبيَّنا مُحَمَّدًا ﷺ أن يقولَ ذلك القولَ كما قاله إِبْرَاهِيمُ عليه السلام، فقال كما سبقَ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وكذلك كان يكفِي لبيانِ المقصودِ أن يبيِّنَه فقط مِن كلامِ نبيِّنا ﷺ وأن يأمرَه باتّباعِ ملّةِ إِبْرَاهِيمَ، فيُعرَفَ أنّ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام هو ألّا يكونَ مِنَ المشركينَ كما قاله مُحَمَّدٌ ﷺ، لكنّه بيّنَ الأمرَينِ تصريحًا. فبيّنَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وبيّنَ دِينَ مُحَمَّدٍ ﷺ وبيّنَ دِينَ كلِّ واحدٍ مِنهما بالآخَرِ لمّا أَمرَ أحدَهما باتّباعِ ملّةِ الآخَرِ، وهذا تأكيدٌ شديدٌ وبيانٌ واضحٌ.

«فصل» (١١): في توبةِ المرتدّينَ بإقرارِهم على أنفسِهم وموتاهم بالكفرِ

١٠٩ - بوّبَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: «مَا قَالُوا فِي الرَّجُلِ يُسْلِمُ ثُمَّ يَرْتَدُّ مَا يُصْنَعُ بِهِ»، **ورَوَى فيه:** «عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ، قَالَ: «ارْتَدَّ عَلْقَمَةُ بْنُ عُلَاثَةَ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَاتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: فَأَبَى أَنْ يَجْنَحَ لِلسَّلْمِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا يُقْبَلُ مِنْكَ إِلَّا سَلْمٌ مُخْزِيَةٌ أَوْ حَرْبٌ مُجْلِيَةٌ[1]، قَالَ، فَقَالَ: وَمَا سَلْمٌ مُخْزِيَةٌ؟، قَالَ: **تَشْهَدُونَ عَلَى قَتْلَانَا أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَّ قَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ**، وَتَدُونَ قَتْلَانَا وَلَا نَدِي قَتْلَاكُمْ، فَاخْتَارُوا سَلْمًا مُخْزِيَةً»»

---

[1] «مُجْلِيَةٌ»: مِنَ الإجلاءِ، وهو الإخراجُ مِنَ الدّارِ، قال الْأَزْهَرِيُّ في «تهذيبِ اللّغةِ»: «وَيُقَالُ: أَجْلَاهُمُ السُّلْطَانُ فَأَجْلَوْا وَجَلَوْا، أَيْ: أَخْرَجَهُمْ فَخَرَجُوا».

وبعدَه رَوَى: «عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: جَاءَ وَفْدُ بُزَاخَةَ: أَسَدٌ وَغَطَفَانُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ يَسْأَلُونَهُ الصُّلْحَ، فَخَيَّرَهُمْ أَبُو بَكْرٍ بَيْنَ الْحَرْبِ الْمُجْلِيَةِ أَوِ السَّلْمِ الْمُخْزِيَةِ، قَالَ: فَقَالُوا: هَذَا الْحَرْبُ الْمُجْلِيَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَمَا السَّلْمُ الْمُخْزِيَةُ؟

قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: ... وَتَدُونَ قَتْلَانَا وَلَا نَدِي قَتْلَاكُمْ، **وَقَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ**، وَتَرُدُّونَ مَا أَصَبْتُمْ مِنَّا وَنَغْنَمُ مَا أَصَبْنَا مِنْكُمْ،

فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ رَأْيًا، وَسَنُشِيرُ عَلَيْكَ، ... وَأَمَّا أَنْ نَغْنَمَ مَا أَصَبْنَا مِنْهُمْ وَيَرُدُّونَ مَا أَصَابُوا مِنَّا فَنِعْمَ مَا رَأَيْتَ، وَأَمَّا قَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ وَقَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ فَنِعْمَ مَا رَأَيْتَ، وَأَمَّا أَنْ لَا نَدِيَ قَتْلَاهُمْ فَنِعْمَ مَا رَأَيْتَ، وَأَمَّا أَنْ يَدُوا قَتْلَانَا فَلَا، قَتْلَانَا قُتِلُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ فَلَا دِيَاتٍ لَهُمْ، فَتَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ».

[مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (ت ٢٣٥هـ)][1]

١١٠ - ورواه أَحْمَدُ: «عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: لَمَّا صَالَحَ أَبُو بَكْرٍ أَهْلَ الرِّدَّةِ صَالَحَهُمْ عَلَى حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ، أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ قَالَ: قَدْ عَرَفْنَا الْحَرْبَ الْمُجْلِيَةَ فَمَا السَّلْمُ الْمُخْزِيَةُ؟ قَالَ: **تَشْهَدُونَ أَنْ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ، وَأَنْ قَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ**، وَأَنْ تَدُوا قَتْلَانَا، وَلَا نَدِي قَتْلَاكُمْ، وَإِنَّ مَا أَصَبْنَا مِنْكُمْ، فَهُوَ لَنَا وَمَا أَصَبْتُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ إِلَى أَهْلِهِ. فَذَكَرَ الْحَدِيثَ». [فَضائِلُ الصَّحابةِ، لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (ت ٢٤١هـ)]

١١١ - ورواه الْخَلَّالُ، وفيه: «إِنَّهُ قَالَ لَهُمْ: تَشْهَدُونَ أَنَّ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ **وَمَا رَضِيَ، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى شَهِدُوا**»

---

[1] وحديثُ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ أصلُه عند الْبُخَارِيِّ مختصَرًا، أنّ أَبَا بَكْرٍ قال لوَفدِ بُزَاخَةَ: «تَتْبَعُونَ أَذْنَابَ الْإِبِلِ حَتَّى يُرِيَ اللَّهُ خَلِيفَةَ نَبِيِّهِ ﷺ وَالْمُهَاجِرِينَ أَمْرًا يَعْذِرُونَكُمْ بِهِ»، ورواه بتمامِه أَبُو عُبَيْدٍ في «الأموالِ»، وسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ في «سننِه»، وابْنُ زَنْجُوَيْهِ في «الأموالِ».

وفي روايةٍ أخرَى: «وَاللَّهِ مَا رَضِيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مِنْ أَهْلِ الرِّدَّةِ **حَتَّى شَهِدُوا** أَنَّ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ». [السُّنَّةُ، لِلْخَلَّالِ (ت ٣١١هـ)، ورواه أيضًا الطَّبَرَانِيُّ في الأوسطِ]

وإن سألَ سائلٌ عن وجهِ دلالتِه على ما نحن فيه، فالجوابُ أنّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ طَلبَ مِنهم للدّخولِ في الإسلامِ مرّةً أخرَى أن يَعلمُوا ويُقِرُّوا على أنفسِهم بأنّهم كانوا كفّارًا وأنّ مَن ماتَ مِنهم على ذلك ماتَ كافرًا وهو في النّارِ، ولم يكتفِ مِنهم بمجرَّدِ التّلفّظِ بالشّهادةِ، بل أَرادَ أن يَشهدُوا على قتلاهم بالنّارِ.

وإن قيلَ: لعلّ بعضَ ذلك لم يكنْ في مَن عادَ إلى عبادةِ الأوثانِ، فالجوابُ: نعم، كان هناك مِن أهلِ الرّدّةِ مَن آمنَ بنبيٍّ بعدَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِثلَ مَن آمنَ بنبوّةِ مُسَيْلِمَةَ مِن بني حَنِيفَةَ، وكان مِنهم مَن عادَ إلى دِينِ الأوثانِ، وكان مِنهم مَن امتنعَ عن بعضِ الشّرائعِ، فأمّا مَن عادَ مِنهم إلى عبادةِ الأوثانِ فأمرُه واضحٌ، فإنّ الصّحابةَ لم يشكَّ أحدٌ مِنهم أنّ هؤلاء خرجُوا مِن دِينِ الإسلامِ وعادُوا إلى دِينِ الأوثانِ وبه يتمُّ المقصودُ، وأمّا غيرُ هؤلاء فأمرُهم أخفَى فيكونُ أدلَّ على المقصودِ.

فمَن آمنَ بمُسَيْلِمَةَ مثلًا أَشركَ في النّبوّةِ، والصّحابةُ لم يشكَّ أحدٌ مِنهم أنّ مَن هذه حالُه كافرٌ باللَّهِ تعالَى خارجٌ مِن ملّةِ الإسلامِ، والشّركُ في العبادةِ أوضحُ، وأَولَى وآكدُ أن يُخرِجُوا مَن وقعَ فيه مِن ملّةِ الإسلامِ.

«فصل» (١٢): قصّةُ هِرَقْلَ ومعرفةُ أهلِ الكتابِ والمشركينَ معنَى الإسلامِ

والعَجَمُ أيضًا كانوا يَعرفونَ معنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كما يتبيّنُ مِن قصّةِ هِرَقْلَ.

١١٢ - أَخرجَ الْبُخَارِيُّ عن أَبِي سُفْيَانَ: «قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: **يَقُولُ: «اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ»،** وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ»

ثمّ فسّرَ هِرَقْلُ جوابَه فقال: «وَسَأَلْتُكَ: بِمَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، **وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ،** وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

فإنّ هِرَقْلَ كان يَعلمُ يقينًا أنّ هذا الدِّينَ إن كان هو دِينَ اللَّهِ على الحقيقةِ، فلا بُدَّ أنّه دِينُ توحيدِ العبادةِ وأنّ مُحَمَّدًا إن كان نبيًّا حقًّا، فلا بُدَّ أن يأمرَ بدِينِ اللَّهِ، بدِينِ التّوحيدِ في العبادةِ.

وكذلك أَبُو سُفْيَانَ لم يَخْفَ عليه ما يُريدُ النّبيُّ ﷺ مِنهم، ولا ما هو الإسلامُ. فلو سألَ هِرَقْلُ عن رجلٍ يدّعِي النّبوّةَ: «بمَ يأمرُكم؟» فأجابَ المسؤولُ: «يأمرُنا بالصّلاةِ، ولو عَبَدْنا الأوثانَ وقُمنا بصلاتِه التي يأمرُنا بها لكُنّا على دِينِه»، لعَلِمَ قطعًا أنّ هذا المدّعِيَ مِن أعظمِ المفترِينَ على اللَّهِ تعالَى وليس نبيًّا في شيءٍ.

١١٣ - «فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ...

فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ. ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ، وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ، وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ، فَلَمْ يَرِمْ[١] حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ،

فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ[٢] لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِيَّ؟ فَحَاصُوا[٣] حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ. وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ. فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ[٤]». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

فإذا فهِمتَ هذا رحِمَك اللَّهُ فهِمتَ أنّ كثيرًا مِنَ النّاسِ اليومَ لا يَعلمونَ ما هو الإسلامُ بخلافِ المشركينَ والنّصارَى المذكورينَ وغيرِهم في زمنِ النّبيِّ ﷺ، فإنّهم فهِمُوه تمامَ الفهمِ، لكنّهم لم يَعملُوا به. فبئسَ القومُ مَن كان كلُّ هؤلاء أعلمَ بلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنهم.

---

[١] «لَمْ يَرِمْ»: لم يَبرَحْ، قال الْخَلِيلُ في «العَيْنِ»: «الرَّيْمُ: الْبَرَاحُ، وَالْفِعْلُ: رَامَ يَرِيمُ، وَتَقُولُ: مَا يَرِيمُ يَفْعَلُ كَذَا، أَيْ: مَا يَبْرَحُ»، والبَراحُ: الزّوالُ عنِ المكانِ.

[٢] قال الْخَلِيلُ في «العَيْنِ»: «الدَّسْكَرَةُ: بِنَاءٌ شِبْهُ قَصْرٍ، حَوْلَهُ بُيُوتٌ ... تَكُونُ لِلْمُلُوكِ».

[٣] «حَاصُوا»: عدَلُوا ورجَعُوا، قال الْجَوْهَرِيُّ في «الصّحاحِ» عن الْفَرَّاءِ: «حَاصَ عَنْهُ يَحِيصُ حَيْصًا ... أَيْ: عَدَلَ وَحَادَ».

[٤] وفي هذا الحديثِ أيضًا ردٌّ على بعضِ غلاةِ المرجِئةِ والجهميّةِ في هذا الزّمانِ الذين يَظنّونَ أنّ مجرّدَ معرفةِ الحقِّ يَكفِي لصحّةِ الإسلامِ.

وقد يُقالُ هنا: «إنّ هِرَقْلَ نفسَه كان على الشّركِ وعلى النّصرانيّةِ المحرَّفةِ، فلعلّه لم يَفهمْ حقيقةَ ما يدعُو إليه مُحَمَّدٌ ﷺ». فيُقالُ: أمّا هل كان هِرَقْلُ على النّصرانيّةِ المحرَّفةِ فهذا بحثٌ آخرُ، وأمّا فهمُه لِما دعَا إليه النّبيُّ ﷺ فظاهرٌ مِن نصِّ الحديثِ، فمَن عَرفَ قصّتَه عَلِمَ أنّه فهِمَه فهمًا تامًّا، وأنّه لم يَرُدَّه لعدمِ موافقتِه عليه عِلمًا واعتقادًا.

وحتّى على تقديرِ أنّه كان على الشّركِ مِن قبلُ، فإنّه في حينِ كلامِه مع أَبِي سُفْيَانَ عَرفَ الدِّينَ وخصائصَه، إذ سألَ عنها وحكمَ على وَفْقِها، فعَلِمَ أنّ رسالةَ مُحَمَّدٍ ﷺ دِينُ اللَّهِ والحقُّ المُبِينُ، وأنّها النّهيُ عن كلِّ شركٍ.

وأوضحُ مِن ذلك ما ذكرتُ مِن شأنِ أَبِي سُفْيَانَ ومشركي قُرَيْشٍ، فإنّهم لم يَخْفَ عليهم ما هو الإسلامُ. وكذلك النَّجَاشِيُّ الذي أَسلمَ، كما يأتي في قصّتِه، لا شكَّ أنّه كان متيقِّنًا أنّ الإسلامَ هو الخلوصُ مِنَ الشّركِ.

«فصل» (١٣): قصّةُ النَّجَاشِيِّ رحمَه اللَّهُ تعالَى ورضيَ عنه

١١٤ - قال ابْنُ هِشَامٍ: «قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمِنُوا وَاطْمَأَنُّوا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَأَنَّهُمْ قَدْ أَصَابُوا بِهَا دَارًا وَقَرَارًا، ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا فِيهِمْ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ جَلْدَيْنِ إِلَى النَّجَاشِيِّ، فَيَرُدَّهُمْ عَلَيْهِمْ، لِيَفْتِنُوهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَيُخْرِجُوهُمْ مِنْ دَارِهِمْ، الَّتِي اطْمَأَنُّوا بِهَا وَأَمِنُوا فِيهَا، فَبَعَثُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَجَمَعُوا لَهُمَا هَدَايَا لِلنَّجَاشِيِّ وَلِبَطَارِقَتِهِ، ثُمَّ بَعَثُوهُمَا إِلَيْهِ فِيهِمْ ...»

«عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى لَا نُؤْذَى

وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا، ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَى النَّجَاشِيِّ فِينَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ جَلْدَيْنِ ...

فَلَمْ يَبْقَ مِنْ بِطَارِقَتِهِ بِطْرِيقٌ إِلَّا دَفَعَا إِلَيْهِ هَدِيَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَا النَّجَاشِيَّ، وَقَالَا لِكُلِّ بِطْرِيقٍ مِنْهُمْ: إِنَّهُ قَدْ ضَوَى[1] إِلَى بَلَدِ الْمَلِكِ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، **فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ**، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتُمْ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَى الْمَلِكِ فِيهِمْ أَشْرَافَ قَوْمِهِمْ لِيَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا كَلَّمْنَا الْمَلِكَ فِيهِمْ، فَأَشِيرُوا عَلَيْهِ بِأَنْ يُسَلِّمَهُمْ إِلَيْنَا وَلَا يُكَلِّمَهُمْ، فَإِنَّ قَوْمَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُمَا: نَعَمْ.

ثُمَّ إِنَّهُمَا قَدَّمَا هَدَايَاهُمَا إِلَى النَّجَاشِيِّ فَقَبِلَهَا مِنْهُمَا، ثُمَّ كَلَّمَاهُ فَقَالَا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّهُ قَدْ ضَوَى إِلَى بَلَدِكَ مِنَّا غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، **فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ**، وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكَ، وَجَاءُوا بِدِينٍ ابْتَدَعُوهُ، لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ، وَقَدْ بَعَثَنَا إِلَيْكَ فِيهِمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَعْمَامِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ لِتَرُدَّهُمْ إِلَيْهِمْ، فَهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ وَعَاتَبُوهُمْ فِيهِ. قَالَتْ: وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَعَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُمُ النَّجَاشِيُّ.

قَالَتْ: فَقَالَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ: صَدَقَا أَيُّهَا الْمَلِكُ قَوْمُهُمْ أَعْلَى بِهِمْ عَيْنًا، وَأَعْلَمُ بِمَا عَابُوا عَلَيْهِمْ فَأَسْلِمْهُمْ إِلَيْهِمَا فَلْيَرُدَّاهُمْ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَوْمِهِمْ. قَالَتْ: فَغَضِبَ النَّجَاشِيُّ، ثُمَّ قَالَ: لَاهَا اللَّهِ، إِذَنْ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْهِمَا، وَلَا يَكَادُ قَوْمٌ جَاوَرُونِي، وَنَزَلُوا

---

[1] «ضَوَى»: قال الْخَطَّابِيُّ في «غريبِ الحديثِ»: «يُقَالُ: ضَوَيْتُ إِلَى فُلَانٍ أَضْوِي إِلَيْهِ ضُوِيًّا إِذَا أَوَيْتَ إِلَيْهِ».

بِلَادِي، وَاخْتَارُونِي عَلَى مَنْ سِوَايَ، حَتَّى أَدْعُوَهُمْ فَأَسْأَلَهُمْ عَمَّا يَقُولُ هَذَانِ فِي أَمْرِهِمْ، فَإِنْ كَانُوا كَمَا يَقُولَانِ أَسْلَمْتُهمْ إِلَيْهِمَا، وَرَدَدْتُهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ مَنَعْتُهُمْ مِنْهُمَا، وَأَحْسَنْتُ جِوَارَهُمْ مَا جَاوَرُونِي.

قَالَتْ: ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟

قَالُوا: نَقُولُ: وَاَللَّهِ مَا عَلِمْنَا، وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِنًا فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ. فَلَمَّا جَاءُوا، وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ، فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ سَأَلَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: **مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَدْ فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ، وَلَمْ تَدْخُلُوا بِهِ فِي دِينِي، وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْمِلَلِ؟**

قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، **نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ**، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ،

فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ **لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ** وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، **وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ - قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ - فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ، **فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ، فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا،**

فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا، فَعَذَّبُونَا، وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا، لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا، وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا، خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكَ، وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ، وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ، وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ:

فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، قَالَتْ: فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ: «كهيعص». قَالَتْ: **فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُّوا مَصَاحِفَهُمْ، حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عِيسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ**، انْطَلِقَا، فَلَا وَاللَّهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمَا، وَلَا يُكَادُونَ». [السّيرةُ النَّبويَّةُ، لِابْنِ هِشَامٍ (ت ٢١٣هـ)][(١)]

والشّاهدُ مِن ذلك أنّ النَّجَاشِيَّ ومَن حولَه مِن بطارقتِه كلُّهم عَرفُوا أنّ الأمرَ بعبادةِ اللَّهِ وحدَه وتركِ الشّركِ هو دِينُ اللَّهِ تعالَى، وفهِمُوا أنّ مَن عَبَدَ الأوثانَ ولم يُخلِصِ العبادةَ للَّهِ فهو على دِينٍ آخرَ وعَلِمُوا أنّ المهاجِرينَ إليهم فارقُوا دِينَ قومِهم المشركينَ لمّا شَهِدُوا أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فتنبّهْ.

١١٥ - ورَوَى الْبُخَارِيُّ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا»

«عَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ: «مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ»»

[(١)] ورواه أَحْمَدُ في «المسندِ» مِن طريقِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

«وَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ»». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

«فصل» (١٤): في عِظَمِ جُرمِ مَن كفّرَ المسلمَ

١١٦ - قال الْبُخَارِيُّ: «بَابُ مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ فَهُوَ كَمَا قَالَ»

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا»

وفي الحديثِ الذي بعدَه: «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»

ثمّ قال في البابِ التّالِي: «بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ إِكْفَارَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مُتَأَوِّلًا أَوْ جَاهِلًا وَقَالَ عُمَرُ لِحَاطِبٍ إِنَّهُ مُنَافِقٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)]

١١٧ - ورَوَى أَحْمَدُ: «عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)]

١١٨ - وعند مُسْلِمٍ: «عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»». [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)، متّفقٌ عليه]

١١٩ - وبوّبَ أَبُو عَوَانَةَ: «بَيَانُ الْمَعَاصِي الَّتِي إِذَا قَالَهَا الرَّجُلُ وَعَمِلَهَا كَانَ كُفْرًا وَفِسْقًا وَاسْتَوْجَبَ بِهَا النَّارَ». [مُستَخرَجُ أَبِي عَوَانَةَ (ت ٣١٦هـ)]

١٢٠ - وقال الْبُخَارِيُّ في «كتابِ الإيمانِ»: «بَابٌ: الْمَعَاصِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ **وَلَا يُكَفَّرُ صَاحِبُهَا بِارْتِكَابِهَا إِلَّا بِالشِّرْكِ** لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»،

وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)]

يَظهرُ بهذه الأحاديثِ والرّواياتِ أنّ تكفيرَ المسلمِ الذي يَعبدُ اللَّهَ ولا يُشرِكُ به شيئًا ولم يقعْ مِنه ما يناقضُ شهادةَ الإسلامِ جريمةٌ شنيعةٌ وإثمٌ كبيرٌ.

أمّا إذا أَخرجَه عن الإسلامِ لناقضٍ مِن نواقضِ الإسلامِ، فهذا أمرٌ آخرُ كما لا يَخفَى. وإذا كان هذا النّاقضُ أنّه يَجهلُ معنَى التّوحيدِ ويَعبدُ غيرَ اللَّهِ، فهذا أَولَى وأظهرُ، لأنّ مِثلَ هذا لم يتحقّقْ فيه الإسلامُ يومًا، وهو ممّا يدورُ عليه هذا الكتابُ. ففي هذه الحالةِ أَخرجَه[1] مِنَ الإسلامِ بحقٍّ ولا تَشملُه هذه الأحاديثُ.

فمَن أَقرَّ أنّ رجلًا آخرَ قد حقّقَ التّوحيدَ لكن يَرَى مِنه ما يناقضُ توحيدَه فهو يَنفِي عنه الإسلامَ لوجودِ هذا النّاقضِ لا لعدمِ تحقُّقِ التّوحيدِ مِنه أصلًا، فليُتَنبَّهْ لذلك.

وبه يُعلَمُ جهلُ مَن يُشبِّهُ على النّاسِ في مِثلِ هذا، يُريدُ أن يقولَ: «إنّ مَن أَثبتَ لعابدِ الوثنِ الإسلامَ هو كمَن نفَى عن المسلمِ الإسلامَ، مِثلًا بمِثلٍ»، وليس الأمرُ كذلك، وهذا لا يَخفَى على عامّةِ المسلمينَ فضلًا عمَّن اشتغلَ بالعِلمِ مِنهم.

ومثالُ ذلك الخوارجُ فإنّهم كفّرُوا كثيرًا مِنَ المسلمينَ بل مِن أفضلِ المسلمينَ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، لكنّ الخوارجَ فهِمُوا معنَى التّوحيدِ في الأصلِ وعَلِمُوا أنّ الصّحابةَ ﷺ قد حقّقُوا هذا المعنَى. وموضعُ غلطِهم ظنُّهم أنّ هؤلاء المسلمينَ وقعُوا في ما يناقضُ توحيدَهم بعدَ أن تحقّقَ. فمَن ظنَّ أنّ الخوارجَ رأَوُا الإسلامَ والتّوحيدَ نفسَه شركًا أو أنّهم لم يَعرفُوه أصلًا فقد أَخطأَ ولم يَفهمْ حقيقةَ قولِهم.

---

[1] بمعنَى أنّه نفَى عنه الإسلامَ، لا بمعنَى أنّه أَخرجَه مِنه بعدَ أن كان داخلًا فيه.

١٢١ - ورَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ: «عَنْ مَعْمَرٍ عَمَّنْ سَمِعَ الْحَسَنَ قَالَ: لَمَّا قَتَلَ عَلِيٌّ الْحَرُورِيَّةَ قَالُوا: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ أَكُفَّارٌ هُمْ؟ قَالَ: مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا. قِيلَ: فَمُنَافِقِينَ؟ قَالَ: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا وَهَؤُلَاءِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا. قِيلَ: فَمَا هُمْ؟ قَالَ: قَوْمٌ أَصَابَتْهُمْ فِتْنَةٌ، فَعَمُوا فِيهَا وَصَمُّوا». [مُصَنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (ت ٢١١هـ)][1]

أمّا مَن قال للمسلمِ «يَا كَافِرُ» ظنًّا أنّ قيامَه بالتّوحيدِ نفسَه هو الكفرُ، فهذا لا يستريبُ في كفرِه أحدٌ مِنَ المسلمينَ.

وبه يَفهمُ مَن له عقلٌ ودِينٌ أنّ مَن حَكمَ لعابدِ الوثنِ بالإسلامِ، مع معرفتِه التّامّةِ لحالِه وإقرارِه أنّه يرتكبُ الشّركَ الأكبرَ، فمُحالٌ أن يُقالَ فيه: «إنّما تأوّلَ أو اشتبهتْ عليه الأمورُ، لكنّه يَعرفُ الإسلامَ في الأصلِ».

---

[1] ورواه أيضًا مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ في «تعظيمِ قَدْرِ الصّلاةِ» مِن طريقِ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ وأَبِي وَائِلٍ وغيرِهما عن عَلِيٍّ، وفيه: «مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا».

«باب» (١١): الإسلامُ العامُّ دِينُ الأنبياءِ جميعًا

وكونُ الإسلامِ دِينَ الأنبياءِ جميعًا كثيرٌ جدًّا في القرآنِ، ويأتِي إمّا تصريحًا باسمِ الإسلامِ أو بأمرِ اللَّهِ تعالَى لهم بلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أو بعبادةِ اللَّهِ وحدَه أو بتركِ الشّركِ، كما يُذكَرُ في الفصلَينِ الآتيَينِ. ودِينُ الأنبياءِ واحدٌ وإن اختلفتْ شرائعُهم،

١٢٢ - كما رَوَى الْبُخَارِيُّ: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

١٢٣ - وقال الْخَطَّابِيُّ في شرحِ الحديثِ: «أَوْلَادُ الْعَلَّاتِ: الْإِخْوَةُ مِنْ أَبٍ وَاحِدٍ وَأُمَّهَاتٍ شَتَّى ... يُرِيدُ **أَنَّ أَصْلَ دِينِ الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ، وَإِنْ كَانَتْ شَرَائِعُهُمْ مُخْتَلِفَةً**، كَمَا أَنَّ أَوْلَادَ الْعَلَّاتِ أَبُوهُمْ وَاحِدٌ وَإِنْ كَانَتْ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى».
[أعلامُ الحديثِ، لِلْخَطَّابِيِّ (ت ٣٨٨هـ)]

فشرائعُهم تختلفُ ودِينُهم واحدٌ وهو الإسلامُ العامُّ، دعوةُ النّاسِ إلى توحيدِ العبادةِ.

١٢٤ - وهذا بعينِه ما رَوَاه ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] قَالَ: الدِّينُ وَاحِدٌ وَالشَّرَائِعُ **مُخْتَلِفَةٌ**

عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ يَقُولُ: سَبِيلًا وَسُنَّةً، وَالسُّنَنُ **مُخْتَلِفَةٌ** فِي التَّوْرَاةِ شَرِيعَةٌ، وَلِلْإِنْجِيلِ شَرِيعَةٌ، وَالْفُرْقَانُ شَرِيعَةٌ، يُحِلُّ اللَّهُ فِيهَا مَا شَاءَ وَيُحَرِّمُ مَا شَاءَ، لِيَعْلَمَ مَنْ يُطِيعُهُ مِمَّنْ يَعْصِيهِ، **وَالدِّينُ الَّذِي لَا يُقْبَلُ غَيْرُهُ التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ**». [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)، وبِمِثلِه عند عَبْدِ الرَّزَّاقِ والطَّبَرِيِّ]

١٢٥ - وقال الطَّبَرِيُّ: «... ثُمَّ ذَكَرَ نَبِيَّنَا **مُحَمَّدًا** ﷺ ... وَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ جَعَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ شَرِيعَةً غَيْرَ شَرَائِعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأُمَمِ قَبْلَهُ الَّذِينَ قَصَّ عَلَيْهِ قَصَصَهُمْ، **وَإِنْ كَانَ دِينُهُ وَدِينُهُمْ - فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْإِقْرَارِ بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِهِ وَالِانْتِهَاءِ إِلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ - وَاحِدًا**، فَهُمْ مُخْتَلِفُو الْأَحْوَالِ فِيمَا شُرِعَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَلِأُمَّتِهِ فِيمَا أُحِلَّ لَهُمْ وَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ».

ورَوَى: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة: ٤٨] قَالَ: سُنَّةً وَسَبِيلًا

عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ قَالَ: الشِّرْعَةُ السُّنَّةُ، ﴿وَمِنۡهَاجٗا﴾ قَالَ: السَّبِيلُ».

ورَوَى عنِ ابْنِ زَيْدٍ: «فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ﴾ [الإسراء: ٧١] قَالَ: بِكِتَابِهِمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ فِيهِ أَمْرُ اللَّهِ وَنَهْيُهُ وَفَرَائِضُهُ، وَالَّذِي عَلَيْهِ يُحَاسَبُونَ، وَقَرَأَ: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة: ٤٨] قَالَ: الشِّرْعَةُ: الدِّينُ، وَالْمِنْهَاجُ: السُّنَّةُ، وَقَرَأَ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا﴾ [الشورى: ١٣] قَالَ: فَنُوحٌ أَوَّلُهُمْ، وَأَنْتَ آخِرُهُمْ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)][1]

---

[1] وقولُ ابْنِ عَبَّاسٍ ذكرَه الْبُخَارِيُّ في أوّلِ «كتابِ الإيمانِ» مِن «صحيحِه»: «﴿شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾ [المائدة: ٤٨]: سَبِيلًا وَسُنَّةً».

«فصل» (١): التّصريحُ بكونِ جميعِ المرسَلينَ مسلمينَ

كما قال نُوحٌ عليه السلام ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ **مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴿٧٢﴾﴾ [يونس: ٧٢]

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ **إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ** ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤]

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن **كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧]

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِيۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ **إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ** ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٣]

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ **تَوَفَّنِي مُسْلِمًا** وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١]

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ **وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢]

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي **وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴿٤٤﴾﴾ [النمل: ٤٤]

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ **ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ** لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]

فكان جميعُ الأنبياءِ مسلمينَ.

- وأَمرَ اللَّهُ نبيَّنا ﷺ، وأمرُه أمرٌ للمؤمنينَ جميعًا، فقال: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ **وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ** ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤]
- ثمّ أَمرَ المؤمنينَ تصريحًا فقال: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ **وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ** ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦]

فبيّنَ في هاتَينِ الآيتَينِ أيضًا أنّ الإسلامَ دِينُ جميعِ الأنبياءِ السّابقينَ عليهم السلام.

«فصل» (٢): جميعُ الأنبياءِ أُمِرُوا بلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أو بعبادةِ اللَّهِ وحدَه أو بتركِ الشّركِ أو يأتِي ذلك مجموعًا، وكلُّ ذلك هو الإسلامُ

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ **أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ** ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]

١٢٦ - قال الطَّبَرِيُّ عند هذه الآيةِ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا أَرْسَلْنَا يَا **مُحَمَّدُ** مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَى أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ **أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَصْلُحُ لَهُ الْعِبَادَةُ سِوَايَ** ﴿فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. يَقُولُ: **فَأَخْلِصُوا لِي الْعِبَادَةَ، وَأَفْرِدُوا لِي الْأُلُوهَةَ**».

ورَوَى: «عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]: بِهِ أَرْسَلْتُ الرُّسُلَ؛ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ - قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَظُنُّهُ أَنَا قَالَ - عَمَلٌ حَتَّى يَقُولُوهُ وَيُقِرُّوا بِهِ، وَالشَّرَائِعُ مُخْتَلِفَةٌ؛ فِي التَّوْرَاةِ شَرِيعَةٌ، وَفِي الْإِنْجِيلِ شَرِيعَةٌ، وَفِي الْقُرْآنِ شَرِيعَةٌ، حَلَالٌ وَحَرَامٌ، وَهَذَا كُلُّهُ فِي إِخْلَاصٍ لِلَّهِ وَتَوْحِيدٍ لَهُ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا **أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ**ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل: ٣٦]

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ **أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ** بِهِۦ **شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ** فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ **بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]

«باب» (١٢): الإسلامُ دِينُ اللَّهِ تعالَى وهو الحنيفيّةُ وملّةُ إِبْرَاهِيمَ

«فصل» (١): دِينُ اللَّهِ هو الإسلامُ، لا يَقبلُ اللَّهُ غيرَه، وقولُه تعالَى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾

﴿**إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ** وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: ١٩]

١٢٧ - ورَوَى الطَّبَرِيُّ: «عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]: **وَالْإِسْلَامُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**، وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، **وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي شَرَعَ لِنَفْسِهِ، وَبَعَثَ بِهِ رُسُلَهُ**، وَدَلَّ عَلَيْهِ أَوْلِيَاءَهُ، لَا يَقْبَلُ غَيْرَهُ، وَلَا يَجْزِي إِلَّا بِهِ

عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُۗ﴾ قَالَ: **الْإِسْلَامُ الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ وَحْدَهُ**، وَعِبَادَتُهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَسَائِرُ الْفَرَائِضِ لِهَذَا تَبَعٌ».

[تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

[آل عمران: ٨٣]

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

[آل عمران: ٨٥]

«فصل» (٢): الإسلامُ هو ملّةُ إِبْرَاهِيمَ وهو الحنيفيّةُ دِينُ الحُنَفاءِ، وقولُه تعالَى ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا **مُسْلِمَيْنِ** لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً **مُّسْلِمَةً** لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن **مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ** إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ **إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ** لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ **إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ **مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ** إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا **وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ** ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ **قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِۦمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ **وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ** ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ **وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ** ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ **وَنَحْنُ لَهُۥ**

مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٧-١٣٩][1]

١٢٨ - قال الطَّبَرِيُّ: «يَعْنِي تَعَالَى ذِكْرُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ [البقرة: ١٣٠]: وَأَيُّ النَّاسِ يَزْهَدُ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَيَتْرُكُهَا رَغْبَةً عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا. وَإِنَّمَا عَنَى اللَّهُ بِذَلِكَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لِاخْتِيَارِهِمْ مَا اخْتَارُوا مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ عَلَى الْإِسْلَامِ؛ **لِأَنَّ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ هِيَ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ**».

ورَوَى: «عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلَهُ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠]: رَغِبَ عَنْ مِلَّتِهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَاتَّخَذُوا الْيَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ بِدْعَةً لَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ، وَتَرَكُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، يَعْنِي الْإِسْلَامَ حَنِيفًا، كَذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ **حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٧-٦٨]

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ **فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٥]

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ **أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ** وَهُوَ مُحْسِنٌ **وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ** وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]

﴿إِنِّى **وَجَّهْتُ وَجْهِىَ** لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ **حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩]

---

[1] ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٨]: قال قَتَادَةُ وأَبُو الْعَالِيَةِ ومُجَاهِدٌ وغيرُهم: «دِينَ اللَّهِ»، رواه الطَّبَرِيُّ، وقال أَبُو الْعَالِيَةِ والسُّدِّيُّ في تمامِ الآيةِ: «وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ دِينًا».

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٤]

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يونس: ١٠٥-١٠٦]

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۦٓۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣]

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣٠-٣٢]

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ٥]

١٢٩ - ورَوَى أَحْمَدُ: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «**الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**»». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)][1]

---

[1] وذكرَه الْبُخَارِيُّ في «صحيحِه» في «كتابِ الإيمانِ»: «بَابٌ: الدِّينُ يُسْرٌ، وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «أَحَبُّ =

«باب» (١٣): دِينُ اللَّهِ هو دِينُ الفطرةِ ويُمكِنُ معرفتُه بالفطرةِ والعقلِ ومعنَى الميثاقِ الذي أخذَه اللَّهُ على النّاسِ

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]، فأَمرَ اللَّهُ بالدِّينِ، وبيّنَ أنّه الحنيفيّةُ، وأنّه الفطرةُ التي خَلقَ النّاسَ جميعًا عليها.

١٣٠ - قال الْبُخَارِيُّ في «كتابِ التّفسيرِ»: «﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٣٠]: **لِدِينِ اللَّهِ ... وَالْفِطْرَةُ: الْإِسْلَامُ**». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)]

١٣١ - وقال الطَّبَرِيُّ: «﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم: ٣٠]، يَقُولُ: صَنْعَةَ اللَّهِ الَّتِي خَلَقَ النَّاسَ عَلَيْهَا ... وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ».

ورَوَى: «عَنِ ابْنِ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ قَالَ: الْإِسْلَامُ، مُذْ خَلَقَهُمُ اللَّهُ مِنْ آدَمَ جَمِيعًا يُقِرُّونَ بِذَلِكَ. وَقَرَأَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ قَالَ: الْإِسْلَامُ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

= الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ»»، ورواه في «الأدبِ المفردِ».

«فصل» (١): بيانُ النّبيِّ ﷺ كيف تُحرَّفُ فطرةُ النّاسِ عن الحنيفيّةِ التي خلقَهم اللَّهُ عليها

١٣٢ - أَخرجَ مُسْلِمٌ: «عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ[١] عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ[٢] عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا. وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ[٣]، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ ...»» [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

١٣٣ - ورَوَى الْبُخَارِيُّ: «أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ[٤]؟» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] الْآيَةَ».

---

(١) «نَحَلْتُهُ»: قال الْجَوْهَرِيُّ في «الصِّحاحِ»: «وَالنُّحْلُ بِالضَّمِّ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ: نَحَلْتُهُ مِنَ الْعَطِيَّةِ أَنْحَلُهُ نُحْلًا».

(٢) «فَاجْتَالَتْهُمْ»: قال الْأَزْهَرِيُّ في «تهذيبِ اللُّغةِ» عنِ اللَّيْثِ: «وَيُقَالُ لِلْقَوْمِ إِذَا تَرَكُوا الْقَصْدَ وَالْهُدَى: اجْتَالَهُمُ الشَّيْطَانُ، أَيْ: جَالُوا مَعَهُ فِي الضَّلَالَةِ».

(٣) «لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ»: قال الْخَطَّابِيُّ في «غريبِ الحديثِ»: «يُرِيدُ أَنَّ الْقُرْآنَ وَإِنْ مُحِيَ رَسْمُهُ بِالْمَاءِ وَغُسِلَ لَمْ يَذْهَبْ عَنِ الصُّدُورِ، وَلَمْ يُنْسَخْ حِفْظُهُ مِنَ الْقُلُوبِ».

(٤) «جَمْعَاءَ»: قال ابْنُ قُتَيْبَةَ في «غريبِ الحديثِ»: «وَالْبَهِيمَةُ الْجَمْعَاءُ هِيَ السَّلِيمَةُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ =

وفي روايةٍ: «هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا؟»
[صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

فكلُّ مولودٍ يُولَدُ على الإسلامِ، وهو دِينُ الفطرةِ. ودلالةُ الحديثِ على ذلك بيّنةٌ مِن وجوهٍ:

(١) ذِكرُ أَبِي هُرَيْرَةَ لهذه الآيةِ التي ذكرتُها ومعناها في أوّلِ هذا البابِ، فهذا استدلالٌ مِنه على هذا المعنَى، وفي روايةٍ لِمُسْلِمٍ «ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠]».

(٢) أنّه قال «يهوِّدانه» أو «ينصِّرانه» أو «يمجِّسانه» وعند مُسْلِمٍ «يشرِّكانه» ولم يقلْ «أو يُسْلِمَانِهِ»، فعُلِمَ أنّه لا حاجةَ أن يَجعلاه على الإسلامِ بتربيتِهما له، إذ وُلِدَ مسلمًا.

(٣) أنّ المذكورَ كلَّه مِن دِينِ الشّركِ، فإذا كان الأبوانِ إنّما يَنقلانِه إلى ملّةِ الشّركِ، فقد كان قبلَ ذلك على التّوحيدِ، لأنّ الشّركَ نقيضُ الإسلامِ، فمَن لم يكنْ مشركًا كان مسلمًا، إمّا هذا وإمّا هذا، لا ثالثَ لهما. والأبوانِ هنا عبارةٌ عن كلِّ ما يؤثِّرُ في إفسادِ الفطرةِ وتحريفِها.

(٤) أنّ في روايةٍ لِمُسْلِمٍ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَهُوَ عَلَى الْمِلَّةِ»، وفي أخرى: «... إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ حَتَّى يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ»، وفي أخرى: «... لَيْسَ مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ حَتَّى يُعَبِّرَ عَنْهُ لِسَانُهُ»، فجعلَ «الملّةَ» مكانَ «الفطرةِ».

=لِاجْتِمَاعِ السَّلَامَةِ لَهَا فِي أَعْضَائِهَا»، و«جَدْعَاءَ» مِنَ الْجَدْعِ، قال الْجَوْهَرِيُّ في «الصّحاح»: «الْجَدْعُ: قَطْعُ الْأَنْفِ، وَقَطْعُ الْأُذُنِ أَيْضًا، وَقَطْعُ الْيَدِ وَالشَّفَةِ».

فتبيّنَ أنّ المرادَ بالإسلامِ هنا هو ما رَكَزَه اللَّهُ تعالَى في فطرةِ الإنسانِ مِنَ الاستسلامِ لخالقِه والتّهيُّؤِ لقَبولِ التّوحيدِ والسّلامةِ مِن معارضتِه. وليس المرادُ، واللَّهُ أعلمُ، أنّه حقّقَ ما بعثَ اللَّهُ به المرسَلينَ عِلمًا وقصدًا وعملًا، لقولِه تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

«فصل» (٢): عِظَمُ شأنِ الميثاقِ عند مَن يَفهمُ الكتابَ والسّنّةَ وإن جَهِلَه المتكلِّمونَ، وقولُه تعالَى ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةَۢ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٧٤﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٤]

١٣٤ - قال الطَّبَرِيُّ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَاذْكُرْ يَا مُحَمَّدُ رَبَّكَ إِذِ اسْتَخْرَجَ وَلَدَ آدَمَ مِنْ أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، **فَقَرَّرَهُمْ بِتَوْحِيدِهِ**، وَأَشْهَدَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ شَهَادَتَهُمْ بِذَلِكَ وَإِقْرَارَهُمْ بِهِ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

١٣٥ - ورَوَى أَحْمَدُ: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ - يَعْنِي عَرَفَةَ - فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا[1]، قَالَ: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا

[1] «قِبَلًا»: قال الْجَوْهَرِيُّ في «الصّحاح»: «وَرَأَيْتُهُ قَبَلًا وَقُبُلًا بِالضَّمِّ، أَيْ: مُقَابَلَةً وَعِيَانًا. وَرَأَيْتُهُ =

كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣]»»[1].

ورَوَى ابنُه عَبْدُ اللَّهِ في زياداتِه على «المسندِ»: «عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢][2] الْآيَةَ، قَالَ: جَمَعَهُمْ فَجَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا، ثُمَّ صَوَّرَهُمْ فَاسْتَنْطَقَهُمْ فَتَكَلَّمُوا،

ثُمَّ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، وَأُشْهِدُ عَلَيْكُمْ أَبَاكُمْ آدَمَ عليه السلام أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَمْ نَعْلَمْ بِهَذَا.

اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرِي وَلَا رَبَّ غَيْرِي، فَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، وَإِنِّي سَأُرْسِلُ إِلَيْكُمْ رُسُلِي يُذَكِّرُونَكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي، وَأُنْزِلُ عَلَيْكُمْ كُتُبِي.

قَالُوا: **شَهِدْنَا بِأَنَّكَ رَبُّنَا وَإِلَهُنَا، لَا رَبَّ لَنَا غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُكَ. فَأَقَرُّوا بِذَلِكَ،** وَرَفَعَ عَلَيْهِمْ آدَمَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، فَرَأَى الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ وَحَسَنَ الصُّورَةِ وَدُونَ ذَلِكَ، فَقَالَ: رَبِّ، لَوْلَا سَوَّيْتَ بَيْنَ عِبَادِكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أُشْكَرَ.

وَرَأَى الْأَنْبِيَاءَ فِيهِمْ مِثْلُ السُّرُجِ عَلَيْهِمُ النُّورُ، خُصُّوا بِمِيثَاقٍ آخَرَ فِي الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ،

= قِبَلًا بِكَسْرِ الْقَافِ».

[1] ورواه النَّسَائِيُّ في «الكبرى»، وابْنُ مَنْدَه في «الرّدِّ على الجهميّةِ»، والطَّبَرِيُّ، وابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِن قولِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

[2] قال ابْنُ مُجَاهِدٍ (ت ٣٢٤هـ) في «السّبعة»: «فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَعَاصِمٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ ﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وَاحِدَةً، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ ﴿مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ جَمَاعَةً»، والآيةُ هنا على رسمِ مُصحَفِ الدُّورِيِّ عن أَبِي عَمْرٍو وضَبطِه.

وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾، كَانَ فِي تِلْكَ الْأَرْوَاحِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى مَرْيَمَ. فَحَدَّثَ عَنْ أُبَيٍّ أَنَّهُ دَخَلَ مِنْ فِيهَا». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)][1]

١٣٦ - ورَوَى أَحْمَدُ: «عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ **أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ**»». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)]

١٣٧ - ورواه مُسْلِمٌ، وفيه: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى **لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا**: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ - فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ». [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)، متّفقٌ عليه]

١٣٨ - ورَوَى أَبُو دَاوُدَ: «... سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ يُفَسِّرُ حَدِيثَ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» قَالَ هَذَا عِنْدَنَا حَيْثُ أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ **حَيْثُ قَالَ** ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ** قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]». [سننُ أَبِي دَاوُدَ (ت ٢٧٥هـ)][2]

---

[1] حديثُ أُبَيٍّ هذا جاء مِن طُرُقٍ كثيرةٍ لكنّه مختصَرٌ في بعضِها. رواه الفِرْيَابِيُّ في «القَدَرِ»، والْآجُرِّيُّ في «الشّريعةِ»، واللَّالَكَائِيُّ في «شرحِ أصولِ اعتقادِ أهلِ السّنّةِ»، وابْنُ مَنْدَه في «الرّدِّ على الجهميّةِ»، وابْنُ بَطَّةَ في «الإبانةِ الكبرى». وأَخرجَ التِّرْمِذِيُّ وَمَالِكٌ في «الموطّأِ» في معناه عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ يَرفعُه إلى النّبيِّ ﷺ، وفيه: «ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً»، وقال التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَمُسْلِمُ بْنُ يَسَارٍ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ عُمَرَ»، ولعلَّ إسنادَ حديثِ أُبَيٍّ أحسنُها واللَّهُ أعلمُ.

[2] ورواه ابْنُ بَطَّةَ في «الإبانةِ الكبرى» في «بابِ الإيمانِ بأنَّ كلَّ مولودٍ يولدُ على الفطرةِ وذراريَّ =

١٣٩ - وقال ابْنُ قُتَيْبَةَ في «غريبِ الحديثِ»: «أَمَّا قَوْلُهُ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ» فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنَّهُ **يُولَدُ عَلَى الْإِقْرَارِ بِاللَّهِ**، وَهُوَ الْمِيثَاقُ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حِينَ أَخْرَجَهُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ أَمْثَالَ الذَّرِّ ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فَالنَّاسُ جَمِيعًا وَإِنِ اخْتَلَفُوا فِي أَدْيَانِهِمْ وَنِحَلِهِمْ **عَالِمُونَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُهُمْ**». [غريبُ الحديثِ، لِابْنِ قُتَيْبَةَ (ت ٢٧٦هـ)]

فتبيّنَ أنّ العبدَ مفطورٌ على الإيمانِ مِن أوّلِ أمرِه، وأنّه يَعرفُ ربَّه بفطرتِه السّليمةِ. فيَعرفُ أنّه خالقُه وخالقُ كلِّ شيءٍ، وأنّه يتّصفُ بصفاتِ الإلهيّةِ، فيَعرفُ عظَمتَه، وأنّه واحدٌ في ذلك لا يُماثلُه فيه شيءٌ، وأنّ هذه الصّفاتِ تقتضِي أنّه وحدَه يستحقُّ العبادةَ، فلا يُعبَدُ إلّا هو. فإفرادُه بالعبادةِ هو الحقُّ والعدلُ والصّوابُ، والإشراكُ به في عبادتِه أظلمُ الظّلمِ، ومَن فعلَه فهو ظالمٌ مُبطِلٌ، ليس على التّوحيدِ الحقِّ، بل على طريقٍ مخالِفٍ ودِينٍ آخرَ يُناقِضُه.

كلُّ ذلك يُمكِنُ أن يَعرفَه مِن فطرتِه وعقلِه إذا سَلِمَا، وجاء الأنبياءُ ليُذكِّرُوا النّاسَ بهذا الأصلِ العظيمِ. فأقلُّ ما يَدخلُ به العبدُ الإسلامَ هو شهادةُ التّوحيدِ عِلمًا وعملًا. والدّليلُ على ذلك آيةُ الميثاقِ السّابقةُ فإنّها واضحةٌ فيه. فمَن قام بهذه الأمورِ فقد أتَى بما عليه، وبما طالبَه به ربُّه بقولِه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وبما جاء في حديثِ أُبَيٍّ: «اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرِي وَلَا رَبَّ غَيْرِي، فَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا».

= المشركينَ»، واللَّالَكَائِيُّ في «شرحِ أصولِ اعتقادِ أهلِ السّنّةِ». و«ذراريَّ» بالنّصبِ عطفًا على «كلَّ مولودٍ»، أي: وأنّ ذراريَّ المشركينَ يُولَدونَ على الفطرةِ أيضًا، ويجوزُ فيه الجرُّ «وذراريِّ» عطفًا على «الإيمانِ»، فيكونُ موضوعًا ثانيًا للبابِ.

«باب» (١٤): الإسلامُ هو الإخلاصُ والحنيفيّةُ وملّةُ إِبْرَاهِيمَ والكفرُ بالطّاغوتِ، والمشركُ لا يُحقِّقُ شيئًا مِن ذلك

١٤٠ - **رَوَى الْبُخَارِيُّ:** «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ **نَفْسِهِ**»».

[صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)]

١٤١ - **ورَوَى أَحْمَدُ:** «... سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا مَنْ شَهِدَ مُعَاذًا حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ يَقُولُ: اكْشِفُوا عَنِّي سِجْفَ[١] الْقُبَّةِ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ مَرَّةً: أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمُوهُ إِلَّا أَنْ تَتَّكِلُوا[٢]، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ **مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ**، أَوْ **يَقِينًا مِنْ قَلْبِهِ**، لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ - أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ -»، وَقَالَ مَرَّةً: «دَخَلَ الْجَنَّةَ وَلَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ»». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)، وبنحوِه عند الْحُمَيْدِيِّ والطَّبَرَانِيِّ في الكبيرِ][٣]

---

[١] «سِجْفَ»: قال الْجَوْهَرِيُّ في «الصِّحاح»: «السَّجْفُ وَالسِّجْفُ: السِّتْرُ».

[٢] «تَتَّكِلُوا»: في روايةِ الْحُمَيْدِيِّ: «إِلَّا أَنْ تَتَّكِلُوا عَنِ الْعَمَلِ».

[٣] وأصلُه عند الْبُخَارِيِّ عن أَنَسٍ أنّ النّبيَّ ﷺ قال لِمُعَاذٍ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، وفيه: «وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا».

«فصل» (١): قولُ اللَّهِ جلَّ ذِكرُه ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾

قال تعالَى في سورةِ الأنعامِ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

١٤٢ - رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «عَنْ خُصَيْفٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿حَنِيفًا﴾ [الأنعام: ١٦١]، قَالَ: **الْحَنِيفُ الْمُخْلِصُ**».

«عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعِيدِ كَبْشَيْنِ، وَقَالَ حِينَ وَجَّهَهُمَا: «﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: ٧٩]، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]» إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ». [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)][1]

١٤٣ - ورَوَى مُسْلِمٌ: «عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: «﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ...»». [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

فقَرَنَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَهما لأنّ مَن كان حنيفًا كانت حياتُه ومماتُه للَّهِ وحدَه، ليس فيه شركٌ، وليس هو مِنَ المشركينَ.

---

[1] ورواه أَحْمَدُ وأبو دَاوُدَ وابْنُ مَاجَهْ بأتمَّ منه.

١٤٤ - **وقال الطَّبَرِيُّ في الآيةِ:** «يَعْنِي أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَهُ خَالِصًا دُونَ مَا أَشْرَكْتُمْ بِهِ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنَ الْأَوْثَانِ، ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٣] فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا لِشَيْءٍ مِنْهُمْ فِيهِ نَصِيبٌ، لِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ إِلَّا لَهُ خَالِصًا».
[تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

«فصل» (٢): الإسلامُ هو الإخلاصُ، والإخلاصُ لا يُوجَدُ في أحدٍ مِنَ المشركينَ، كما في أوّلِ سورةِ الزُّمَرِ

تكرّرَ مرارًا في الكتابِ والسّنّةِ وقولِ السّلفِ وصفُ الإسلامِ بالإخلاصِ، بل الإخلاصُ أساسُ الدِّينِ الذي بُنِيَ عليه.

١٤٥ - **كما رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ:** «عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠] قَالَ: أُسِّسَ الدِّينُ عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ». [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)، وبمثلِه عند الطَّبَرِيِّ]

وقال تعالَى في سورةِ الزُّمَرِ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ١-٣]. وسبقَ تفسيرُ هذه الآياتِ عن السّلفِ[١].

---

[١] انظرِ البابَ (٣) «معنَى الإلهِ ومعنَى شهادةِ الإسلامِ»، الفصلَ (٥) «قولُه تعالَى ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾».

فثبتَ أنّ الإسلامَ هو الإخلاصُ وأنّ المسلمَ هو المخلِصُ، فمَن لم يُحقِّقْه فليس على الإسلامِ قطعًا. فمعنَى كلمةِ «مسلم» أنّ المسمَّى بها لا يَعبدُ إلّا اللَّهَ، ولذلك جعلَ أهلُ العِلمِ الإخلاصَ شرطًا مِن شروطِ الشّهادةِ[1]، وإذا انتفَى الشّرطُ انتفَى الإسلامُ بلا شكٍّ.

فهدَى اللَّهُ الذين يُجوِّزونَ مشركًا يكونُ مسلمًا في الوقتِ نفسِه، فعندهم يجوزُ أن يُوجَدَ «مسلمٌ بلا إخلاصٍ» و«مسلمٌ بلا إسلامٍ»، وهذا تناقضٌ بيِّنٌ، وكيف يكونُ مَن صرّحَ بهذا عالمًا بمعنَى الشّهادةِ على الحقيقةِ؟

وهذا خطأُ كثيرٍ مِنَ النّاسِ اليومَ: يتصوّرونَ مسلمًا بلا إخلاصٍ ولا إسلامٍ، وذلك لأنّهم لا يَعلمونَ أنّ الإسلامَ إنّما هو عبادةُ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له. وحقيقةُ قولِهم أنّ معنَى الإسلامِ هو الانتسابُ إليه، فيكونُ كلُّ مَن يدّعِي الإسلامَ مسلمًا مهما قال ومهما فَعَلَ.

وهكذا يصيرُ الإسلامُ عندهم اسمًا لا حقيقةَ له، كمَثَلِ أعمَى يدّعِي أنّه مبصِرٌ، فإذا أناسٌ يقولونَ: نَعلمُ أنّه أعمَى، لكنّه مبصِرٌ لمجرَّدِ ادّعائِه. فماذا يُفهَمُ مِن قولِهم هذا إلّا أنّهم لا يَعرفونَ معنَى البصرِ والعمَى أو أنّهم يَعرفونَ معناهما ويُصِرُّونَ على قولِهم الباطلِ عنادًا؟

على هذا القولِ يُمكِنُ أن يكونَ الشّخصُ مشركًا غيرَ مشركٍ، بشرطِ أن يكونَ جاهلًا بحقيقةِ الإسلامِ ومنتسِبًا إليه، فيصيرُ عندهم مسلمًا معذورًا بالجهلِ! أي: صار مسلمًا لأنّه جهِلَ الإسلامَ! وهذا أمرٌ يكادُ لا يُصَدَّقُ، ولكنّه اليومَ اعتقادُ كثيرٍ مِنَ النّاسِ.

---

[1] انظرِ البابَ (٤)، الفصلَ (٤) «في أنّ للشّهادةِ شروطًا».

فكلمةُ «المسلم» تَحملُ معنًى معيَّنًا يتضمّنُ أفعالًا وصفاتٍ لا يأتِي بها أحدٌ مِنَ المشركينَ البتّةَ. وهذا ليس بغريبٍ إذ كان الإسلامُ نقيضَ الشّركِ، ولذلك يستحيلُ أن يجتمعَ الشّركُ الأكبرُ والإسلامُ في الشّخصِ الواحدِ في آنٍ واحدٍ. رجلٌ لا يَعبدُ إلّا اللَّهَ لا يُمكِنُ بحالٍ أن يكونَ رجلًا يَعبدُ غيرَ اللَّهِ.

«فصل» (٣): الإسلامُ هو الحنيفيّةُ والمشركُ ليس حنيفًا، وقولُه تعالَى ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾

الحنيفُ هو مَن لا يَعبدُ إلّا اللَّهَ، فلا يُمكِنُ أن يكونَ هناك حنيفٌ مشركٌ كما لا يُوجَدُ مسلمٌ مشركٌ أو مخلِصٌ مشركٌ.

وفي كثيرٍ مِن آياتِ القرآنِ جاءَ بيانُ أنّ الإسلامَ هو الحنيفيّةُ وأنّ كلَّ مسلمٍ حنيفٌ، مِنها قولُه تعالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]

- يُخبِرُ اللَّهُ تعالَى أنّهم ما أُمِرُوا إلّا بالتّوحيدِ لأنّه أساسُ الدِّينِ، ولا شكَّ أنّ ما ذُكِرَ بعدَه مِنَ الشّرائعِ مع عِظَمِ شأنِه لا يستوِي هو والتّوحيدُ. فأوّلُ الآيةِ، وهو الأمرُ بعبادةِ اللَّهِ مخلِصينَ له الدِّينَ حنفاءَ، المرادُ به التّوحيدُ، وهو مقدَّمٌ على ما بعدَه لثلاثةِ أمورٍ: لِما بُيِّنَ مِن قبلُ مِن أنّ الشّرائعَ مبنيّةٌ عليه، ولأنّها شُرِعَتْ بعدَه بمدّةٍ، ولأنّ مَن جهِلَها قبلَ نزولِها أو بعدَه جهلًا معتبَرًا يكونُ مسلمًا معذورًا بجهلِه، بخلافِ مَن جهِلَ الإسلامَ نفسَه.
- اللَّهُ تعالَى يُؤكِّدُ هذا الأمرَ ويُبيِّنُ أنّ معنَى أن ﴿يَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [البينة: ٥] هو ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، على وَفْقِ ما سبقَ مِن أنّ الإسلامَ هو الإخلاصُ.

- ثمّ يزيدُ اللَّهُ الأمرَ بيانًا فيقولُ: ﴿حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، فالمخلِصونَ له الدِّينَ هم الحنفاءُ.
- وذلك هو الإسلامُ، كما قال تعالَى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

١٤٦ - قال الطَّبَرِيُّ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَمَا أَمَرَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾، يَقُولُ: **مُفْرِدِينَ لَهُ الطَّاعَةَ، لَا يَخْلِطُونَ طَاعَتَهُمْ رَبَّهُمْ بِشِرْكٍ**».

ورَوَى: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ يَقُولُ: حُجَّاجًا مُسْلِمِينَ غَيْرَ مُشْرِكِينَ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

فهذه الآيةُ كذلك دليلٌ مستقِلٌّ فيما نحن فيه، لأنّها تُناقِضُ مِن عدّةِ وجوهٍ قولَ مَن يَجعلُ بعضَ المشركينَ مسلمينَ.

وقال تعالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٦٧﴾ [آل عمران: ٦٧]. وفي هذه الآيةِ ما قِيلَ في السّابقةِ: ذُكِرَتْ فيها ثلاثةُ أمورٍ معناها واحدٌ: «مسلمٌ» و«حنيفٌ» و«ما كان مِنَ المشركينَ».

١٤٧ - قال الطَّبَرِيُّ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، **وَلَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ وَالْأَصْنَامَ**، أَوْ مَخْلُوقًا دُونَ خَالِقِهِ الَّذِي هُوَ إِلَهُ الْخَلْقِ وَبَارِئُهُمْ، ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾، يَعْنِي: **مُتَّبِعًا أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَتَهُ**، مُسْتَقِيمًا عَلَى مَحَجَّةِ الْهُدَى الَّتِي أُمِرَ بِلُزُومِهَا، ﴿مُّسْلِمًا﴾، يَعْنِي: **خَاشِعًا لِلَّهِ بِقَلْبِهِ**، مُتَذَلِّلًا لَهُ بِجَوَارِحِهِ، مُذْعِنًا لِمَا فَرَضَ عَلَيْهِ وَأَلْزَمَهُ مِنْ أَحْكَامِهِ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

«فصل» (٤): الإسلامُ هو ملّةُ إِبْرَاهِيمَ والمشركُ مخالِفٌ لأساسِها، وقولُه تعالَى ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾

ظهرَ مِنَ الآياتِ السّابقةِ أنّ الإسلامَ هو ملّةُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام. وملّةُ إِبْرَاهِيمَ معناها عبادةُ اللَّهِ وحدَه وهي الإسلامُ العامُّ الذي بُعِثَ به جميعُ الأنبياءِ والمرسَلينَ. ولذلك كان معلومًا أنّنا مأمورونَ باتّباعِ ملّةِ إِبْرَاهِيمَ، ومع ذلك فقد أكّدَ اللَّهُ هذا الأمرَ في مواضعَ مِن كتابِه، مِنها قولُه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [النحل: ١٢٣]

> **١٤٨ - قال الطَّبَرِيُّ مبيِّنًا:** «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ وَقُلْنَا لَكَ: **اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِيَّةَ الْمُسْلِمَةَ** ﴿حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] يَقُولُ: **مُسْلِمًا عَلَى الدِّينِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ، بَرِيئًا مِنَ الْأَوْثَانِ وَالْأَنْدَادِ الَّتِي يَعْبُدُهَا قَوْمُكَ، كَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ تَبَرَّأَ مِنْهَا**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

فثبتَ أنّ التّوحيدَ ملّةُ إِبْرَاهِيمَ، والمشركُ ليس له نصيبٌ مِنها.

«فصل» (٥): الإسلامُ هو الكفرُ بالطّاغوتِ والمشركُ لا يُحقِّقُ ذلك

المسلمُ لا بدَّ أن يتبرّأَ مِن كلِّ ما عُبِدَ مِن دونِ اللَّهِ، أي: لا بدَّ مِن أن يَكفرَ بالطّاغوتِ[1]. ولذلك جعلَ أهلُ العِلمِ الكفرَ بالطّاغوتِ شرطًا مِن شروطِ لَا إِلَهَ إِلَّا

---

[1] الكفرُ بالطّاغوتِ ومعناه بابٌ عظيمُ الشّأنِ، يتّضحُ به معنَى الإسلامِ شيئًا بعدَ شيءٍ، وتنكشفُ به تفاصيلُ تَمنعُ المرءَ، بعونِ اللَّهِ وتوفيقِه، مِنَ الوقوعِ في الإفراطِ والتّفريطِ، فلا بدَّ مِن بحثِه بحثًا مفرَدًا مِنَ الكتابِ والسّنّةِ على طريقةِ أهلِ الأثرِ. فأسألُ اللَّهَ أن يُعينَ على تحقيقِ هذا المرادِ، =

اللَّهُ[١]. المشركُ لم يُحقِّقِ الكفرَ بالطّاغوتِ لأنّه يَعبدُه والكفرُ به هو تركُ عبادتِه والكفرُ بها، فمِنَ المُحالِ أن يُدَّعَى أنّ إنسانًا ما عابدٌ للَّهِ وحدَه لا شريكَ له ومع ذلك لم يَتركْ عبادةَ المعبوداتِ مِن دونِ اللَّهِ.

ويَظهرُ هنا مرّةً أخرَى أنّه لا تأثيرَ البتّةَ لكونِ هذا المشركِ عالمًا بحقيقةِ حالِه أو جاهلًا بها، بل مَن لم يَكفرْ بالطّاغوتِ يستحيلُ إسلامُه، عالمًا كان أو جاهلًا.

بل في مجرَّدِ احتجاجِ المخالِفِ بالجهلِ حجّةٌ أخرَى عليه، إذ هو يَعذِرُ المشركَ بجهلِه لحقيقةِ الإسلامِ والشّركِ، فكيف يكونُ مسلمًا مَن جهِلَ حقيقةَ الإسلامِ والشّركِ؟ وكيف يَشهدُ بشهادةِ التّوحيدِ مَن لم يَفهمْ معناها؟

فثبتَ أنّ مَنِ ادّعَى وجودَ مسلمٍ يَعبدُ غيرَ اللَّهِ فقد قال بوجودِ إنسانٍ كفَرَ بعبادةِ الطّاغوتِ وفي الوقتِ نفسِه عبَدَ الطّاغوتَ! وقد رَوَى مُسْلِمٌ أنّ الإسلامَ بُنِيَ «عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ»، وفي روايةٍ: «عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ»[٢]، والمشركُ لا يُحقِّقُ ذلك بحالٍ.

> **١٤٩ - ورَوَى مُسْلِمٌ:** «عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»».

= آمينَ. وانظرِ البابَ (٨) «في أنّ الإسلامَ هو الإيمانُ باللَّهِ والكفرُ بالطّاغوتِ وهو الكفرُ بعبادةِ غيرِ اللَّهِ».

[١] انظرِ البابَ (٤)، الفصلَ (٤) «في أنّ للشّهادةِ شروطًا».

[٢] وسيأتي في أوّلِ البابِ (١٥).

وفي روايةٍ له: «أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ»، ثُمَّ ذَكَرَ بِمِثْلِهِ».
[صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

في كِلا الحديثَينِ جعلَ التّوحيدَ مقرونًا بالكفرِ بالطّاغوتِ وفي معناه. فكيف يُقالُ فيمَن طلبَ الرِّزقَ مِن أحدِ الأمواتِ مِن دونِ اللَّهِ تعالَى: إنّه قد كفَرَ بالطّاغوتِ، والمرادُ بالكفرِ بالطّاغوتِ إنّما هو الكفرُ بعبادةِ ما يُعبَدُ مِن دونِ اللَّهِ؟

«فصل» (٦): لو كان الإسلامُ مجرَّدَ الانتسابِ إليه لكان عُبّادُ الأصنامِ مسلمينَ

لو أَمكنَ أن يكونَ المرءُ على دِينِ الإسلامِ لمجرَّدِ انتسابِه إليه مع مخالفتِه لحقيقتِه لكان مشركُو العربِ على ملّةِ إِبْرَاهِيمَ، لأنّهم انتسبُوا إليها، وكثيرٌ مِنهم كانوا جهّالًا بمناقضةِ ما هم عليه لدِينِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام.

لكنّ هؤلاء كانوا مشركينَ بإجماعِ المسلمينَ، وما كانوا مسلمينَ لمجرَّدِ انتسابِهم وجهلِهم. وكذلك الأمرُ اليومَ فيمَن ينتسبونَ إلى دِينِ مُحَمَّدٍ ﷺ مع وقوعِهم في الشّركِ ومناقضتِهم لحقيقتِه، فلا يُصيِّرُهم جهلُهم وانتسابُهم إلى دِينِ الإسلامِ مسلمينَ.

ومَن فرّقَ في ذلك بينَ مَن ينتسبُ إلى مُحَمَّدٍ ومَن ينتسبُ إلى غيرِه مِنَ الأنبياءِ فقد فرّقَ بينَ المتماثِلَينِ بلا دليلٍ وخالفَ العقلاءَ، إذ العِلّةُ التي جعلتْ كلَّهم مشركينَ واحدةٌ، وهي شركُهم، أيَّ نبيٍّ انتمَوا إليه وأيَّ شريعةٍ انتسبُوا إليها.

«فصل» (٧): معنَى كلمةِ الشِّركِ

في الفصولِ السّابقةِ تجلَّى مِنَ النّظرِ في كلمتَيِ الإسلامِ والمسلمِ معنَى الإسلامِ، وأنّه لا يقعُ على مشركٍ مطلَقًا. وكذلك يتبيّنُ معنَى الإسلامِ بفهمِ كلمتَيِ الشّركِ والمشركِ. لا حاجةَ إلى إعادةِ ذِكرِ أنّ الشّركَ ضدُّ الإسلامِ والإخلاصِ والحنيفيّةِ وملّةِ إِبْرَاهِيمَ.

وكما أنّ الإسلامَ ليس لفظًا مجرَّدًا لا معنَى له فكذلك الشّركُ له معنًى وحقيقةٌ يتبيّنُ بهما أنّ المشركَ لا يكونُ مسلمًا بحالٍ. و«إسلامٌ» و«مسلمٌ» و«شركٌ» و«مشركٌ» أسماءٌ شرعيّةٌ لها دلالتُها، ولها أحكامٌ تنقسِمُ إلى أحكامِ الدّنيَا وأحكامِ الآخرةِ.

فالإسلامُ اسمٌ يدلُّ على أوصافٍ معيَّنةٍ إذا قامتْ بالمرءِ كان مسلمًا، وكذلك الشّركُ. والمسلمُ والمشركُ في ذلك كالآكلِ والشّاربِ والماشِي والرّاكبِ.

كلُّ هذه الأسماءِ لها حقيقةٌ إذا لم تتحقّقْ في شخصٍ لا يُخالِفُ عاقلٌ في أنّه لا يُسمَّى بها. وهكذا يتبيّنُ مرّةً أخرَى أنّه لا تأثيرَ لكونِ الشّخصِ عالمًا بحقيقةِ فِعلِه أو جاهلًا بها، فإمّا أن تُوجَدَ فيه هذه الحقيقةُ وإمّا ألّا تُوجَدَ، عَلِمَ ذلك أو جَهِلَه.

وكذلك السّارقُ يُسمَّى سارقًا إذا تحقّقتْ فيه حقيقةُ السّرقةِ، سواءٌ أَعَلِمَ حُكمَ هذا الفِعلِ في الإسلامِ أم لم يَعلمْه. وأمّا السّؤالُ: هل يَلحَقُه حُكمُ السّرقةِ أو يُعذَرُ بجهلِه؟ فتلك مسألةٌ غيرُ هذه، لا تُغيِّرُ مِن وجودِ حقيقةِ السّرقةِ شيئًا. وقد ظهرَ اليومَ أناسٌ إذا قِيلَ لهم: «فلانٌ سارقٌ» يقولونَ: «لا تقُلْ سارقٌ، إنّه كان جاهلًا بحُرمةِ السّرقةِ» للدّفاعِ عن أصلِهم الباطلِ، مخالِفينَ للُّغةِ والشّرعِ والعقلِ.

ومِثلُه في هذا مَن كان مشركًا، فإنّ مَن فعَلَ الشّركَ الأكبرَ سُمِّيَ مشركًا لوجودِ حقيقةِ الشّركِ فيه، ولا يُمكِنُ أن يُسمَّى مسلمًا لأنّه ليس بمسلمٍ في شيءٍ، إذ حقيقةُ الإسلامِ لم تتحقّقْ فيه أصلًا. وهؤلاء يتصوّرونَ مسلمًا مشركًا، لكنّ بعضَهم مِن جهلِهم

بأوضحِ ما في اللُّغةِ إذا قِيلَ لهم ذلك يُنكِرونَه ويقولونَ: «نحنُ نُقِرُّ بأنَّ هذا المسلمَ فَعَلَ الشّركَ الأكبرَ، لكنَّه ليس مشركًا».

لكنّ لفظَ «مُشْرِكٌ» في لغةِ العربِ هو اسمُ الفاعلِ مِن «أَشْرَكَ»، واسمُ الفاعلِ فيه معنَى الفِعلِ، ولذلك جازَ أن يُوضَعَ موضعَ الفِعلِ وأن يَعملَ عملَه في الجملةِ.

> **١٥٠ - قال سِيبَوَيْهِ فِي «الكتابِ»:** «هَذَا بَابٌ مِنِ **اسْمِ الْفَاعِلِ الَّذِي جَرَى مَجْرَى الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ** فِي الْمَفْعُولِ فِي الْمَعْنَى، فَإِذَا أَرَدْتَ فِيهِ مِنَ الْمَعْنَى مَا أَرَدْتَ فِي يَفْعَلُ كَانَ نَكِرَةً مُنَوَّنًا، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: هَذَا ضَارِبٌ زَيْدًا غَدًا، **فَمَعْنَاهُ وَعَمَلُهُ مِثْلُ: هَذَا يَضْرِبُ زَيْدًا غَدًا**». [الكتابُ، لِسِيبَوَيْهِ (ت ١٨٠هـ)]

فيجوزُ أن يُقالَ: «زَيْدٌ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»، كما يجوزُ أن يُقالَ: «زَيْدٌ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ شَيْئًا»، لا فرقَ بينَهما في أصلِ المعنَى، كما في قولِك: «زَيْدٌ يَشْرَبُ خَمْرًا» و«زَيْدٌ شَارِبٌ خَمْرًا». فـ«شَيْئًا» و«خَمْرًا» في الجملتَينِ مفعولٌ إمّا للفِعلِ أو لاسمِ الفاعلِ الذي يَعملُ في المفعولِ عملَه اللّغويَّ. فكيف يأتِي الآنَ شخصٌ ويقولُ «زَيْدٌ يَشْرَبُ خَمْرًا ...» - فيُقِرُّ بتحقُّقِ شربِه للخمرِ -، «... إلّا أنّه ليس شاربًا للخمرِ، لأنّه جاهلٌ والجاهلُ معذورٌ»؟

أمّا الصّوابُ في مِثلِ هذا فهو أن يُقالَ: «زيدٌ شرِبَ خمرًا، إلّا أنّه جهِلَ حُرمةَ شُربِ الخمرِ جهلًا معتبَرًا، فلا يُعاقَبُ لجهلِه». أي: تحقّقتْ فيه حقيقةُ الشّربِ فهو شاربٌ بلا شكٍّ، لكنّ حُكمَ الشّربِ يتخلّفُ بسببِ الجهلِ.

فأهلُ هذه البدعةِ يُقِرُّونَ بأنّه أَشركَ باللَّهِ غيرَه، فقد أَقامُوا الحجّةَ على أنفسِهم، إذ كفَى أن يُقالَ لهم: «فهو مشركٌ باللَّهِ غيرَه إذًا؟»، فإن أَنكرُوه فقد خالفُوا اللُّغةَ والشّرعَ والعقلَ السّليمَ.

فظهرَ جليًّا تناقضُهم في تصوُّرِ مسلمٍ مشركٍ باللَّهِ. وعلى ما سبقَ مِن أصولِ العربيّةِ الظّاهرةِ جرَى قولُ الطَّبَرِيِّ في النّقلِ المذكورِ مِن قبلُ[1]: «بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ، فَهُمْ بِجَهْلِهِمْ بِذَلِكَ يَعْبُدُونَ آلِهَةً شَتَّى مِنْ دُونِ اللَّهِ».

فقد استعملَ اسمَ الفاعلِ على نحوِ ما سبقَ بيانُه، وعلى قولِ أهلِ هذه البدعةِ يجوزُ أن يكونَ الطَّبَرِيُّ أرادَ بقولِه «الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ»: «المسلمِينَ المشرِكِينَ باللَّهِ»، وأرجُو أنّ مَن كانت له بقيّةُ عقلٍ لا يلتزمُ مِثلَ هذا.

فالمدافِعونَ عن هذا القولِ الباطلِ لا بدَّ أن يَسألُوا أنفسَهم: أيصحُّ أن يُقالَ في مسلمٍ:

- مشرِكٌ باللَّهِ إلهًا آخرَ،
- عابدٌ مع اللَّهِ إلهًا آخرَ،
- متّخِذٌ مع اللَّهِ إلهًا آخرَ،
- عادلٌ بربِّه إلهًا آخرَ؟

---

[1] انظرِ النّصَّ (٥٣) في البابِ (٥)، الفصلِ (٢) «استعمالُ «سَلِمَ» في القرآنِ في قولِه تعالَى ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ ومَثَلُ المسلمِ والمشركِ».

«باب» (١٥): التّوحيدُ أصلُ الإسلامِ، فكيف يكونُ على الإسلامِ مَن لم يُحقِّقْ أصلَه؟

١٥١ - أَخرجَ الْبُخَارِيُّ: «عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

وفي روايةٍ لِلْبُخَارِيِّ مِن قولِ ابْنِ عُمَرَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: إِيمَانٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالصَّلَاةِ الْخَمْسِ ...»، **وفي روايتَينِ لِمُسْلِمٍ:** «عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ»، و«عَلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَيُكْفَرَ بِمَا دُونَهُ».

فالتّوحيدُ أساسُ الإسلامِ الذي بُنِيَ عليه بالاتّفاقِ، وأيُّ بيتٍ يَبقَى إذا ذهبَ أصلُه؟

«فصل» (١): المشركُ لم يُحقِّقْ ما خُلِقَ له، كما في قولِه تعالَى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

قال اللَّهُ تعالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: إلّا ليوحِّدونِ[1].

---

[1] وياءُ المتكلِّمِ في آخرِ الكلمةِ يجوزُ حذفُها في اللّغةِ كما في الآيةِ، وتَبقَى الكسرةُ دليلًا عليها، وإن لم يُنطَقْ بالكسرةِ عند الوقفِ كما في آخرِ الآيةِ.

١٥٢ - رَوَى الطَّبَرِيُّ: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلَهُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] إِلَّا لِيُقِرُّوا بِالْعُبُودِيَّةِ طَوْعًا وَكَرْهًا». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)، وبمثلِه عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ فيما نقلَه السُّيُوطِيُّ في «الدرِّ المنثورِ»]

١٥٣ - وذَكَرَ الْبُخَارِيُّ في كتابِ التّفسيرِ: «﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]: مَا خَلَقْتُ أَهْلَ السَّعَادَةِ مِنْ أَهْلِ الْفَرِيقَيْنِ إِلَّا لِيُوَحِّدُونِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: خَلَقَهُمْ لِيَفْعَلُوا، فَفَعَلَ بَعْضٌ وَتَرَكَ بَعْضٌ، وَلَيْسَ فِيهِ حُجَّةٌ لِأَهْلِ الْقَدَرِ.» [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)]

١٥٤ - وقال مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: «﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] يَعْنِي: إِلَّا لِيُوَحِّدُونِ».

وفي زياداتِ راوي تفسيرِه: «عَنْ أَبِي صَالِحٍ، قَالَ: إِلَّا لِيُوَحِّدُونِ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ: الْأَمْرُ يُعْصَى، وَالْخَلْقُ لَا يُعْصَى». [تفسيرُ مُقَاتِلٍ (ت ١٥٠هـ)]

فالمرادُ: «إلّا ليُفرِدُوا اللَّهَ بخصائصِه ولا يُشرِكُوا به أحدًا في شيءٍ مِنها»، ومِن ذلك إفرادُه بالعبادةِ، لأنّ الإقرارَ بتوحيدِ العبادةِ والعملَ به، إذا كانا على الوجهِ المطلوبِ، يتضمّنانِ الإقرارَ بتوحيدِ الرّبوبيّةِ والأسماءِ والصّفاتِ والعملَ به.

ولذلك ذكرَ السَّمْعَانِيُّ عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أنّ كلَّ ما جاءَ في القرآنِ مِنَ الأمرِ بالعبادةِ إنّما المرادُ مِنه الأمرُ بالتّوحيدِ في العبادةِ[1]. وهذا لا شكَّ فيه، إذ القرآنُ كلُّه يُفصِّلُ المرادَ مِن هذا الأمرِ.

---

[1] ذكرَه في تفسيرِه بلا إسنادٍ، ولفظُه: «كُلُّ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْعِبَادَةِ فَهُوَ بِمَعْنَى التَّوْحِيدِ»، وذكرَه الْبَغَوِيُّ أيضًا في تفسيرِه.

١٥٥ - وقال مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] **يَعْنِي: نُوَحِّدُ،** كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ فِي الْمُفَصَّلِ[١]: ﴿عَٰبِدَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥]، **يَعْنِي: مُوَحِّدَاتٍ**». [تفسيرُ مُقَاتِلٍ (ت ١٥٠هـ)]

١٥٦ - وقال يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ في «التّصاريف»: «تَفْسِيرُ «اعْبُدُوا» عَلَى ثَلَاثَةِ وُجُوهٍ: الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: «اعْبُدُوا» **يَعْنِي: وَحِّدُوا،** وَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ هُودٍ، قَوْلُ هُودٍ: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ **يَعْنِي: وَحِّدُوا اللَّهَ،** ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠]، وَكَذَلِكَ قَوْلُ صَالِحٍ لِقَوْمِهِ. وَقَالَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] **يَعْنِي: وَحِّدُوا اللَّهَ.** وَقَالَ فِي سُورَةِ نُوحٍ: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [نوح: ٣] **يَعْنِي: وَحِّدُوا اللَّهَ** ...».
[التّصاريفُ، لِيَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ (ت ٢٠٠هـ)]

وقد سبقَ ذِكرُ الطَّبَرِيِّ روايةَ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما في ذلك، ورواها ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بسندِه عنه في قولِه تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]: «أَيْ وَحِّدُوا رَبَّكُمْ»[٢].

ولو كان المرادُ مجرّدَ عبادةِ اللَّهِ مع وجودِ الشّركِ، لكان عبّادُ الأصنامِ موحِّدينَ، وفي ذلك ذهابُ معنَى الدِّينِ كلِّه. فتبيّنَ أنّ اللَّهَ خَلَقَ الخلقَ لعبادتِه وحدَه لا شريكَ له، والمشركُ لا يُحقِّقُ ذلك، فكيف يكونُ مسلمًا؟

قال تعالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥]

---

[١] «الْمُفَصَّل»: السّوَرُ الأخيرةُ مِنَ القرآنِ، قال الْخَطَّابِيُّ في «غريبِ الحديثِ»: «وَإِنَّمَا قِيلَ لَهَا الْمُفَصَّلُ لِكَثْرَةِ الْفُصُولِ بَيْنَهَا بِآيَةِ التَّسْمِيَةِ»، واختُلِفَ في أوّلِه: سورةُ «مُحَمَّدٍ» أو «ق».

[٢] انظرِ النّصَّ (١١) في البابِ (٢)، الفصلِ (٣) «الأمرُ بتوحيدِ العبادةِ في القرآنِ وقولُه تعالَى ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ وهو أوّلُ أمرٍ في كتابِ اللَّهِ».

وقد عرَفتَ معنَى الإلهِ وأنّه المعبودُ، فلو أَمكنَ أن يكونَ فاعلُ الشّركِ الأكبرِ مسلمًا مخلِصًا للَّهِ، فما معنَى قولِه تعالَى إذًا: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١﴾ [النحل: ٥١]؟

١٥٧ - قال الطَّبَرِيُّ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَقَالَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ: لَا تَتَّخِذُوا لِي شَرِيكًا، أَيُّهَا النَّاسُ، وَلَا تَعْبُدُوا مَعْبُودَيْنِ، **فَإِنَّكُمْ إِذَا عَبَدْتُمْ مَعِيَ غَيْرِي جَعَلْتُمْ لِي شَرِيكًا**، وَلَا شَرِيكَ لِي، إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَمَعْبُودٌ وَاحِدٌ، وَأَنَا ذَلِكَ».

[تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

فكيف يَقرأُ أحدٌ هذه الآيةَ ثمّ يَذهبُ إلى ذلك القولِ ويَجعلُ المشركَ مسلمًا؟! فأين يُذهَبُ بهم عن هذه الآيةِ وهم يقرؤونَ القرآنَ، بل يُدرِّسُه بعضُهم؟

«باب» (١٦): اللَّهُ لا يَغفرُ الشّركَ الأكبرَ والمشركُ لا يَدخلُ الجنّةَ

«فصل» (١): في قولِ اللَّهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ...﴾

هذا القولُ جاءَ في موضعَينِ مِن كتابِ اللَّهِ، كلاهما في سورةِ النّساءِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [النساء: ٤٨]، وقولُ اللَّهِ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١١٦﴾ [النساء: ١١٦]

١٥٨ - ورَوَى الطَّبَرِيُّ في ذلك: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾

[النساء: ١٨] فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] **فَحَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَغْفِرَةَ عَلَى مَنْ مَاتَ وَهُوَ كَافِرٌ، وَأَرْجَأَ أَهْلَ التَّوْحِيدِ إِلَى مَشِيئَتِهِ**، فَلَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنَ الْمَغْفِرَةِ».

«عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] الْآيَةَ، قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: وَالشِّرْكُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَكَرِهَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]».

«عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كُنَّا مَعْشَرَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَشُكُّ فِي قَاتِلِ الْمُؤْمِنِ، وَآكِلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَشَاهِدِ الزُّورِ، وَقَاطِعِ الرَّحِمِ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فَأَمْسَكْنَا عَنِ الشَّهَادَةِ».

ثمّ قال الطَّبَرِيُّ: «وَقَدْ أَبَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَنَّ كُلَّ صَاحِبِ كَبِيرَةٍ فَفِي مَشِيئَةِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ ذَنْبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ عَلَيْهِ **مَا لَمْ تَكُنْ كَبِيرَتُهُ شِرْكًا بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**».

«عَنِ السُّدِّيِّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] يَقُولُ: مَنْ يَجْتَنِبُ الْكَبَائِرَ **مِنَ الْمُسْلِمِينَ**».

ثمّ قال الطَّبَرِيُّ: «وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦] فَإِنَّهُ يَعْنِي: **وَمَنْ يَجْعَلْ لِلَّهِ فِي عِبَادَتِهِ شَرِيكًا**، فَقَدْ ذَهَبَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَزَالَ عَنْ قَصَدِ السَّبِيلِ ذَهَابًا بَعِيدًا وَزَوَالًا شَدِيدًا. وَذَلِكَ أَنَّهُ بِإِشْرَاكِهِ بِاللَّهِ **فِي عِبَادَتِهِ قَدْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ وَسَلَكَ طَرِيقَهُ وَتَرَكَ طَاعَةَ اللَّهِ وَمِنْهَاجَ دِينِهِ**، فَذَاكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ وَالْخُسْرَانُ الْمُبِينُ».

«عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كُنَّا مَعْشَرَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَرَى أَوْ نَقُولُ: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ حَسَنَاتِنَا إِلَّا وَهِيَ مَقْبُولَةٌ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [محمد: ٣٣] فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قُلْنَا: مَا هَذَا الَّذِي يُبْطِلُ أَعْمَالَنَا؟ فَقُلْنَا: الْكَبَائِرُ وَالْفَوَاحِشُ، قَالَ: فَكُنَّا إِذَا رَأَيْنَا مَنْ أَصَابَ شَيْئًا مِنْهَا قُلْنَا: قَدْ هَلَكَ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كَفَفْنَا عَنِ الْقَوْلِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، فَكُنَّا إِذَا رَأَيْنَا أَحَدًا أَصَابَ مِنْهَا شَيْئًا خِفْنَا عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يُصِبْ مِنْهَا شَيْئًا رَجَوْنَا لَهُ».

[تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

١٥٩ - وقال مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: «﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] **فَيَمُوتُ عَلَيْهِ،** يَعْنِي الْيَهُودَ ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الشِّرْكِ ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ **لِمَنْ مَاتَ مُوَحِّدًا،** فَمَشِيئَتُهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - **لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ**».

ورَوَى عَنْ رَجُلٍ: «عَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ **لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ**».

ثمّ قال: «﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ٤٨] مَعَهُ غَيْرَهُ ﴿فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ يَقُولُ: فَقَدْ قَالَ ذَنْبًا عَظِيمًا». [تفسيرُ مُقَاتِلٍ (ت ١٥٠هـ)]

فمَن قال بأنّ اللَّهَ يَغفرُ للمشركِ ويُدخِلُه جنّتَه مع شركِه فقد ردَّ الآيةَ ولا بدَّ، إذ حاصلُ قولِه: «إنّ اللَّهَ **يَغفرُ** أن يُشرَكَ به».

«فصل» (٢): قولُ النّبيِّ ﷺ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ»

١٦٠ - وأَخرجَ الْبُخَارِيُّ عن أَبِي هُرَيْرَةَ، وكذا عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ في حديثٍ آخرَ، قولَ النّبيِّ ﷺ: «ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى بِالنَّاسِ: «إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ...»». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

١٦١ - ورَوَى مُسْلِمٌ: «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى قُبَّةِ أَدَمٍ[١]، فَقَالَ: «أَلَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ...»». [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)، متّفقٌ عليه]

١٦٢ - ورَوَى الدَّارِمِيُّ: «عَنْ مُحَرَّرِ بْنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَنَادَى بِأَرْبَعٍ حَتَّى صَحِلَ صَوْتُهُ[٢]: «أَلَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ...»». [مسندُ الدَّارِمِيِّ (ت ٢٥٥هـ)]

١٦٣ - ورَوَى ابْنُ مَاجَه: «عَنْ بِشْرِ بْنِ سُحَيْمٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأَيَّامَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»».
[سننُ ابْنِ مَاجَه (ت ٢٧٣هـ)، وبنحوِه في مسندِ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ]

١٦٤ - ورَوَى التِّرْمِذِيُّ: «عَنْ زَيْدِ بْنِ أُثَيْعٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَلِيًّا بِأَيِّ شَيْءٍ بُعِثْتَ؟ قَالَ: بِأَرْبَعٍ: لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ...». [سننُ التِّرْمِذِيِّ (ت ٢٧٩هـ)][٣]

---

[١] «أَدَمٍ»: قال الْجَوْهَرِيُّ في «الصّحاح»: «الْأَدَمُ: جَمْعُ الْأَدِيمِ»، وهو الجلدُ المدبوغُ.

[٢] «صَحِلَ صَوْتُهُ»: قال الْخَلِيلُ في «العَيْنِ»: «الصَّحَلُ: صَوْتٌ فِيهِ بُحَّةٌ».

[٣] ورَوَى الْقَطِيعِيُّ في زياداتِه على «فضائلِ الصّحابةِ» لِأَحْمَدَ: «عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ بِسُورَةِ بَرَاءَةَ عَلَى الْمَوْسِمِ وَأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ إِلَى النَّاسِ، فَلَحِقَهُ عَلِيٌّ فِي الطَّرِيقِ، =

والمقصودُ مِن ذِكرِ هذه الأحاديثِ بيانُ أنّ النّبيَّ ﷺ أَوضحَ هذا للنّاسِ مرارًا، وهذا الحديثُ يَدلُّ على ما دلَّتْ عليه آيةُ النّساءِ، وهو معلومٌ بإجماعِ المسلمينَ: أنّ المشركَ لا يَدخلُ الجنّةَ مطلقًا.

«فصل» (٣): حديثُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه

والقولُ المذكورُ في الأحاديثِ السّابقةِ جاءَ عند أَحْمَدَ في حديثِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ الطّويلِ الذي فيه بحثُه عنِ الحقِّ، وأسوقُ مِنه هنا ما يتعلّقُ بما نحن فيه[1]:

ذُكِرَ في هذا الحديثِ أنّ سَلْمَانَ كان مجوسيًّا مِن أهلِ أَصْبَهَانَ، واجتهدَ في دِينِه حتّى كان هو الذي يُوقِدُ النّارَ ولا يَتركُها تَخبُو، فمرَّ يومًا بكنيسةٍ للنّصارَى وهم يُصلُّونَ، فأَعجبَه أمرُهم وعلِمَ أنّ دِينَهم خيرٌ مِن دِينِ قومِه، وسألَهم عن أصلِه فقالوا: بالشَّامِ.

ثمّ أَخبرَ أباه بذلك وصرّحَ له ببطلانِ دِينِه وأنّ غيرَه خيرٌ مِنه، فقيّدَه أبوه وحبسَه، ثمّ تخلّصَ مِن قيدِه وخرجَ مع رَكْبٍ مِنَ النّصارَى إلى الشَّامِ. فدُلَّ هناك على أُسقُفٍّ كان رجلَ سَوْءٍ يأمرُ النّاسَ بالصّدقةِ ثمّ يَكنِزُها لنفسِه، فأَبغضَه، فلمّا ماتَ أَظهرَ أمرَه للنّاسِ.

= فَأَخَذَ السُّورَةَ وَالْكَلِمَاتِ، فَكَانَ عَلِيٌّ يُبَلِّغُ، وَأَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمَوْسِمِ، فَإِذَا قَرَأَ السُّورَةَ نَادَى: أَلَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ...»، وفي إسنادِه سَوَّارُ بْنُ مُصْعَبٍ، قال أَبُو حَاتِمٍ: «مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ، لَا يُكْتَبُ حَدِيثُهُ، ذَاهِبُ الْحَدِيثِ»، واللَّهُ أعلمُ.

[1] وقد أَفردتُ شرحَ هذا الحديثِ بطولِه وفوائدِه في رسالةِ «قصَّة إسلام سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رضي الله عنه وما فيها مِن دلائلِ التَّوحيدِ ووصفِ غُربةِ الدِّين».

١٦٥ - **ففي حديثِ أَحْمَدَ:** «ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ، فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ، أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدْأَبُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ ... ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ: ... فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)]

ثمّ صحِبَ صاحبَ الْمَوْصِلِ، ثمّ صاحبَ نَصِيبِينَ، ثمّ صاحبَ عَمُّورِيَّةَ، كلٌّ مِنهم يَدلُّه عند موتِه على مَن بعدَه. وفي ذلك بيانُ شدّةِ غُربةِ الدِّينِ في ذلك الزّمانِ، نحوَ ستّةِ قرونٍ بعدَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، فقد بدّلَ النّاسُ دِينَهم وتركُوا أكثرَ ما كانوا عليه، وكان كلُّ واحدٍ مِن هؤلاء الرّجالِ لا يَعرفُ عند موتِه أحدًا على دِينِه إلّا رجلًا واحدًا في بلدٍ آخرَ، حتّى لم يَعرفِ الأخيرُ مِنهم أحدًا. وفيه أنّ اللَّهَ يُوفِّقُ للحقِّ مَن صدقَ في طلبِه.

فلمّا حضرتْ صاحبَ عَمُّورِيَّةَ الوفاةُ قال له:

«أَيْ بُنَيَّ، وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ».

ثمّ خرجَ سَلْمَانُ إلى أرضِ العربِ، فظُلِمَ وبِيعَ عبدًا حتّى صارَ إلى الْمَدِينَةِ، فلمّا سمِعَ بقدومِ النّبيِّ ﷺ ذهبَ إليه وتثبّتَ مِن علامةِ الصّدقةِ والهديّةِ.

والشّاهدُ مِن هذه القصّةِ ما جاءَ في روايةٍ أخرَى للحديثِ في موضعِ الإخبارِ عنِ استكشافِ سَلْمَانَ علاماتِ النّبوّةِ:

١٦٦ - رَوَى أَحْمَدُ: «وَقُمْتُ خَلْفَهُ، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، فَإِذَا خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» فَحَدَّثْتُهُ عَنِ الرَّجُلِ، وَقُلْتُ: أَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ حَدَّثَنِي أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّكَ نَبِيٌّ أَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ»». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)]

وفي هذا فائدةٌ عظيمةٌ، فإنّ الرّجلَ الذي سألَ سَلْمَانُ عنه ما رأَى مِنه إلّا خيرًا وكان مِن أصلحِ النّاسِ على ذلك الدِّينِ وأَخبرَه أنّ النّبيَّ ﷺ سيُبعَثُ في هذا الزّمانِ وأنّه سيكونُ مِنَ العربِ وعلى دِينِ إِبْرَاهِيمَ، ثمّ بيّنَ له تفاصيلَ مِن علاماتِ النّبوّةِ ونصحَ سَلْمَانَ أن يَبحثَ عنه، ومع كلِّ ذلك لم يَشهدِ النّبيُّ ﷺ له بالجنّةِ[1]!

وليس في ذلك تصريحٌ أنّ هذا الرّجلَ أو أصحابَه يَدخلونَ النّارَ وأنّهم كفّارٌ، واللَّهُ أعلمُ، فكأنّ النّبيَّ أرادَ أن يُعلِّمَ عِلمًا بليغًا ومهمًّا بالإشارةِ إلى أنّ المرءَ مهما قامَ به مِنَ الأعمالِ الصّالحةِ في الظّاهرِ فدخولُ الجنّةِ يتوقّفُ على أمرَينِ وهما:

أوّلًا: تحقيقُ التّوحيدِ الخالصِ والخلوُّ التّامُّ مِنَ الشّركِ الأكبرِ كائنًا ما كان، في الرّبوبيّةِ أو الألوهيّةِ، أي: العبادةِ، أو الأسماءِ والصّفاتِ. وهذا يستلزمُ الأمرَ الآتي.

ثانيًا: سلامةُ الباطنِ مِنَ النّفاقِ والشّكِّ، بأن لا يُظهِرَ للنّاسِ التّوحيدَ وفي قلبِه ما يناقضُه.

---

[1] وجاءَ في بعضِ رواياتِ التّفسيرِ في هذه القصّةِ ذِكرُ مصيرِهم، وذكرَها ابْنُ مَنْدَه في «التّوحيدِ» في بابِ «ذِكرُ الدّليلِ على أنّ المجتهدَ المخطئَ في معرفةِ اللَّهِ ﷻ ووحدانيّتِهِ كالمُعانِدِ».

فكأنّه لم يُرِدْ أن يُؤكِّدَ له ذلك وأرادَ أن يُعلِّمَه بدلًا مِنه عِلمًا هو أعمُّ مِن ذِكرِ حالِ هؤلاء المعيَّنينَ، واللَّهُ أعلمُ.

«فصل» (٤): مَن أَشركَ باللَّهِ لا يَدخلُ الجنّةَ، وقولُه تعالَى ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾

١٦٧ - رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «بابِ الجنائزِ»[1]: «عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي - أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي - أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»».

وفي روايةٍ له: «قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، غُفِرَ لَهُ».

وبعدَ الحديثِ في البابِ المذكورِ: «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ» وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

وقال تعالَى في سورةِ المائدةِ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢]

---

[1] وترجمةُ البابِ: «بَابٌ فِي الجَنَائِزِ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وفيها قولُ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: «لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ»، وقد سبقَ بتمامِه برقمِ (٤٥) في البابِ (٤)، الفصلِ (٤) «في أنّ للشّهادةِ شروطًا».

١٦٨ - رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الدَّوَاوِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: دِيوَانٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ، وَدِيوَانٌ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِ شَيْئًا، وَدِيوَانٌ لَا يَدَعُهُ اللَّهُ لِشَيْءٍ، فَأَمَّا الدِّيوَانُ الَّذِي لَا يَغْفِرُ فَـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، وَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة: ٧٢]»». [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)][(١)]

١٦٩ - وقال الطَّبَرِيُّ في طُعْمَةَ بْنِ أُبَيْرِقٍ الذي نزلتِ الآياتُ فيه: «... لَوْلَا أَنَّهُ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَمَاتَ عَلَى شِرْكِهِ لَكَانَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خِيَانَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ، وَكَانَ إِلَى اللَّهِ أَمْرُهُ فِي عَذَابِهِ وَالْعَفْوِ عَنْهُ. وكَذَلِكَ حُكْمُ كُلِّ مَنِ اجْتَرَمَ جُرْمًا، فَإِلَى اللَّهِ أَمْرُهُ، **إِلَّا أَنْ يَكُونَ جُرْمُهُ شِرْكًا بِاللَّهِ وَكُفْرًا، فَإِنَّهُ مِمَّنْ حَتْمٌ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ إِذَا مَاتَ عَلَى شِرْكِهِ، فَإِذَا مَاتَ عَلَى شِرْكِهِ، فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ».**

«﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] أَنْ يَسْكُنَهَا فِي الْآخِرَةِ. ﴿وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ يَقُولُ: **وَمَرْجِعُهُ وَمَكَانُهُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ وَيَصِيرُ فِي مَعَادِهِ، مَنْ جَعَلَ لِلَّهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِ نَارُ جَهَنَّمَ.** ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ يَقُولُ: وَلَيْسَ لِمَنْ فَعَلَ غَيْرَ مَا أَبَاحَ اللَّهُ لَهُ **وَعَبَدَ غَيْرَ الَّذِي لَهُ عِبَادَةُ الْخَلْقِ** ﴿مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ يَنْصُرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ اللَّهِ، فَيُنْقِذُونَهُ مِنْهُ إِذَا أَوْرَدَهُ جَهَنَّمَ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

[(١)] ورواه أَحْمَدُ، ولفظُه: «الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةٌ»، وفي إسنادِه صَدَقَةُ بْنُ مُوسَى الدَّقِيقِيُّ، قال يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: «لَيْسَ حَدِيثُهُ بِشَيْءٍ»، نقلَه ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ في «الجرح والتّعديلِ»، وقال النَّسَائِيُّ في «الضّعفاءِ والمتروكينَ»: «ضَعِيفٌ».

«باب» (١٧): المشركُ لا يَعرفُ معنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

«فصل» (١): العِلمُ بالمعنَى مِن شروطِ شهادةِ الإسلامِ، وقولُه تعالَى ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾

لا شكَّ أنّ المرءَ لا يُمكِنُ أن يكونَ مسلمًا إلّا إذا حقّقَ شرطَ العِلمِ بشهادةِ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. لا بدَّ أن يَعلمَ المعنَى وأن يَعملَ به عن عِلمٍ وقصدٍ، وهذا معلومٌ ببدائهِ العقولِ. إذ لو أنّ رجلًا لا يَعرفُ العربيّةَ سمِعَ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فنطقَ بمِثلِ ما سمعَ دونَ عِلمٍ بمعناه، لم يكنْ مسلمًا بنطقِه بالشّهادةِ، بإجماعِ المسلمينَ. قال تعالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ...﴾ [محمد: ١٩]

١٧٠ - قال الطَّبَرِيُّ في الآيةِ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: فَاعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ تَنْبَغِي أَوْ تَصْلُحُ لَهُ الْأُلُوهَةُ، وَيَجُوزُ لَكَ وَلِلْخَلْقِ عِبَادَتُهُ، إِلَّا اللَّهُ الَّذِي هُوَ خَالِقُ الْخَلْقِ، وَمَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، يَدِينُ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ كُلُّ مَا دُونَهُ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

١٧١ - وبوّبَ الْبُخَارِيُّ: «بَابٌ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)]

١٧٢ - ورَوَى مُسْلِمٌ: «عَنْ عُثْمَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»». [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

والمشركُ الجاهلُ لا يَعلمُ معنَى التّوحيدِ، ولو عَلِمَه ما كان مشركًا جاهلًا أصلًا، بل كان عندئذٍ عالمًا ببطلانِ الشّركِ، ومع ذلك معانِدًا مُصِرًّا على إظهارِ شركِه.

١٧٣ - وبوّبَ ابْنُ مَنْدَه: «ذِكْرُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ قَائِلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ مُسْتَيْقِنًا مُعْتَقِدًا بِهَا قَلْبُهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ». [كتابُ الإيمانِ، لِابْنِ مَنْدَه (ت ٣٩٥هـ)]

١٧٤ - ثمّ ذكرَ الحديثَ الذي عند مُسْلِمٍ، أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لِأَبِي هُرَيْرَةَ: «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ». [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

١٧٥ - ورَوَى النَّسَائِيُّ: «عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، مُوقِنًا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»».

[السّننُ الكُبرى، لِلنَّسَائِيِّ (ت ٣٠٣هـ)، ورواه الطَّبَرَانِيُّ وابْنُ مَنْدَه وغيرُهما]

١٧٦ - وبوّبَ أَبُو عَوَانَةَ: «بَيَانُ الْأَعْمَالِ وَالْفَرَائِضِ الَّتِي إِذَا أَدَّاهَا بِالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ الْإِقْرَارُ حَتَّى يَسْتَيْقِنَ بِهِ قَلْبُهُ وَيُرِيدَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ﷻ بِمَا يُحَرِّمُ بِهِ عَلَى النَّارِ». [مُستَخرَجُ أَبِي عَوَانَةَ (ت ٣١٦هـ)]

ثمّ ساقَ عددًا مِنَ الأحاديثِ، سبقَ في هذا الكتابِ كثيرٌ مِنها أو ما في معناها.

١٧٧ - قال مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ: «وَكَذَلِكَ حِينَ أَجَابَ النَّبِيُّ ﷺ جِبْرِيلَ بِقَوْلِهِ: «الْإِسْلَامُ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لَمْ يُرِدْ شَهَادَةً بِاللِّسَانِ كَشَهَادَةِ الْمُنَافِقِينَ، وَلَكِنْ أَرَادَ شَهَادَةً بَدْؤُهَا مِنَ الْقَلْبِ بِالتَّصْدِيقِ بِاللَّهِ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ».

[تَعظيمُ قَدْرِ الصَّلاةِ، لِمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيِّ (ت ٢٩٤هـ)]

١٧٨ - ورَوَى مُسْلِمٌ عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ النّبِيَّ ﷺ قال: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

[صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

وكيف يكونُ غيرَ شاكٍّ في أمرِ مَن لا يَعلمُ معناه أصلًا؟

«فصل» (٢): معنَى الشّهادةِ أن يَعلمَ الشّاهدُ ما شَهِدَ به، وقولُه تعالَى ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

قال تعالَى: ﴿... إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦]

لفظُ الشّهادةِ يتضمّنُ عِلمَ الشّاهدِ بما يَشهدُ به، فهذا شرطٌ لصحّةِ شهادتِه. فإذا لم يتحقّقِ العِلمُ كانت شهادةَ زورٍ وكذبٍ، فلا تُتَصوَّرُ شهادةٌ دونَ عِلمٍ وفهمٍ لِما يَشهدُ به.

١٧٩ - ورَوَى الطَّبَرِيُّ: «عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦] قَالَ: عِيسَى وَعُزَيْرٌ وَالْمَلَائِكَةُ، ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ قَالَ: **كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ**، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ، عِيسَى وَعُزَيْرٌ وَالْمَلَائِكَةُ. يَقُولُ: لَا يَشْفَعُ عِيسَى وَعُزَيْرٌ وَالْمَلَائِكَةُ إِلَّا لِمَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ، **وَهُوَ يَعْلَمُ الْحَقَّ**».

[تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

١٨٠ - وجاء عن يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ: «﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦] **وَقُلُوبُهُمْ مُخْلِصَةٌ بِشَهَادَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ**». [تفسيرُ يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ (ت ٢٠٠هـ)]

١٨١ - وجاء عن مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ: «﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦] يَقُولُ: لَا تَقْدِرُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ الشَّفَاعَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ وَنَفَرًا مَعَهُ قَالُوا: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَنَحْنُ نَتَوَلَّى الْمَلَائِكَةَ، وَهُمْ أَحَقُّ بِالشَّفَاعَةِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ يَقُولُ: وَلَا يَقْدِرُ ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾، يَقُولُ: لَا تَقْدِرُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَلَى الشَّفَاعَةِ لِأَحَدٍ،

ثُمَّ اسْتَثْنَى فَقَالَ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ **يَعْنِي بِالتَّوْحِيدِ** مِنْ بَنِي آدَمَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ **أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ،** فَشَفَاعَتُهُمْ لِهَؤُلَاءِ. قَوْلُهُ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٧] يَعْنِي أَهْلَ مَكَّةَ: كُفَّارَهُمْ ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ: خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، نَزَلَتْ فِي آخِرِهَا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾

فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَقَالُوا: اللَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَهُوَ خَلَقَنَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: قُلْ لَهُمْ: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ يَقُولُ: مِنْ أَيْنَ يُكَذِّبُونَ بِأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْتُمْ مُقِرُّونَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ وَخَلَقَكُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُ أَحَدٌ فِي مُلْكِهِ فِيمَا خَلَقَ؟ فَكَيْفَ تَعْبُدُونَ غَيْرَهُ؟» [تفسيرُ مُقَاتِلٍ (ت ١٥٠هـ)]

١٨٢ - وبه تَفهمُ معنَى قولِ النّبيِّ ﷺ الذي رواه الْبُخَارِيُّ: «عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ - ثَلَاثًا - قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ **صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ،** إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)]

١٨٣ - ورواه أَحْمَدُ بلفظِ: «عَنْ مُعَاذٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»».

[مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)][1]

---

[1] ورواه النَّسَائِيُّ بالإسنادِ نفسِه بلفظِ «مُوقِنًا مِنْ قَلْبِهِ»، وقد سبقَ برقم (١٧٥) في الفصلِ (١) =

فقد عرفتَ معنَى الشّهادةِ وأن لا شهادةَ إلّا بعِلمٍ. ثمّ زادَه النّبيُّ ﷺ هاهنا بيانًا وتأكيدًا، فشَرَطَ أن يَشهدَ صادقًا مِن قلبِه، وهذا يستحيلُ مِمَّن لا يَعرفُ المعنَى أصلًا.

«فصل» (٣): سؤالُ الملَكَينِ في القبرِ، وقولُه تعالَى ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾

١٨٤ - رَوَى أَحْمَدُ الحديثَ الطّويلَ عن سؤالِ الملَكَينِ في القبرِ، وفيه عن روحِ الكافرِ:

«فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]

فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى»، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا». ثُمَّ قَرَأَ: «﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]

فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا ...»

= «العِلمُ بالمعنَى مِن شروطِ شهادةِ الإسلامِ، وقولُه تعالَى ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾».

وفيه عن روحِ المؤمنِ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،

فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: «اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، **فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟** فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: **مَا دِينُكَ؟** فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: **مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟** فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: **وَمَا عِلْمُكَ؟**

فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ»». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)، ورواه أَبُو دَاوُدَ وغيرُه][(١)]

فكلٌّ يُسأَلُ عن عِلمِه، فكيف يَثبتُ في هذا المقامِ مَن ليس له عِلمٌ بحقيقةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟

١٨٥ - ورَوَى الْبُخَارِيُّ عن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ أنّ النّبيَّ ﷺ قال بعدَ صلاةِ الكسوفِ: «... يُؤْتَى أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ - أَوِ

---

(١) قال ابْنُ مَنْدَه في «الإيمانِ»: «هَذَا إِسْنَادٌ مُتَّصِلٌ مَشْهُورٌ، رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنِ الْبَرَاءِ»، وقال: «وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى رَسْمِ الْجَمَاعَةِ».

الْمُوقِنُ، لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا، **فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا**، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ - أَوِ الْمُرْتَابُ لَا أَدْرِي أَيَّتَهُمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: **لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ».** [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متفقٌ عليه]

وفي ذلك قولُ اللَّهِ تعالَى في سورةِ إبراهيمَ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧]

١٨٦ - رَوَى الطَّبَرِيُّ: «عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» قَالَ: «فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»»

«عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جِنَازَةٍ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ... وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ، فَيُقَالُ لَهُ مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: **مَا أَدْرِي**، فَيُقَالُ لَهُ: **لَا دَرَيْتَ**، وَلَا تَلَيْتَ[1]، وَلَا اهْتَدَيْتَ ...»»

«عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [إبراهيم: ٢٧] قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ الْمَسْأَلَةُ فِي الْقَبْرِ»

«عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ... فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: **لَا أَدْرِي**، قَالَ: فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: **لَا أَدْرِي**، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: مَا هَذَا النَّبِيُّ الَّذِي بُعِثَ

---

[1] «وَلَا تَلَيْتَ»: قال ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ في «الزّاهرِ»: «وَحَكَى أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَقَالَ: الْأَصْلُ فِيهِ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَوْتَ، فَرَدُّوهُ إِلَى الْيَاءِ، فَقَالُوا: تَلَيْتَ، لِيَزْدَوِجَ الْكَلَامُ».

فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: **سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ ذَلِكَ، لَا أَدْرِي**. قَالَ: فَيَقُولَانِ: **لَا دَرَيْتَ** قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧]»

[تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)][1]

ويبلغُ تثبيتُ اللَّهِ تعالَى للصّالحينَ أن يطمئنُّوا في هذا الموقفِ الشّديدِ لا يخافونَ، فسبحانَ اللَّهِ، جعلَنا اللَّهُ مِنهم، آمينَ.

١٨٧ - ورَوَى ابْنُ مَاجَه: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ، فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ وَلَا مَشْعُوفٍ[2]، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ فِي الْإِسْلَامِ»». [سننُ ابْنِ مَاجَه (ت ٢٧٣هـ)، ونحوُه عند أَحْمَدَ مِن حديثِ عَائِشَةَ]

فعُلِمَ أنّ القولَ الثّابتَ هو لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يثبِّتُ اللَّهُ به المسلمَ في الدّنيَا والآخرةِ، ويُضِلُّ الكافرَ عنه، فلا يَدرِي في الآخرةِ. فكيف بمَن لم يَعلمْ حقيقةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ في الدّنيَا؟

---

[1] وحديثُ الْبَرَاءِ الأوّلُ رواه الْبُخَارِيُّ في «كتابِ التفسيرِ» بلفظِه، إلّا أنّ أوّلَه عنده: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ»، ومُسْلِمٌ بنحوِه، وفيه: «نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟»، وقولُ طَاوُسٍ في «تفسيرِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ»، وهو وحديثُ الْبَرَاءِ الآخِرُ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ أيضًا فيما نقلَه السُّيُوطِيُّ في «الدّرِّ المنثورِ»، والأخبارُ في هذا الأمرِ كثيرةٌ مستفيضةٌ.

[2] «مَشْعُوفٍ»: قال الْخَطَّابِيُّ في «غريبِ الحديثِ»: «أَيْ غَيْرَ فَزِعٍ وَلَا مَذْعُورٍ».

«فصل» (٤): أوّلُ ما يُعَلَّمُ الصّبيُّ الإيمانُ باللَّهِ والكفرُ بالطّاغوتِ وهو الإسلامُ

١٨٨ - بوّبَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: «مَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يُعَلَّمَهُ الصَّبِيُّ أَوَّلَ مَا يَتَعَلَّمُ»

ثمّ ذَكرَ فيه: «عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، يُعَلِّمُ وَلَدَهُ، يَقُولُ: قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَكَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ

حَدَّثَنَا ... عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ قَالَ: «كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُلَقِّنُوا الصَّبِيَّ، وَيُعْرِبُ[1] أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمُ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَوَّلَ شَيْءٍ يُتَكَلَّمُ بِهِ»».

[مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ (ت ٢٣٥هـ)]

والإيمانُ باللَّهِ والكفرُ بالطّاغوتِ هذا معنَى الإسلامِ، كما تبيّنَ مِن قبلُ.

«فصل» (٥): مثالٌ يَضربُه بعضُ مَن ضلَّ في هذا الزّمانِ يدلُّ على سوءِ الفهمِ

ومِنَ النّاسِ مَن يريدُ أن يبيِّنَ أنّ بعضَ المشركينَ مسلمونَ جهّالٌ في مثالٍ وهميٍّ. لكن لو فهِمُوا حقيقةَ الشّهادةِ لعلِمُوا أنّ هذا المثالَ يبيِّنُ خلافَ قولِهم. فيقولونَ نحوَ ما يلِي:

«لو أنّ رجلًا آمنَ باللَّهِ ﷻ وبرسولِه ﷺ ثمّ إنّه في لحظةٍ مِن لحظاتِ حياتِه شعَرَ بضِيقٍ فتوسّمَ في شيخِ مسجدِه الذي يُوجَدُ بالقريةِ الصّلاحَ فذهبَ إليه وقال له: أَشعُرُ

---

[1] كذا في المطبوع: «وَيُعْرِبُ أَوَّلَ مَا يَتَكَلَّمُ يَقُولُ»، ورواه أَبُو عُبَيْدٍ في «غريبِ الحديثِ» بالإسنادِ نفسِه، ولفظُه: «كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يُلَقِّنُوا الصَّبِيَّ حِينَ يُعْرِبُ أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ».

بكَرْبٍ شديدٍ وبضِيقٍ في صدري. فقال له الشّيخُ: سأدلُّك على علاجٍ ربّانيٍّ، لقد قال النّبيُّ ﷺ: إذا ضاقتِ الصّدورُ فاستغيثُوا بأصحابِ القبورِ. فذهبَ الرّجلُ يستغيثُ بأصحابِ القبورِ ظنًّا مِنه أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد أمرَه بذلك».

فيُقالُ:

- هذا الرّجلُ في المثالِ لا يَعرفُ معنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قطعًا، فلا يحقِّقُ شرطَ العِلمِ، ولذلك يستحيلُ إسلامُه.
- الرّجلُ يَعبدُ غيرَ اللَّهِ واتّخذَ إلهًا مِن دونِ اللَّهِ، فلا يُمكِنُ أن يُوصَفَ بأنّه محقِّقٌ لِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. إنّه ليس مسلمًا ولا مخلِصًا ولا حنيفًا ولا متّبِعًا لملّةِ إِبْرَاهِيمَ.
- إنّه ظنَّ أنّ الميّتَ يستحقُّ العبادةَ، إذ رأَى أنّه يُطلَبُ مِنه ما لا يُطلَبُ إلّا مِنَ اللَّهِ تعالَى، وحَسِبَ ذلك مناسِبًا لمقامِه.
- تصديقُه الخبرَ المكذوبَ يؤكِّدُ كلَّ ذلك، لأنّه لو عرفَ حقيقةَ الإسلامِ لاستحالَ أن يَقبلَ أيَّ قولٍ يناقضُها وأن يَتركَ أساسَ الملّةِ لهذا الخبرِ. أفمَن عرفَ دِينَ الإسلامِ يَقبلُ خبرًا مكذوبًا يحسِّنُ له الشّركَ؟! سبحانَ اللَّهِ، هذا لا يكونُ!

وكيف إذًا أمرُ مَن آمنَ بمُسَيلِمةَ الكذّابِ مِن بَنِي حَنِيفَةَ، وقد شهِدَ له عندهم غيرُ واحدٍ، وكانوا يدّعونَ أنّه يَنزِلُ عليه قرآنٌ، ويتلُونَ تلك الخرافاتِ في الصّلاةِ؟ فهلّا عذرُوهم أيضًا؟ فإن قالوا: لا، لأنّ ذلك أمرٌ عظيمٌ، وهو ادّعاءُ نبوّةِ أحدٍ بعدَ النّبيِّ ﷺ، قِيلَ: بل هم يجوِّزونَ ما هو أعظمُ مِن ذلك، إذ الإشراكُ باللَّهِ أعظمُ مِن إشراكِ أحدٍ مع نبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ في النّبوّةِ. فكيف يَعذِرونَ في الأعظمِ ولا يَعذِرونَ فيما دونَه؟!

ولو أَمكنَ مِثلُ هذا الذي يصوِّرونَه لجازَ أن يصدِّقَ مسلمٌ مَن جاءَه بخبرٍ يَنْسُبُه إلى النّبيِّ ﷺ، يزعمُ فيه أنّ للَّهِ ولدًا، تعالَى اللَّهُ عن ذلك. فهل هذا ونظيرُه جائزٌ مِن مسلمٍ؟ وهل يكونُ مَن يصدّقُ مِثلَ هذا الخبرِ ويَقبلُ ما فيه مسلمًا معذورًا بالجهلِ، لأنّه أرادَ طاعةَ اللَّهِ ورسولِه؟

لا أَظنُّ عاقلًا يدّعِي مِثلَ ذلك، لكنّ مِنهم، كما سبقَ، مَن يلتزمُ حتّى هذا الباطلَ، فيتصوَّرُ مسلمًا يَعبدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام ويظنُّه ابْنَ اللَّهِ تعالَى، لحداثةِ عهدِه بالإسلامِ - كما يزعمُ هؤلاء!

وإذ لم يَجُزْ أن يُتصوَّرَ مسلمٌ يعتقدُ بُنوّةَ عِيسَى عليه السلام، فكذلك لا يُتصوَّرُ إسلامُ عُبّادِ القبورِ، لأنّ الجامعَ بينَهم الشّركُ الأكبرُ. لكنّ كثيرًا مِنَ النّاسِ اليومَ لا يَعرفونَ حقيقةَ الإسلامِ، ولذلك يُشكِلُ عليهم التّفريقُ بينَ المسلمِ والمشركِ.

وعجيبٌ جدًّا أنّ مَن يُوردُ هذا المثالَ يُقِرُّ بأنّ الرّجلَ فيه فعَلَ الشّركَ الأكبرَ الصّريحَ، ثمّ يحتجُّ بأنّ التّوحيدَ إنّما هو «إفرادُ اللَّهِ بالطّاعةِ المطلَقةِ»!

ومعنَى هذا القولِ العجيبِ أن يُقالَ إنّ هذا المشركَ الجاهلَ قد حقّقَ التّوحيدَ! وهذا قولٌ في غايةِ البطلانِ. إذ كيف يجرِّدُ التّوحيدَ عن معانِيه حتّى يَجعلَ المشركَ الجاهلَ بحقيقةِ الإسلامِ محقِّقًا للتّوحيدِ بحجّةِ أنّه أرادَ الخيرَ وأنّه إنّما أرادَ أن يُطيعَ اللَّهَ بشركِه؟! لو التزمَ هذا الزّاعمُ هذا الأصلَ الباطلَ في كلِّ أحدٍ، لزمَ مِنه إدخالُ جماهيرِ أهلِ الكفرِ والشّركِ في ملّةِ الإسلامِ، ما عليهم إلّا أن يزعمُوا أنّهم إنّما أرادُوا أن يُطيعُوا اللَّهَ. ويدخلُ في ذلك كلُّ فِرقةٍ تدّعِي الإسلامَ وهي خارجةٌ عنه في حقيقةِ الأمرِ، بل يدخلُ فيه عُبّادُ الأوثانِ مِن مشركِي العربِ قديمًا. فكيف يزعمُ مَن تصدّرَ لتدريسِ العِلمِ الشّرعيِّ مِثلَ هذا، بل كيف يزعمُه عاقلٌ؟

ثمّ إنّ هذا المثالَ، مع كلِّ ما سبقَ، بعيدٌ جدًّا عن واقعِ النّاسِ اليومَ. وهذا غلطٌ آخرُ كبيرٌ مِن أصحابِ هذا القولِ، أنّهم لا يُنزِّلونَ ما انتهَوا إليه على الرّجلِ المتصوَّرِ في المثالِ فحسبُ، بل ينزِّلونَه على كثيرٍ مِنَ المشركينَ اليومَ أو على معظمِهم، مع البَونِ الشّاسعِ بينَهم وبينَ المذكورِ في المثالِ. فما وجهُ ذكرِ هذا المثالِ عند أناسٍ يَقرؤُونَ القرآنَ ويَسمعونَه كلَّ يومٍ، ولعلّ كثيرًا مِنهم حفِظَ بعضَه أو كلَّه؟

وبذلك يَظهرُ سوءُ قصدِ مَن يجادلُ عن بعضِ المشركينَ بحجّةِ الجهلِ والانتسابِ، فإنّهم يخالفونَ الصّوابَ مِن وجوهٍ كما تقدّمَ. إذ لا يجوزُ على قولِهم الباطلِ نفسِه أن يُنزِّلوه على عامّةِ المشركينَ اليومَ، ممّا يبيِّنُ أنّ قصدَهم إنّما هو أن يَعذِرُوا هؤلاء بكلِّ شيءٍ كائنًا ما كان، نسألُ اللَّهَ لنا ولهم الهدايةَ، آمينَ.

«فصل» (٦): أمثلةُ المشركِ الجاهلِ وعدمُ عُذرِه في القرآنِ

قال تعالَى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧﴾ [المؤمنون: ١١٧]

وقد سبقَ قولُ قَتَادَةَ: «لَا بَيِّنَةَ لَهُ بِهِ بِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ أَنْ يَعْبُدَ إِلَهًا مِنْ دُونِهِ»، وقولُ الطَّبَرِيِّ: «لَا حُجَّةَ لَهُ بِمَا يَقُولُ وَيَعْمَلُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا بَيِّنَةَ»[1].

١٨٩ - ورَوَى الطَّبَرِيُّ: «عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلَهُ: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧] قَالَ: **بَيِّنَةٌ**»، **وفي روايةٍ أخرَى: «لَا حُجَّةَ».** [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

---

[1] انظرِ النّصَّينِ (٢٦، ٢٧) في البابِ (٣)، الفصلِ (٤) «قولُ اللَّهِ تعالَى ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾».

يعنِي ليستْ لهذا المشركِ الدّاعِي إلهًا آخرَ حجّةٌ ولا بيّنةٌ لفِعلِه هذا، ومع ذلك لم يَعذرْه اللَّهُ تعالَى بل جعلَه مِنَ الكافرينَ.

وقال تعالَى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الزمر: ٢٩]

وقد سبقَ قولُ الطَّبَرِيِّ فيها: «بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ، فَهُمْ بِجَهْلِهِمْ بِذَلِكَ يَعْبُدُونَ آلِهَةً شَتَّى مِنْ دُونِ اللَّهِ»[1].

وقال تعالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥]

وقد سبقَ قولُ الطَّبَرِيِّ فيها: «وَهَذَا مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَى خَطَأِ قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِاللَّهِ أَحَدٌ إِلَّا مِنْ حَيْثُ يَقْصِدُ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ الْعِلْمِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ»[2].

---

[1] انظرِ النّصَّ (٥٣) في البابِ (٥)، الفصلِ (٢) «استعمالُ «سَلِمَ» في القرآنِ في قولِه تعالَى ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ ومَثَلُ المسلمِ والمشركِ».

[2] انظرِ النّصَّ (٥٤) في البابِ (٥)، الفصلِ (٢) «استعمالُ «سَلِمَ» في القرآنِ في قولِه تعالَى ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ ومَثَلُ المسلمِ والمشركِ».

«باب» (١٨): أحاديثُ امتحانِ بعضِ النّاسِ يومَ القيامةِ

جاءتْ أحاديثُ في أنّ أُناسًا لم تَبلغْهم دعوةُ الرّسلِ في الدّنيَا، أو لم يتمكّنُوا مِن فهمِها، يحتجّونَ يومَ القيامةِ بجاهِلِهم، فيَمتحِنُهم اللَّهُ تعالَى امتحانًا خاصًّا.

ورُوِيَ ذلك عن غيرِ واحدٍ مِنَ الصّحابةِ، وأشهرُه حديثُ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ وحديثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما[١]:

١٩٠ - رَوَى أَحْمَدُ: «عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ[٢]، فَأَمَّا

---

[١] أنكرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ هذه الأحاديثَ في «الاستذكارِ» وضعّفَ أسانيدَها، واحتجَّ بأنّ الآخرةَ دارُ جزاءٍ لا دارُ عملٍ وابتلاءٍ، وذكرَ أنّ مَن ماتَ في الفترةِ إن كان معذورًا لم يأتِه نذيرٌ فلا يُؤمَرُ باقتحامِ النّارِ، وكان أَلْيَنَ في «التّمهيدِ»، فقال: «رُوِيَ هَذَا الْمَعْنَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَدِيثِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَثَوْبَانَ بِأَسَانِيدَ صَالِحَةٍ مِنْ أَسَانِيدِ الشُّيُوخِ»، وقال: «وَجُمْلَةُ الْقَوْلِ فِي أَحَادِيثِ هَذَا الْبَابِ كُلِّهَا، مَا ذَكَرْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَذْكُرْ: أَنَّهَا مِنْ أَحَادِيثِ الشُّيُوخِ، وَفِيهَا عِلَلٌ، وَلَيْسَتْ مِنْ أَحَادِيثِ الْأَئِمَّةِ الْفُقَهَاءِ». وردَّ عليه ابْنُ الْقَيِّمِ في «طريقِ الهجرتَينِ» مِن وجوهٍ، أوّلُها: «أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ لَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى إِنْكَارِهَا، بَلْ وَلَا أَكْثَرُهُمْ»، ومِنها أنّ الْأَشْعَرِيَّ حكَى القولَ بها عن أهلِ السّنّةِ والحديثِ، وكذلك ردَّ عليه ابْنُ كَثِيرٍ في «تفسيرِه» بأنّ أحاديثَ هذا البابِ «مِنْهَا مَا هُوَ صَحِيحٌ، كَمَا قَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ حَسَنٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ ضَعِيفٌ يَقْوَى بِالصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ»، وذكرَ أنّ الْبَيْهَقِيَّ نصرَ هذا القولَ في «الاعتقادِ».

[٢] «الفَتْرَةُ»: انقطاعُ الرّسلِ، قال الطَّبَرِيُّ في قولِه تعالَى: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩]: «يَقُولُ: عَلَى انْقِطَاعٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَالْفَتْرَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الِانْقِطَاعُ». وهو أمرٌ نسبيٌّ، فقد يَعرفُ بعضُ مَن عاشَ في زمنِ الفترةِ التّوحيدَ، كما كان العربُ قبلَ الإسلامِ ينتسبونَ إلى ملّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ويَعرفونَ بعضَ شعائرِها، وكان فيهم الحنفاءُ الذين أَنكرُوا عبادةَ الأوثانِ، وقد سبقَ ذكرُهم في البابِ (٩)، =

الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي[1] بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، **وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ**. فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ[2]، **فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ**. قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا، لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا»»

ورَوَى بعدَه: «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، مِثْلَ هَذَا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ: «فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا»». [مسندُ أَحْمَدَ (ت ٢٤١هـ)][3]

فهؤلاء يحتجّونَ بأنّ الامتحانَ الذي يُمتَحَنُ به النّاسُ في الدّنيَا لم يقعْ لهم.

وإنّما يُذكَرُ هذا هنا لأنّ بعضَ النّاسِ اليومَ يَفهمونَ هذه الأحاديثَ على غيرِ وجهِها، ويحتجّونَ بها على أنّ المشركَ المنتسِبَ إلى الإسلامِ قد يَخرجُ مِن هذا الامتحانِ مسلمًا فيَدخلُ الجنّةَ، يقولونَ: مَنِ انتسبَ إلى الإسلامِ ووقعَ في الشّركِ جهلًا بأصلِ الإسلامِ يُمتَحَنُ يومَ القيامةِ، فيكونُ في الدّنيَا مسلمًا معذورًا.

وهذا خطأٌ بيِّنٌ، فإنّ المذكورينَ في الأحاديثِ لم يَعيشُوا مسلمينَ ولم يموتُوا مسلمينَ، وهم أنفسُهم يحتجّونَ بأنّ الإسلامَ لم يَبلغْهم أو لم يعقلُوه، ولا يُمتَحَنُ المسلمُ بمِثلِ هذا الامتحانِ بالاتّفاقِ. فمَن فهِمَ ذلك عَلِمَ أنّ هذه الأحاديثَ مِن أقوَى الأدلّةِ

= الفصلِ (٢)، والبابِ (١٠)، الفصلِ (٤). والمرادُ في الحديثِ مَن لم تَبلغْه دعوةُ الرّسلِ أصلًا.

[1] «يَحْذِفُونِي»: قال الْخَلِيلُ في «العَيْنِ»: «الْحَذْفُ: الرَّمْيُ عَنْ جَانِبٍ».

[2] أي: عهودَهم ليُطيعُنَّه فيما يأمرُهم به.

[3] ورواه إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ في «مسندِه» بالإسنادَينِ، وفي حديثِ الْأَسْوَدِ عنده: «أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وقال الْبَيْهَقِيُّ في «الاعتقادِ» بعدَهما: «وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ».

على بطلانِ القولِ بأنّ المشركَ يكونُ مسلمًا لانتسابِه الظّاهرِ إلى الإسلامِ، فامتحانُهم يَدلُّ على أنّهم ليسوا مسلمينَ، وإلّا لم يكنْ للامتحانِ معنًى.

والأصلُ أنّ النّاسَ يُبتَلَونَ في الدّنيَا، وهذا هو المقصودُ مِن حياتِهم فيها: أن يتميّزَ مَن أَسلمَ للَّهِ ممّن لم يُسلِمْ، كما قال تعالَى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، فلا معنَى لهذا الامتحانِ إلّا فيمَن لم يكنْ في الدّنيَا مسلمًا.

وفي هذا القَدْرِ كفايةٌ للتّنبيهِ على ما يتعلّقُ بموضوعِ الكتابِ مِن هذه الأحاديثِ، وأمّا تفصيلُ الكلامِ فيها وفي هذا الامتحانِ فيَخرُجُ عن مقصودِه، ولذلك سبقتِ الإشارةُ في «المقدِّمةِ» إلى أنّها مِنَ المسائلِ التي ينبغِي أن تُفرَدَ بالدّراسةِ.

«باب» (١٩): لا يَدخُلُ المشركُ الإسلامَ إلّا بالتّوبةِ مِنَ الشّركِ

قال اللَّهُ تعالَى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة: ١١]

١٩١ - رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بسندِه في قولِه تعالَى مِنَ السّورةِ نفسِها: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]: «عَنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ٥] يَقُولُ: تَوْبَتُهُمْ خَلْعُ الأَوْثَانِ وَعِبَادَتِهَا[1].

[1] ورواه الطَّبَرِيُّ بالإسنادِ نفسِه، وفيه: «تَوْبَتُهُمْ خَلْعُ الْأَوْثَانِ وَعِبَادَةُ رَبِّهِمْ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ».

عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ [التوبة: ٥] مِنَ الشِّرْكِ ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ لَمْ تَقْتُلْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ».

«وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ مِنَ الشِّرْكِ.

عَنِ الأَوْزَاعِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ [التوبة: ٥] قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ».

ورَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] يَقُولُ: إِنْ تَرَكُوا اللّاتَ وَالْعُزَّى وَشَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ». [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)، ورواه الطَّبَرِيُّ أيضًا]

١٩٢ - قال الطَّبَرِيُّ مبيِّنًا على وَفْقِ ما رواه عنِ السّلفِ: «﴿فَإِن تَابُواْ﴾ [التوبة: ٥] يَقُولُ: **فَإِنْ رَجَعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ** وَجُحُودِ نُبُوَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ **إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ،** دُونَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَالْإِقْرَارِ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ».
[تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

فلا شكَّ في إجماعِ أهلِ العِلمِ على أنّ المشركَ لا يَدخلُ الإسلامَ إلّا بعدَ توبتِه مِنَ الشّركِ.

وقال تعالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٦]

١٩٣ - قال الطَّبَرِيُّ مبيِّنًا: «الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء: ١٤٦] وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ مِنَ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، اسْتَثْنَى التَّائِبِينَ مِنْ نِفَاقِهِمْ إِذَا أَصْلَحُوا **وَأَخْلَصُوا الدِّينَ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَتَبَرَّءُوا مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ،** وَصَدَّقُوا رَسُولَهُ، أَنْ يَكُونُوا مَعَ الْمُصِرِّينَ عَلَى نِفَاقِهِمْ، حَتَّى تُوَافِيَهُمْ مَنَايَاهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَدْخُلُوا

مَدَاخِلَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ، بَلْ وَعَدَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنْ يُحِلَّهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَحِلَّ الْكَرَامَةِ، وَيُسْكِنَهُمْ مَعَهُمْ مَسَاكِنَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، وَوَعَدَهُمْ مِنَ الْجَزَاءِ عَلَى تَوْبَتِهِمُ الْجَزِيلَ مِنَ الْعَطَاءِ». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

فكيف يتوبُ المشركُ مِن شركِه إذا لم يُخلِصْ دِينَه للَّهِ؟

فلو نطقَ أحدُ المشركينَ بالشّهادتَينِ وصلَّى وصامَ، ولم يَترِكِ الشّركَ، لم يَصِرْ بذلك مسلمًا، بإجماعِ المسلمينَ. مثلًا لو شَهِدَ أحدُ مشركِي العربِ بالإسلامِ، وأَصرَّ مع ذلك على عبادةِ اللَّاتِ وَالْعُزَّى، فهل يكونُ معقولًا أن يَصيرَ مِثلُه مسلمًا عند أحدٍ مِنَ المسلمينَ؟

ولذلك علَّقَ اللَّهُ تعالَى الأخوّةَ في الدِّينِ المذكورةَ في الآيةِ على تَرْكِ الشّركِ.

«فصل» (١): أوّلُ ما يُدعَى إليه المشركُ هو التّوحيدُ

١٩٤ - رَوَى الْبُخَارِيُّ عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

١٩٥ - وفي روايةٍ له: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ ...»

وفي روايةٍ أخرَى له، وبوّبَ عليها في أوّلِ «كتابِ التّوحيدِ»: «بَابُ مَا جَاءَ فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أُمَّتَهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى ...» [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)]

١٩٦ - ورَوَى الْبُخَارِيُّ: «عَنْ سَهْلٍ ﷺ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟» فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ. فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»». [صحيحُ الْبُخَارِيِّ (ت ٢٥٦هـ)، متّفقٌ عليه]

فالأمرُ بالتّوحيدِ مقدَّمٌ على الأمرِ بالصّلاةِ والزّكاةِ وغيرِهما، ومعنَى ذلك أيضًا أنّ الشّركَ أوّلُ ما يُنهَى عنه قبلَ غيرِه.

قال تعالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم﴾ [الأنعام: ١٥١]

فليس مِن شكٍّ أنّ أوّلَ ما دعَا إليه كلُّ نبيٍّ قومَه هو التّوحيدُ.

قال تعالَى: ﴿... ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ...﴾ [الأعراف: ٥٩]

وقد أَخبرَ اللَّهُ تعالَى في مواضعَ كثيرةٍ مِن كتابِه أنّ كلَّ نبيٍّ قال هذا لقومِه، وقد سبقَ ذكرُ هذه الآياتِ وبيانُ معناها[١].

---

[١] انظرِ البابَ (٣) «معنَى الإلهِ ومعنَى شهادةِ الإسلامِ»، الفصلَ (٢) «أَمْرُ الأنبياءِ أقوامَهم بتوحيدِ العبادةِ وفَهْمُ المشركينَ لهذا الخطابِ في قولِهم ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾».

«باب» (٢٠): مَن جَعلَ نوعًا مِنَ المشركينَ مسلمينَ بجهلِهم يَلزمُه ذلك في جميعِ أنواعِ المشركينَ، وقولُه تعالَى ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾

إنّ العربَ في الجاهليّةِ انتسبُوا كما تبيّنَ مِن قبلُ إلى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام[1]، بل حسِبُوا أنّ لهم مقامًا رفيعًا عند اللَّهِ تعالَى لأنّهم كانوا يراعونَ الكعبةَ بيتَ اللَّهِ تعالَى الذي رفعَ إِبْرَاهِيمُ القواعدَ مِنه مع إِسْمَاعِيلَ عليهما السلام.

١٩٧ - رَوَى مُسْلِمٌ: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ» فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ». [صحيحُ مُسْلِمٍ (ت ٢٦١هـ)]

فعبّادُ الأصنامِ هؤلاء آمنُوا بوجودِ اللَّهِ تعالَى وعبَدُوه، بل أَخلصُوا بعضَ عباداتِهم للَّهِ تعالَى، كما قال: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥]. فظنُّوا أنفسَهم على دِينِ إِبْرَاهِيمَ وانتسبُوا إلى الإسلامِ العامِّ، ولم يَجعلْهم كلُّ ذلك مسلمينَ في حقيقةِ الأمرِ.

١٩٨ - قال الطَّبَرِيُّ في الآيةِ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: فَإِذَا رَكِبَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ السَّفِينَةَ فِي الْبَحْرِ، فَخَافُوا الْغَرَقَ وَالْهَلَاكَ فِيهِ، ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] يَقُولُ: **أَخْلَصُوا لِلَّهِ - عِنْدَ الشِّدَّةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِمْ - التَّوْحِيدَ**، وَأَفْرَدُوا لَهُ الطَّاعَةَ،

---

[1] انظرِ البابَ (١٠)، الفصلَ (٤) «قصّةُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ وأنّ الحنفاءَ عَرفُوا معنَى الإسلامِ»، والبابَ (١١) «الإسلامُ العامُّ دِينُ الأنبياءِ جميعًا».

وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالْعُبُودَةِ، وَلَمْ يَسْتَغِيثُوا بِآلِهَتِهِمْ وَأَنْدَادِهِمْ، وَلَكِنْ بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُمْ، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ يَقُولُ: فَلَمَّا خَلَّصَهُمْ مِمَّا كَانُوا فِيهِ وَسَلَّمَهُمْ، فَصَارُوا إِلَى الْبَرِّ، **إِذَا هُمْ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ شَرِيكًا فِي عِبَادَتِهِمْ**، وَيَدْعُونَ الْآلِهَةَ وَالْأَوْثَانَ مَعَهُ أَرْبَابًا». **ثمّ رَوَى:** «عَنْ قَتَادَةَ قَوْلَهُ: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]: **فَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ يُقِرُّونَ لِلَّهِ أَنَّهُ رَبُّهُمْ، ثُمَّ يُشْرِكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)، وقولُ قَتَادَةَ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ أيضًا]

١٩٩ - وجاء عن مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ: «﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [العنكبوت: ٦٥] يَعْنِي السُّفُنَ، يَعْنِي كُفَّارَ مَكَّةَ، يَعِظُهُمْ لِيَعْتَبِرُوا، ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ **يَعْنِي مُوَحِّدِينَ لَهُ التَّوْحِيدَ**، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ **فَلَا يُوَحِّدُونَ كَمَا يُوَحِّدُونَهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْبَحْرِ**». [تفسيرُ مُقَاتِلٍ (ت ١٥٠هـ)]

٢٠٠ - وقال يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ في سورةِ لُقْمَانَ: «﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] يَعْنِي: التَّوْحِيدَ، وَهُوَ تَفْسِيرُ السُّدِّيِّ ... ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ غَدَّارٍ، فِي تَفْسِيرِ مُجَاهِدٍ. كَفُورٍ **أَخْلَصَ لِلَّهِ فِي الْبَحْرِ لِلْمَخَافَةِ مِنَ الْغَرَقِ، ثُمَّ غَدَرَ فَأَشْرَكَ**، كَقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]». [تفسيرُ يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ (ت ٢٠٠هـ)]

فمَن جَعلَ مشركًا ما مسلمًا لمجرّدِ انتسابِه إلى دِينِ **مُحَمَّدٍ** ﷺ، يَلزمُه لا محالةَ أن يَجعلَ أولئك المشركينَ في الجاهليّةِ أيضًا مسلمينَ. بل مشركُو العربِ أولَى أن يُجعَلُوا مسلمينَ على هذا القولِ الفاسدِ، لأنّهم عاشُوا في جاهليّةٍ جَهلاءَ، إذ لم يكنْ عندهم كتابٌ محفوظٌ مِن عند اللَّهِ كالقرآنِ الذي بينَ أيدينا إلّا بقايَا مِن دِينِ إبْرَاهِيمَ دونَ آيةٍ واحدةٍ مكتوبةٍ مِنه وبقايَا اليهوديّةِ والنّصرانيّةِ على تحريفٍ شديدٍ في كلِّ هذه الأديانِ.

«فصل» (١): مَن فعلَ ذلك في نوعٍ مِنَ الشّركِ فإنّه يَلزمُه ضرورةً في جميع الأنواع

ويَلزمُ مَن يقولُ بهذا القولِ الفاسدِ أيضًا أنّ المرءَ يُحتَمَلُ كونُه مسلمًا مع جميع أنواعِ الشّركِ الأكبرِ. فلو أَشركَ باللَّهِ تعالَى خالقًا آخرَ أو ابنًا أو أمًّا، أو نسَبَ إلى بعضِ الخَلقِ عِلمَ اللَّهِ تعالَى مطلَقًا، لَأَمكنَ على أصلِهم أن يكونَ مسلمًا بشرطِ أنّه لم يَعلمْ أنّ هذه الاعتقاداتِ تُناقِضُ الإسلامَ وأنّه كان ممّن ينتسبُ إلى الإسلامِ.

وكذلك لو عَبَدَ عِيسَى عليه السلام أو الملائكةَ، لَلَزِمَ على أصلِهم أن يكونَ مسلمًا.

«فصل» (٢): كثيرٌ مِنَ المشركينَ السّابقينَ أولَى بالإسلامِ على هذا الأصلِ الباطلِ

وسببُ ذلك أنّه إذا أَمكنَ أن يكونَ مسلمًا مَن عبدَ بعضَ الأمواتِ، فمَن عبدَ أحدَ الأنبياءِ، بل أحدَ أُولِي العزمِ مِنَ الرّسلِ، أولَى بذلك، إذ لا شكَّ أنّ الأنبياءَ أفضلُ مِن سائرِ الأمواتِ. فالنّصارَى العابدونَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام على قولِهم أولَى بالإسلامِ مِن هذا الوجهِ، لأنّهم انتسبُوا إلى دِينِه وفعلُوا ذلك جهلًا مِنهم.

وإذا أَنكرَ المخالِفُ ذلك واعترضَ أنّه لا يُقِرُّ أنّ مَن جعلَ عِيسَى ابْنَ اللَّهِ يُمكِنُ أن يكونَ مسلمًا، يُقالُ له: لماذا لا يُمكِنُ ذلك؟ لأنّه شركٌ أكبرُ؟ فكيف يُفرِّقُ بينَ نوعَينِ مِنَ الشّركِ الأكبرِ؟ فثَبَتَ أنّه لا يُمكِنُ التّفريقُ بينَهما إذ لا دليلَ على هذا التّفريقِ بحالٍ، بل كِلاهما مشركٌ، بل الذي يَعبدُ أمواتًا غيرَ الأنبياءِ أولَى بكونِه مشركًا مِنَ الذي يَعبدُ نبيًّا بالاعتبارِ المذكورِ كما سبقَ، وخصوصًا إذا كان ذلك المشركُ المنتسِبُ إلى الإسلامِ أَشركَ باللَّهِ في شؤونِ الرّبوبيّةِ وادّعَى لمعبودِه التّصرُّفَ في أمورِ الكونِ وما

يُشبِهُ ذلك، كما يقعُ اليومَ مِن كثيرٍ مِن أهلِ الشّركِ، فمِثلُ هذا أولَى أن يكونَ مشركًا في كلِّ ما ذُكِرَ!

لكنّ الأعجبَ أنّ بعضَ القائلينَ بهذا القولِ الفاسدِ يلتزمونَ هذه اللّوازمَ الباطلةَ ويُقِرّونَ بإسلامِ مَن جعلَ عِيسَى ابْنَ اللَّهِ وعبَدَه. فكيف يكونُ مَن يقولُ هذا قد فهِمَ معنَى التّوحيدِ؟

«فصل» (٣): مخالَفةٌ للقرآنِ والسّنّةِ والإجماعِ مِن وجوهٍ كثيرةٍ

جَعْلُ هؤلاء المشركينَ مسلمينَ مخالِفٌ للدِّينِ مِن وجوهٍ، ومَن قرأَ القرآنَ يَجزِمُ أنّ جميعَ الأنبياءِ اعتبرُوا أقوامَهم مشركينَ عندما بُعِثُوا إليهم، وخاطبُوهم بذلك، ودعَوهم إلى تَرْكِ الشّركِ، وإلى عبادةِ اللَّهِ وحدَه.

ولذلك اتّفقَ أهلُ التّفسيرِ واللّغةِ والتّاريخِ على تسميةِ هؤلاء العربِ قبلَ البعثةِ بمشركِي العربِ. وكذلك اليهودُ والنّصارَى وغيرُهم، فالقرآنُ يَجعلُهم غيرَ مسلمينَ بوضوحٍ وأَجمعَ أهلُ العِلمِ على ذلك، بل يَحكُونَ الإجماعَ على أنّ مَن لم يُكفِّرِ اليهودَ والنّصارَى فإنّه كافرٌ.

«فصل» (٤): عامّةُ المشركينَ إنّما يقعونَ في الشّركِ بسببِ جهلِهم

لو قيلَ بأنّ المشركينَ في الجاهليّةِ إنّما كانوا مشركينَ لمعانَدتِهم مع عِلمِهم بالحقِّ لكان ذلك قولًا عجيبًا ومِن أبيَنِ الدّلائلِ على جهلِ هذا القائلِ وفسادِه. بل هؤلاء الجاهليّونَ إنّما فعلُوا الشّركَ لشدّةِ جهلِهم كما سبقَ بيانُ ذلك في مواضعَ[1]. فكيف

---

[1] انظرِ البابَ (٥)، الفصلَ (٢) «استعمالُ «سَلِمَ» في القرآنِ في قولِه تعالَى ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ ومَثَلُ المسلمِ والمشركِ»، والبابَ (١٧)، الفصلَ (٦) «أمثلةُ المشركِ الجاهلِ وعدمُ عُذرِه في القرآنِ».

يأتِي الآنَ أناسٌ ويَحكمونَ للمشركينَ اليومَ بالإسلامِ، مع أنّ مشركِي الجاهليّةِ عندهم مِن أعظمِ الكفّارِ؟ هذا أمرٌ عجيبٌ.

فكأنّ المشركَ عندهم كلّما ازدادَ عِلمًا بالحقِّ وكلّما تيسّرتْ له سبلُه كان أحقَّ بالعذرِ. فمَن عرفَ العربيّةَ وحفِظَ القرآنَ ثمّ عبدَ الأولياءَ مِن دونِ اللَّهِ عندهم معذورٌ بجهلِه، وأمّا المشركونَ في الجاهليّةِ فلا يتردّدونَ في جَعْلِهم مشركينَ اسمًا وحُكمًا. فأيُّ مقياسٍ هذا؟! وهذا تناقضٌ حتّى على أصلِهم الفاسدِ.

والحقيقةُ أنّ أصلَهم يقتضِي كذلك كونَ اليهودِ والنّصارَى اليومَ أولَى بوصفِ الإسلامِ العامِّ بكثيرٍ، لأنّهم أجهلُ بحقيقةِ دِينِ الإسلامِ ونصوصِه، وسبيلُهم إلى العِلمِ أصعبُ مِن سبيلِ المشركينَ الذين يتكلّمونَ العربيّةَ ويَعبدونَ القبورَ والدّستورَ بتفضيلِه على حُكمِ اللَّهِ، والمشايخَ والأولياءَ، إلى غيرِ ذلك مِن نواقضِ الإسلامِ المنتشرةِ بينَ النّاسِ اليومَ.

كلُّ هذه تناقضاتٌ شديدةٌ متسلسِلةٌ، والأمرُ على ما سبقَ مِن أنّ أكثرَ النّاسِ إنّما يَفعلونَ الشّركَ جهلًا لا عن عِلمٍ ومعانَدةٍ.

«باب» (٢١): الشّركُ يُحبِطُ جميعَ الأعمالِ

إنّ الشّركَ الأكبرَ في عبادةِ اللَّهِ تعالَى يُحبِطُ جميعَ الأعمالِ باتّفاقِ المسلمينَ. وأمّا سائرُ الذّنوبِ غيرِ الشّركِ فإنّها قد تُحبِطُ بعضَ الأعمالِ، لكنّها لا تُحبِطُ عملَ الإنسانِ كلَّه. ومَن يقولُ بإمكانِ إسلامِ بعضِ المشركينَ يخالفُ هذه الحقيقةَ، إذ يُمكِنُ على قولِه أن يُوجَدَ مِن بعضِ النّاسِ الشّركُ الأكبرُ في العبادةِ، ولا يَحبَطَ مع ذلك إسلامُهم. ويأتِي توضيحُ ذلك مِن كتابِ اللَّهِ تعالَى وتفسيرِ السّلفِ له، كما يلِي.

«فصل» (١): قولُ اللَّهِ تعالَى عن نبيِّنا ﷺ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]

٢٠١ - يقولُ الطَّبَرِيُّ في معنَى الآيةِ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَقَدْ أَوْحَى **إِلَيْكَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ، وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الرُّسُلِ** ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] يَقُولُ: لَئِنْ أَشْرَكْتَ بِاللَّهِ شَيْئًا يَا **مُحَمَّدُ، لَيَبْطُلَنَّ عَمَلُكَ، وَلَا تَنَالُ بِهِ ثَوَابًا، وَلَا تُدْرِكُ بِهِ جَزَاءً إِلَّا جَزَاءَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ**، وَهَذَا مِنَ الْمُؤَخَّرِ الَّذِي مَعْنَاهُ التَّقْدِيمُ، وَمَعْنَى الْكَلَامِ: وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ، وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ، وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ، بِمَعْنَى: وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الرُّسُلِ مِنْ ذَلِكَ، مِثْلُ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْهُ، **فَاحْذَرْ أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا فَتَهْلِكَ** وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ **وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْهَالِكِينَ بِالْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ إِنْ أَشْرَكْتَ بِهِ شَيْئًا**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

فالمخاطَبُ في هذه الآيةِ هو النّبيُّ ﷺ مع أنّه كان معصومًا مِنَ الشّركِ، وذلك ممّا يُسمَّى بفرضِ المُحالِ، والمرادُ مِنه الإتيانُ بمثالٍ في غايةِ الوضوحِ يُمكِنُ أن تُقاسَ عليه كلُّ الصّورِ الأخرَى التي دونه. ومعناه أنّ المذكورَ في الآيةِ ليس موجَّهًا إلى النّبيِّ ﷺ بالقصدِ الأوّلِ، بل هو تحذيرٌ وبيانٌ لعامّةِ النّاسِ الذين ليسوا معصومينَ مِنَ الشّركِ. ومعنَى ما يُخبِرُنا اللَّهُ تعالَى به: «إن كان النّبيُّ نفسُه يَفقِدُ جميعَ أعمالِه بفعلٍ واحدٍ مِنَ الشّركِ الأكبرِ ويكونُ مِنَ الخاسرينَ، فغيرُ النّبيِّ أَولَى بحبوطِ جميعِ أعمالِه».

وبهذا المعنَى فُسِّرَ قولُه تعالَى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء: ٢١٣]

٢٠٢ - ذكرَ الْبَغَوِيُّ: «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: يُحَذِّرُ بِهِ غَيْرَهُ، يَقُولُ: أَنْتَ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَيَّ **وَلَوِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَعَذَّبْتُكَ**» [تفسيرُ الْبَغَوِيِّ (ت ٥١٦هـ)][1]

٢٠٣ - وقال يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ في الآيةِ: «﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الشعراء: ٢١٣] **يَعْنِي: وَلَا تَعْبُدْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**، تَفْسِيرُ السُّدِّيِّ. قَالَ: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ وَقَدْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ». [تفسيرُ يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ (ت ٢٠٠هـ)]

ولا بُدَّ أن يُنتبَهَ هنا إلى أنّ الأنبياءَ عليهم السلام أشدُّ النّاسِ بلاءً[2]، فأعمالُهم خيرُ الأعمالِ على الإطلاقِ. ثمّ إنّ مُحَمَّدًا ﷺ سيّدُ الأنبياءِ وخاتمُ المرسَلينَ. مَن لم ينتبهْ إلى هذه الأمورِ لا يَفقَهُ حقيقةَ هذه الآيةِ وقوّةَ الحجّةِ التي فيها فِقهًا تامًّا.

فمُحَمَّدٌ ﷺ، مع ما في حياتِه كلِّها مِنَ الأعمالِ العظيمةِ مِن تحمُّلِ الرّسالةِ الثّقيلةِ ومشاقِّ الدّعوةِ إليها مِن عداوةِ قومِه وإخراجِه مِن بلدِه وقتالِ المشركينَ في سبيلِ اللَّهِ وثباتِه في كلِّ ذلك، لو أَشركَ في فِعلٍ واحدٍ مع اللَّهِ إلهًا آخرَ لفقدَ جميعَ هذه الأعمالِ وخسِرَ الدّنيَا والآخرةَ. واللَّهُ تعالَى يؤكّدُ هذين الأمرَينِ مِن حبوطِ العملِ وكونِه في هذه الحالةِ مِنَ الخاسرينَ بنونِ التّوكيدِ الثّقيلةِ.

فإذا كانت هذه حالةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لو فُرِضَ أن تقعَ مِنه فَعْلةُ شِركٍ، فهل يَبقَى للمشركينَ قديمًا وحديثًا شيءٌ مِن أعمالِهم؟ بل أهلُ الشّركِ في كلِّ زمانٍ أولَى ثمّ أولَى بحبوطِ جميعِ

---

[1] ذكرَه الْبَغَوِيُّ بلا إسنادٍ، وذكرَه قبلَه الْوَاحِدِيُّ في «التّفسيرِ الوسيطِ» و«التّفسيرِ البسيطِ» بلا إسنادٍ أيضًا.

[2] قال سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ ...»»، رواه التِّرْمِذِيُّ وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، ورواه أَحْمَدُ بنحوِه.

أعمالِهم، وإذا كان الأمرُ كذلك فبأيِّ عملٍ يَدخلونَ جنّةَ المؤمنينَ كما يدّعِي ذلك مَن يَجعلُهم مؤمنينَ ومسلمينَ بحجّةِ الجهلِ والانتسابِ؟

«فصل» (٢): قولُ اللَّهِ تعالَى عن الأنبياءِ عليهم السلام ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾

ومِثلُ الآيةِ التي سبقَ ذكرُها هذه الآياتُ مِن سورةِ الأنعامِ: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٦ وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٨٧ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ **وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ٨٨ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ **فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمَا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ** ٨٩ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ** قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٨٣-٩٠]

٢٠٤ - رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: «... سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠] وَقَرَأَ: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨] يُرِيدُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالَ هَدَيْنَاهُمْ وَفَضَّلْنَاهُمْ». [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)]

٢٠٥ - وقال الطَّبَرِيُّ في هذه الآياتِ: «﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨] يَقُولُ: **وَلَوْ أَشْرَكَ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ سَمَّيْنَاهُمْ بِرَبِّهِمْ تَعَالَى ذِكْرُهُ، فَعَبَدُوا**

مَعَهُ غَيْرَهُ، ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم﴾ يَقُولُ: **لَبَطَلَ فَذَهَبَ عَنْهُمْ أَجْرُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مَعَ الشِّرْكِ بِهِ عَمَلًا»**. [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

فهؤلاء هم المهتدُونَ وعلينا أن نقتدِيَ بهداهم، لكنّ اللَّهَ تعالَى يُخبِرُ أنّ هدايتَهم في تَرْكِ الشّركِ، ولو فعلُوا الشّركَ لحبِطتْ أعمالُهم كغيرِهم مِنَ البشرِ، ولَمَا كانوا حينئذٍ مهتدِينَ، بل ضالِّينَ.

«فصل» (٣): مخالَفةُ آياتٍ كثيرةٍ مِنَ القرآنِ وأنّ لفظَ المشركينَ فيه يَشملُ الجاهلَ مِنهم بلا شكٍّ

تسميةُ المشركِ مسلمًا ومعاملتُه معاملةَ المسلمينَ تؤدِّي قطعًا إلى مخالَفةِ عِدّةِ آياتٍ مِنَ القرآنِ، كما ظهرَ في المثالِ السّابقِ، وفي القرآنِ أمثلةٌ كثيرةٌ قد سبقَ ذكرُ العديدِ مِنها، وأَذكرُ آياتٍ أخرَى مِن هذا القبيلِ مِن بابِ الإشارةِ:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾ [النحل: ٣٦]

٢٠٦ - وقال الطَّبَرِيُّ في الآيةِ: «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَلَقَدْ بَعَثْنَا أَيُّهَا النَّاسُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ سَلَفَتْ قَبْلَكُمْ رَسُولًا كَمَا بَعَثْنَا فِيكُمْ بِأَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ **وَأَفْرِدُوا لَهُ الطَّاعَةَ وَأَخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ»**. [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

٢٠٧ - ورَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ في قولِه تعالَى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]: «عَنِ ابْنِ وَهْبٍ قَالَ: وَقَالَ لِي مَالِكٌ: **الطَّاغُوتُ: مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ»**. [تفسيرُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (ت ٣٢٧هـ)]

٢٠٨ - **وجاء عن يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ:** «﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ، **هُوَ دَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ**... وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ **يَعْنِي: وَاجْتَنِبُوا الْأَوْثَانَ**». [تفسيرُ يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ (ت ٢٠٠هـ)]

٢٠٩ - **وجاء عن مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ:** «﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [النحل: ٣٦] يَعْنِي: **أَنْ وَحِّدُوا اللَّهَ** ﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ يَعْنِي: **عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ** ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ إِلَى دِينِهِ ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ﴾ يَعْنِي: وَجَبَتْ ﴿ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾» [تفسيرُ مُقَاتِلٍ (ت ١٥٠هـ)]

فيُقالُ هنا أيضًا: إذا جُعِلَ المشركُ مسلمًا ينقلبُ معنَى الآيةِ بجَعْلِه مِنَ المهتدِينَ المتّبِعينَ للأنبياءِ، لا مِنَ الضّالّينَ، مع أنّه يخالفُ هدايةَ الأنبياءِ عليهم السلام لأنّه عَبَدَ الطّاغوتَ بدلًا مِن أن يَكفُرَ به.

وممّا تَظهرُ فيه هذه المخالَفةُ البيِّنةُ للقرآنِ أيضًا أنّ لفظَ المشركينَ في القرآنِ يَدخلُ فيه المشركُ الجاهلُ لا محالةَ، ومَن جعلَه مسلمًا محتجًّا بجهلِه يخالفُ كلَّ هذه الآياتِ، ومِنها: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة: ١١٣]

ففي القرآنِ أنّ المسلمَ لا يجوزُ له أن يستغفرَ للمشركِ بعدَ موتِه.

٢١٠ - **قال الطَّبَرِيُّ مبيِّنًا:** «يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: مَا كَانَ يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ **مُحَمَّدٍ** ﷺ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ ﴿أَن يَسْتَغْفِرُواْ﴾، يَقُولُ: أَنْ يَدْعُوا بِالْمَغْفِرَةِ لِلْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ ذَوِي قَرَابَةٍ لَهُمْ. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ١١٣﴾ [التوبة: ١١٣] يَقُولُ: **مِنْ بَعْدِ مَا مَاتُوا عَلَى شِرْكِهِمْ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، لِأَنَّ** اللَّهَ قَدْ قَضَى **أَنْ لَا يَغْفِرَ لِمُشْرِكٍ** فَلَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا رَبَّهُمْ

أَنْ يَفْعَلَ **مَا قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَفْعَلُهُ** فَإِنْ قَالُوا: فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدِ اسْتَغْفَرَ لِأَبِيهِ، وَهُوَ مُشْرِكٌ؟، فَلَمْ يَكُنِ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا لِمَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ﴾ [التوبة: ١١٤] وَعَلِمَ أَنَّهُ للَّهِ عَدُوٌّ خَلَّاهُ وَتَرَكَهُ، وَتَرَكَ الِاسْتِغْفَارَ لَهُ، وَآثَرَ اللَّهَ وَأَمْرَهُ عَلَيْهِ، **فَتَبَرَّأَ مِنْهُ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ أَمْرُهُ**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

وقد سبقَ في قصّةِ وفاةِ أَبِي طَالِبٍ أنّ النّبيَّ ﷺ قال له: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ»، فنزلتْ هذه الآيةُ[1].

٢١١ - ورَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ في قولِه تعالَى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ﴾ [التوبة: ١١٤]**:** «قَالَ مَعْمَرٌ: وَقَالَ قَتَادَةُ: تَبَيَّنَ لَهُ حِينَ مَاتَ وَعَلِمَ أَنَّ التَّوْبَةَ قَدِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ». [تفسيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (ت ٢١١هـ)، ورواه الطَّبَرِيُّ، وبنحوِه عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ]

٢١٢ - ورَوَى الطَّبَرِيُّ ما يوافقُه: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] وَكَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فَلَمَّا نَزَلَتْ أَمْسَكُوا عَنِ الِاسْتِغْفَارِ لِأَمْوَاتِهِمْ، وَلَمْ يَنْهَهُمْ **أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْأَحْيَاءِ حَتَّى يَمُوتُوا** ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ﴾ [التوبة: ١١٤] يَعْنِي: **اسْتَغْفَرَ لَهُ مَا كَانَ حَيًّا فَلَمَّا مَاتَ أَمْسَكَ عَنِ الِاسْتِغْفَارِ**». [تفسيرُ الطَّبَرِيِّ (ت ٣١٠هـ)]

وفي الآيةِ حُكمٌ عامٌّ، وذُكِرَ فيها لبيانِ هذا الحُكمِ لفظُ المشركينَ، وهذا يَشملُ جميعَ المشركينَ، الجاهلينَ والمعانِدينَ.

---

[1] انظرِ النّصَّ (٨٧) في البابِ (١٠)، الفصلِ (٣) «قصّةُ وفاةِ أَبِي طَالِبٍ».

ولذلك لم يَذكرْ أحدٌ مِن أهلِ العِلمِ تفريقًا بينَ مشركٍ ومشركٍ في هذا الأمرِ، ولا أنّه يجوزُ الاستغفارُ لبعضِ المشركينَ دونَ بعضٍ.

والمقصودُ في الآيةِ بيانُ أنّ الاستغفارَ يَحرُمُ بعدَ الموتِ على الكفرِ، لذا فسّرَ أهلُ العِلمِ التّبيُّنَ المذكورَ في الآيةِ بالموتِ لأنّ التّكليفَ ينقطعُ به.

وقال تعالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١٣٧﴾ [الأنعام: ١٣٧]

لا شكَّ أنّ لفظَ المشركينَ في هذه الآيةِ يَشملُ جميعَ المشركينَ، كما في الآيةِ السّابقةِ. فاللَّهُ تعالَى ذكرَ عِلّةَ كونِ هؤلاء مشركينَ وهي اتّخاذُهم شركاءَ مِن دونه.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ٦﴾ [التوبة: ٦]

وهنا يسمِّيهم اللَّهُ تعالَى أيضًا مشركينَ. مهما علِمُوا مِن حقيقةِ الإسلامِ أو جهِلُوا، فذلك لا يغيِّرُ مِن اتّصافِهم بالشّركِ شيئًا - وإن شَغَبَ بعضُ النّاسِ في مِثلِ هذه الآيةِ بما يخالفُ ظاهرَها ويناقضُ الكتابَ والسّنّةَ وما عليه سلفُ هذه الأمّةِ في فهمِهم للقرآنِ مِن وجوهٍ.

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ١٧٣﴾ [الأعراف: ١٧٣]

هذه الآيةُ واضحةٌ جدًّا كذلك، وفيها ذِكرُ الفعلِ ﴿أَشْرَكَ﴾ [الأعراف: ١٧٣] لا اسمِ الفاعلِ، فلا شكَّ أنّ المرادَ هو مَن يَفعلُ الشّركَ. فكيف يُدَّعَى أنّ مَن ذُكِرَ في الآيةِ يُمكِنُ أن يكونَ مسلمًا؟ اللّهمّ إلّا على قولِ مَن يَجعلُ بعضَهم مسلمينَ بحجّةِ الجهلِ والانتسابِ، مع أنّهم يَدخلونَ في قولِ اللَّهِ تعالَى المذكورِ لأنّهم فاعلونَ للشّركِ على كلِّ حالٍ.

فالآيةُ كغيرِها تَشملُ المشركينَ بعِلّةِ فِعلِهم الذي هو الشّركُ. فيُسألُ المخالِفُ: **«إذا كان هذا الشّخصُ جاهلًا فهل فعَلَ الشّركَ أم لا؟»**، فإن فعَلَه فإنّه داخلٌ في الآيةِ. وعلى المنصِفِ المريدِ للحقِّ أن يَسألَ نفسَه: هل قال أحدٌ مِن علماءِ السّلفِ شيئًا يخالفُ هذا عند كلامِهم على هذه الآياتِ؟

ومِثلُه يُقالُ في الآيتَينِ الآتيتَينِ: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ١٠٩﴾ [هود: ١٠٩]

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠]

وفي القرآنِ آياتٌ كثيرةٌ مِن هذا البابِ، جاء ذكرُ الشّركِ ووصفُ المشركينَ فيها وصفًا عامًّا ولم يُستَثنَ مِن هذا الوصفِ العامِّ شيءٌ، ولكن أكتفِي بما ذُكِرَ هاهنا ومِن قبلُ في هذا الكتابِ.

الخاتِمة

فهذا ما أَردتُ ذِكرَه، بفضلِ اللَّهِ تعالَى، في بيانِ معنَى الإسلامِ مِنَ الكتابِ والسّنّةِ وأقوالِ السّلفِ الصّالحِ. وبما سبقَ مِنَ الأدلّةِ تجلَّى أنّ الإسلامَ ينبنِي على توحيدِ العبادةِ وأنّ مَن لم يحقِّقْ هذا التّوحيدَ فلا يُمكِنُ أن يكونَ مسلمًا بحالٍ مِنَ الأحوالِ.

وقد ذكرتُ في «المقدِّمةِ» أنّه تتفرّعُ عن هذا الأصلِ مسائلُ، ينبغِي أن يُفرَدَ كلٌّ مِنها بالبحثِ على النّحوِ الذي بُحِثَ عليه الأصلُ هاهنا، وأَذكرُ هذه المسائلَ هنا بشيءٍ مِنَ التّفصيلِ:

المسألةُ الأولَى: السّؤالُ عن حقيقةِ الشّركِ ما هو، ولا بُدَّ أن يُهتَمَّ به، وقد عارضَ بها دعاةَ التّوحيدِ خصومُهم، فقالوا لهم مثلًا: «نحن نُقِرُّ أنّ المشركَ ليس مسلمًا، إلّا أنّ هذا الشّركَ الذي يُخرِجُ عن الإسلامِ إنّما يكونُ في الرّبوبيّةِ، ومجرّدُ الطّلبِ مِنَ الموتَى ليس شركًا حتّى يَصحبَه الاعتقادُ أنّ المدعوَّ يُعطِي مستقلًّا عن اللَّهِ تعالَى». فلا يَخفَى عِظَمُ هذه المسألةِ وأهمّيّتُها، ومع ذلك يُقالُ كما سبقَ: كثيرٌ مِنَ النّاسِ لم يصِلُوا إلى الإقرارِ بأنّ الشّركَ الأكبرَ يَهدِمُ الإسلامَ مِن أصلِه، بل يَخلِطونَ بينَهما ولا يجدونَ إشكالًا في تصوُّرِ «مسلمٍ مشركٍ» ويجادلونَ عن ذلك. وقد أَشرتُ إلى هذا فيما سبقَ وذكرتُ بعضَ الأمورِ المهمّةِ فيه، لكنّ الأمرَ بحاجةٍ إلى أن يُفرَدَ بدراسةٍ مفصَّلةٍ.

المسألةُ الثّانيةُ: أحاديثُ أهلِ الفترةِ وامتحانِهم[1]**، وهل يتوقّفُ العذابُ في الآخرةِ على قيامِ حجّةِ الرّسلِ خاصّةً؟** وبعبارةٍ أخرَى: مَن لم تَبلغْ إليه دعوةُ رسولٍ - أو لم يتمكّنْ مِن فهمِ الخطابِ البتّةَ - وماتَ على الشّركِ عاقلًا بالغًا، هل يُمكِنُ أن ينجُوَ مِثلُه في ذلك الامتحانِ؟

فينبغي أن تُدرَسَ لاحقًا، إلّا أنّي أَشرتُ إليها في هذا الكتابِ لتعلّقِها بأمرٍ مهمٍّ في مسألةِ الإسلامِ والشّركِ، وهو أنّ بعضَ النّاسِ يحتجُّ بها على أنّ المشركَ يُمكِنُ أن يُعتَبَرَ مسلمًا في الدّنيَا، فيُقالُ: على فهمِ هؤلاء تكونُ هذه الأحاديثُ مِن أدلِّ الدّلائلِ أنّ مَن ماتَ على الشّركِ لم يكنْ مسلمًا قطُّ في الدّنيَا، لأنّ هذا الامتحانَ ليس للمسلمينَ أصلًا إذ لا يُمتَحَنُ مسلمٌ بالاتّفاقِ!

المسألةُ الثّالثةُ: متى تقومُ الحجّةُ؟ فيُقالُ: غايةُ هذه المسألةِ أن يُسألَ: أَيكونُ هذا المشركُ ممّن يُمتَحَنُ أم لا، وليس السّؤالُ هل كان مسلمًا! فهذا شيءٌ وذاك شيءٌ آخرُ.

المسألةُ الرّابعةُ: التّوسّعُ فيمَن لم تقُمْ عليه الحجّةُ. وهذه فرعٌ عن المسألةِ السّابقةِ، ومِنَ النّاسِ مَن يُوسِّعُ دائرةَ مَن لم تقُمْ عليه الحجّةُ حتّى تَشملَ مَن يَعرفُ العربيّةَ ويَحفظُ القرآنَ ويَعيشُ في مدنِ العالمِ الإسلاميِّ، فيقولُ لا تقومُ عليه الحجّةُ حتّى يحصلَ له الفهمُ حقيقةً بعدَ محاوراتٍ طويلةٍ لعددٍ مِن أهلِ العلمِ في علومٍ مختلِفةٍ. وهذا ادّعاءٌ غيرُ معروفٍ عند أئمّةِ

[1] وانظرِ البابَ (١٨) «أَحادِيثُ امتِحانِ بَعضِ النّاسِ يَومَ القِيامَةِ».

الإسلامِ[1]، لكنّها مسألةٌ أخرَى تُدرَسُ وحدَها، ولا تُغيِّرُ شيئًا مِن أنّ مرتكِبَ الشّركِ الأكبرِ لا يُمكِنُ أن يكونَ مسلمًا في وقتٍ واحدٍ.

المسألةُ الخامسةُ: حُكْمُ مَن حَكَمَ بإسلامِ بعضِ المشركينَ مع العلمِ التّامِّ بحالِهِم وأنّهم يرتكبونَ الشّركَ الأكبرَ، فهذا فرعٌ عن الأصلِ أيضًا، وينبغي أن يُتأنَّى في دراسةِ حالاتِه وجوانبِه دونَ تهوُّرٍ. وقد أَشرتُ إليها في الأبوابِ السّابقةِ[2] لتعلُّقِها بالأصلِ، إلّا أنّها تحتاجُ إلى دراسةٍ مستقلّةٍ.

وأمّا ما يُورَدُ على هذا الأصلِ مِنَ الشّبهاتِ، كحديثِ ذاتِ أنواطٍ وحديثِ سجودِ مُعَاذٍ، وجَعْلِ أقوالِ بعضِ العلماءِ حُجّةً بنفسِها، فعامّتُها مِنِ اتّباعِ المتشابِهِ، والجوابُ عنها يكونُ على حِدَةٍ، بأن يُرَدَّ كلُّ ما اشتبهَ إلى ما ثبتَ هنا مِنَ الأدلّةِ المحكَمةِ.

---

[1] انظرِ البابَ (١٠) «معرفةُ مشركِي العربِ والعجمِ معنَى الشّهادةِ وفهمُهم لِما خاطبَهم به الأنبياءُ عليهم السلام».

[2] وانظرِ البابَ (٢٠) «مَن جَعلَ نوعًا مِنَ المشركينَ مسلمينَ بجهلِهم يَلزمُه ذلك في جميعِ أنواعِ المشركينَ، وقولُه تعالَى ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾»، والبابَ (١٠) «معرفةُ مشركِي العربِ والعجمِ معنَى الشّهادةِ وفهمُهم لِما خاطبَهم به الأنبياءُ عليهم السلام» بأكملِه، وخاصّةً الفصلَ (٥) «جميعُ الأنبياءِ وأَتباعِهم عَرفُوا المسلمَ مِنَ المشركِ وبَرِئُوا مِنَ المشركينَ، وقولُه تعالَى ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾» وما بعدَه.

تمَّ بفضلِ اللَّهِ ومنِّه وكرمِه
وأقولُ في كلِّ ما سبقَ: اللَّهُ أعلمُ وأحكمُ.

أَسألُ اللَّهَ أن يَجعلَ هذا الكتابَ نافعًا للمسلمينَ، وأن يَجعلَ نيّاتِنا خالصةً لوجهِه الكريمِ. اللَّهمّ اغفرْ لي وللمؤمنينَ والمؤمناتِ، الأحياءِ مِنهم والأمواتِ، وارحمِ اللَّهمّ علماءَ المسلمينَ، أئمّةَ السّنّةِ، الذين نقلُوا إلينا بعونِك وحفظِك هذا الدِّينَ، آمينَ.

وصلَّى اللَّهُ على نبيِّنا مُحَمَّدٍ وآلِه وصحبِه ومَن والاه،
والحمدُ للَّهِ ربِّ العالَمينَ.

فهرسُ الآياتِ وتفسيرِ السّلفِ

رُتِّبَتِ الآياتُ على ترتيبِ المصحفِ، وبعدَ كلِّ آيةٍ رقمُها ثمّ الصّفحاتُ التي وردَتْ فيها بعدَ «ص»، و(ح) بعدَ الصّفحةِ للحاشيةِ. وتحتَ الآيةِ مَن نُقِلَ تفسيرُه لها مِنَ السّلفِ على تواريخِ وفياتِهم، وبعدَ اسمِه «عند» مَن رواه عنه أو نقلَه، ثمّ رقمُ النّصِّ باللّونِ الذّهبيِّ، فإن لم يُذكَرْ «عند» فالقولُ في كتابِ القائلِ نفسِه، كالطَّبَرِيِّ في تفسيرِه.

سورةُ الفاتحة

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (٢) - ص ٤٠

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ (٣) - ص ٤٠

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ (٤) - ص ٤٠

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ (٥) - ص ٢٥، ٤٠، ٤٣، ١٣٦

ابْنُ عَبَّاسٍ عند الطَّبَرِيِّ ١٢؛ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ ١٥٥؛ الطَّبَرِيُّ ١٢

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ (٦-٧) - ص ٤٠

سورةُ البقرة

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) - ص ٢٤، ٢٥، ٣٣، ٤٢، ١٣٦

ابْنُ عَبَّاسٍ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ١٠، وعند الطَّبَرِيِّ ١١؛ الطَّبَرِيُّ ١١، ١٩

﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ (٢٢) - ص ٣٢، ٣٣

ابْنُ عَبَّاسٍ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ١٧؛ قَتَادَةُ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ١٨؛ الطَّبَرِيُّ ١٩

﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ﴾ (١١١) - ص ٦١، ٦٢

أَبُو الْعَالِيَةِ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٦٣، ٦٤، ٦٥؛ قَتَادَةُ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٦٥

﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾ (١١٢) - ص ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥

أَبُو الْعَالِيَةِ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٦٨؛ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٦٧، ٦٨؛ السُّدِّيُّ عند الطَّبَرِيِّ ٦٦؛ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ عند الطَّبَرِيِّ ٧٠؛ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ ٧٢؛ الطَّبَرِيُّ ٧٠

﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ﴾ (١٢٧-١٣٩) - ص ١١٢

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ﴾ (١٣٠) - ص ١١٣
قَتَادَةُ عند الطَّبَرِيِّ ١٢٨؛ الطَّبَرِيُّ ١٢٨
﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١٣١) - ص ٩٠
﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ (١٣٣) - ص ١٠٩
﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ﴾ (١٣٥) - ص ٩٢
﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ﴾ (١٣٦) - ص ١١٠
﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾ (١٣٨) - ص ١١٣ح
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (١٤٣) - ص ٤٠، ٤١
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ﴾ (٢٥٦) - ص ٦٧، ٦٨، ٦٩، ١٧٣
أَبُو الدَّرْدَاءِ عند الطَّبَرِيِّ ٧٨؛ ابْنُ عَبَّاسٍ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٧٥؛ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عند الطَّبَرِيِّ ٧٦؛
الضَّحَّاكُ عند الطَّبَرِيِّ ٧٦؛ السُّدِّيُّ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٧٥؛ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ ٧٧؛
مَالِكٌ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٢٠٧؛ الطَّبَرِيُّ ٧٤

سورةُ آل عمران

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ﴾ (١٩) - ص ١١١
أَبُو الْعَالِيَةِ عند الطَّبَرِيِّ ١٢٧؛ قَتَادَةُ عند الطَّبَرِيِّ ١٢٧
﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ﴾ (٢٠) - ص ٦٥
الطَّبَرِيُّ ٧١
﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ (٥٢) - ص ١٠٩
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ (٦٤) - ص ١١١
﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن﴾ (٦٧) - ص ٩٢، ١٠٩، ١٢٧
الطَّبَرِيُّ ١٤٧
﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن﴾ (٦٧-٦٨) - ص ١١٣
﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ (٨٣) - ص ١١٢

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ﴾ (٨٤) - ص ١١٠
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ﴾ (٨٥) - ص ١١٢
﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ﴾ (٩٥) - ص ٩٢، ١١٣

سورةُ النساء

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ﴾ (١٨) - ص ١٣٨
﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ (٣٦) - ص ١٣٦
يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ ١٥٦
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (٤٨) - ص ١٠٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٥
ابْنُ عَبَّاسٍ عند الطَّبَرِيِّ ١٥٨؛ ابْنُ عُمَرَ عند الطَّبَرِيِّ ١٥٨؛ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ ١٥٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى﴾ (٥٩) - ص ٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ (١١٦) - ص ١٣٧، ١٣٨
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ (١٢٥) - ص ٦٣، ٦٤، ٦٥، ١١٣
السُّدِّيُّ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٦٩؛ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ ٧٢
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟﴾ (١٤٦) - ص ١٦٢
الطَّبَرِيُّ ١٩٣

سورةُ المائدة

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ﴾ (٣) - ص ٢٠
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ (١٩) - ص ١٥٩ح
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ﴾ (٤٤) - ص ١٠٩
﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ (٤٨) - ص ١٠٧، ١٠٨
ابْنُ عَبَّاسٍ عند الطَّبَرِيِّ ١٢٥؛ مُجَاهِدٌ عند الطَّبَرِيِّ ١٢٥؛ قَتَادَةُ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ١٢٤؛ الطَّبَرِيُّ ١٢٥

﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ وَقَالَ﴾ (٧٢) - ص ١٤٤، ١٤٥
الطَّبَرِيُّ ١٦٩
﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ﴾ (١١٧) - ص ٨٩

سورةُ الأنعام

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ (٧٨) - ص ٩٣
الطَّبَرِيُّ ١٠٧
﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (٧٩) - ص ٩٣، ١١٣، ١٢٣
الطَّبَرِيُّ ١٠٧
﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (٧٩-٨١) - ص ٩٣
﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ﴾ (٨٣-٩٠) - ص ١٧٢
﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ (٨٨) - ص ١٧٢
الطَّبَرِيُّ ٢٠٥
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل﴾ (٩٠) - ص ١٧٢
ابْنُ زَيْدٍ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٢٠٤
﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ (١٣٧) - ص ١٧٦
﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْۖ﴾ (١٥١) - ص ١٦٤
﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٦١) - ص ١٢٣
خُصَيْفٌ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ١٤٢
﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٦١-١٦٣) - ص ٩٢
﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (١٦١-١٦٤) - ص ١١٤
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١٦٢) - ص ١٢٣
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١٦٢-١٦٣) - ص ١٢٣
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٦٣) - ص ١٢٤

الطَّبَرِيُّ ١٤٤

سورةُ الأعراف

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ﴾ (٤٠) - ص ١٥٠
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ﴾ (٥٩) - ص ٣٠، ٧٢، ٧٣، ١٦٤
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ﴾ (٦٥) - ص ٣٠، ٧٣
﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ﴾ (٧٠) - ص ٣٠، ٧٣
الطَّبَرِيُّ ١٥
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ﴾ (٧٣) - ص ٣٠، ٧٣
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ﴾ (٨٥) - ص ٣٠، ٧٣
﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ﴾ (١٢٧) - ص ٢٨
ابْنُ عَبَّاسٍ عند الطَّبَرِيِّ ١٣؛ مُجَاهِدٌ عند الطَّبَرِيِّ ١٣؛ الطَّبَرِيُّ ١٣
﴿وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ (١٣٨) - ص ٢٩
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ (١٧٢) - ص ١١٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢١
الطَّبَرِيُّ ١٣٤
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ (١٧٢-١٧٣) - ص ١١٩
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ (١٧٢-١٧٤) - ص ١١٨
﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ (١٧٣) - ص ١٧٦

سورةُ التوبة

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ﴾ (٥) - ص ١٦١، ١٦٢
أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ١٩١؛ الضَّحَّاكُ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ١٩١؛
مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ١٩١؛ الْأَوْزَاعِيُّ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ١٩١؛ الطَّبَرِيُّ ١٩٢
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ﴾ (٦) - ص ١٧٦

﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾ (١١) - ص ١٦١، ١٦٢
قَتَادَةُ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ١٩١
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ﴾ (١١٣) - ص ٧٦، ١٧٤، ١٧٥
ابْنُ عَبَّاسٍ عند الطَّبَرِيِّ ٢١٢؛ الطَّبَرِيُّ ٢١٠
﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ﴾ (١١٤) - ص ١٧٥
قَتَادَةُ عند عَبْدِ الرَّزَّاقِ ٢١١

سورةُ يونس

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ﴾ (١٨) - ص ٤٢
﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن﴾ (٣١) - ص ٣٣
﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ﴾ (٧٢) - ص ١٠٩
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ (٨٤) - ص ١٠٩
﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ (١٠٥-١٠٦) - ص ١١٤

سورةُ هود

﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١-٢) - ص ٢٤
الطَّبَرِيُّ ٩
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ﴾ (٥٠) - ص ٣٠، ٧٣، ١٣٦
يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ ١٥٦
﴿قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ﴾ (٥٣) - ص ٧٣
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ﴾ (٦١) - ص ٣٠، ٧٣
﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ﴾ (٨٤) - ص ٣٠، ٧٣
﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ (١٠٩) - ص ١٧٧

سورةُ يوسف

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ (٣٩-٤٠) - ص ١٧٧
﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ﴾ (٤٠) - ص ٤٢، ١٢٤
أَبُو الْعَالِيَةِ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ١٤٥
﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ﴾ (١٠١) - ص ١٠٩
﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ (١٠٦) - ص ٣٥
ابْنُ عَبَّاسٍ عند ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ٢٢؛ مُجَاهِدٌ ٢٣؛ قَتَادَةُ عند عَبْدِ الرَّزَّاقِ ٢٤
﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ (١٠٨) - ص ٩٤، ٩٥
الطَّبَرِيُّ ١٠٨

سورةُ إبراهيم

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ﴾ (٢٢) - ص ٨٨، ٨٩
الشَّعْبِيُّ عند الطَّبَرِيِّ ١٠٣؛ الْحَسَنُ عند الطَّبَرِيِّ ١٠٣؛ الطَّبَرِيُّ ١٠٣
﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ (٢٧) - ص ١٥٢، ١٥٣

سورةُ النحل

﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ﴾ (٣٦) - ص ١١١، ١٧٣، ١٧٤
السُّدِّيُّ عند يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ ٢٠٨؛ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ ٢٠٩؛ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ ٢٠٨؛ الطَّبَرِيُّ ٢٠٦
﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا﴾ (٥١) - ص ١٣٧
الطَّبَرِيُّ ١٥٧
﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ (٧٨) - ص ١١٨
﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا﴾ (١٢٠-١٢٣) - ص ٩٢، ١١٤
﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ (١٢٣) - ص ٩٤، ٩٥، ١٢٨
الطَّبَرِيُّ ١٤٨

سورةُ الإسراء

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ (٢٣) - ص ٢٤
﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ﴾ (٧١) - ص ١٠٨

سورةُ الكهف

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ (١٠٣-١٠٥) - ص ١٥٨
﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ (١٠٤) - ص ٥٤
الطَّبَرِيُّ ٥٤

سورةُ الأنبياء

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ﴾ (٢٥) - ص ٤٤، ١١٠
قَتَادَةُ عند الطَّبَرِيِّ ١٢٦؛ الطَّبَرِيُّ ١٢٦
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (٣٠) - ص ٤٦

سورةُ الحج

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشْرِكْ﴾ (٣١) - ص ١١٤، ١٥٠
﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ (٧٨) - ص ٢٠

سورةُ المؤمنون

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ﴾ (٢٣) - ص ٣٠، ٧٣
﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ (٣٢) - ص ٣٠، ٧٣
﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ﴾ (١١٧) - ص ٣٧، ١٥٧
مُجَاهِدٌ عند الطَّبَرِيِّ ١٨٩؛ قَتَادَةُ عند يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ ٢٦؛ الطَّبَرِيُّ ٢٧

سورةُ الشعراء

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ (٢١٣) - ص ١٧٠، ١٧١

ابْنُ عَبَّاسٍ عند الْبَغَوِيِّ ٢٠٢؛ السُّدِّيُّ عند يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ ٢٠٣؛ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ ٢٠٣

سورةُ النمل

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ﴾ (٤٤) - ص ١٠٩

سورةُ العنكبوت

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ (٦٥) - ص ١٦٥، ١٦٦
قَتَادَةُ عند الطَّبَرِيِّ ١٩٨؛ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ ١٩٩؛ الطَّبَرِيُّ ١٩٨

سورةُ الروم

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ﴾ (٣٠) - ص ١١٥، ١١٦، ١١٧
مُجَاهِدٌ عند الطَّبَرِيِّ ١٣١؛ ابْنُ زَيْدٍ عند الطَّبَرِيِّ ١٣١؛ الْبُخَارِيُّ ١٣٠؛ الطَّبَرِيُّ ١٣١
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ﴾ (٣٠-٣٢) - ص ١١٤

سورةُ لقمان

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ (٢٢) - ص ٦٦، ٦٩، ٧٠
ابْنُ عَبَّاسٍ عند الطَّبَرِيِّ ٨٠؛ السُّدِّيُّ عند يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ ٧٩؛ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ ٧٢؛ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ ٧٩
﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ (٣٢) - ص ١٦٦
مُجَاهِدٌ عند يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ ٢٠٠؛ السُّدِّيُّ عند يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ ٢٠٠؛ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ ٢٠٠

سورةُ السجدة

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ (١٦) - ص ٤٧
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ﴾ (١٧) - ص ٤٧

سورةُ الأحزاب

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ (٧) - ص ١٢٠

سورةُ فاطر

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ﴾ (٢٨) - ص ١٩

سورةُ ص

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ (٥) - ص ٢٩، ٧٣، ٧٤

قَتَادَةُ عند الطَّبَرِيِّ ٨٤؛ الطَّبَرِيُّ ١٤

﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۖ بَلۡ هُمۡ﴾ (٨) - ص ٧٤

سورةُ الزمر

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ (١-٣) - ص ٣٧، ١٢٤

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ (٣) - ص ٣٨، ٣٩

مُجَاهِدٌ عند الطَّبَرِيِّ ٢٨؛ قَتَادَةُ عند الطَّبَرِيِّ ٢٨؛ السُّدِّيُّ عند الطَّبَرِيِّ ٢٨؛ ابْنُ زَيْدٍ عند الطَّبَرِيِّ ٢٨؛ الطَّبَرِيُّ ٢٩

﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ (١١-١٥) - ص ٤٢

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ (٢٩) - ص ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٨، ١٥٨

قَتَادَةُ عند الطَّبَرِيِّ ٥١؛ ابْنُ زَيْدٍ عند الطَّبَرِيِّ ٥٢؛ الْفَرَّاءُ ٤٩؛ الطَّبَرِيُّ ٤٨، ٥٣؛ الزَّجَّاجُ ٥٠

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ﴾ (٥٣) - ص ١٣٨

﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ (٦٥) - ص ١٧٠

الطَّبَرِيُّ ٢٠١

سورةُ غافر

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ (٦٠) - ص ٢١

سورةُ الشورى

﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ (١٠) - ص ٣

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ (١٣) - ص ١٠٨

سورةُ الزخرف

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦-٢٨) - ص ٩٠
مُجَاهِدٌ عند الطَّبَرِيِّ ١٠٥؛ قَتَادَةُ عند الطَّبَرِيِّ ١٠٥؛ السُّدِّيُّ عند الطَّبَرِيِّ ١٠٥؛ ابْنُ زَيْدٍ عند الطَّبَرِيِّ ١٠٥؛ الطَّبَرِيُّ ١٠٥
﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ (٨٦) - ص ١٤٨
مُجَاهِدٌ عند الطَّبَرِيِّ ١٧٩؛ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ ١٨١؛ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ ١٨٠
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ (٨٧) - ص ٣٣، ٣٥، ١٤٩
مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ ٢٥

سورةُ محمد

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ﴾ (١٩) - ص ١٤٦
الطَّبَرِيُّ ١٧٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ (٣٣) - ص ١٣٩

سورةُ الذاريات

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) - ص ١٣٤، ١٣٥
ابْنُ عَبَّاسٍ عند الطَّبَرِيِّ ١٥٢؛ أَبُو صَالِحٍ عند مُقَاتِلٍ ١٥٤؛ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ ١٥٤؛ الْبُخَارِيُّ ١٥٣
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦-٥٨) - ص ١٣٤

سورةُ الممتحنة

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ (٤) - ص ٨٢، ٨٩، ٩٠
مُجَاهِدٌ عند الطَّبَرِيِّ ١٠٤؛ قَتَادَةُ عند الطَّبَرِيِّ ١٠٤؛ ابْنُ زَيْدٍ عند الطَّبَرِيِّ ٩٦؛ الطَّبَرِيُّ ٩٦
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ (٤-٦) - ص ٨٢
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ﴾ (٦) - ص ٨٣، ٨٤

ابْنُ زَيْدٍ عند الطَّبَرِيِّ ٩٦؛ الطَّبَرِيُّ ٩٦
﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم﴾ (٧-٩) - ص ٨٧
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ (٨) - ص ٨٧
الطَّبَرِيُّ ١٠٢

سورةُ الطلاق

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ (١٢) - ص ١٨

سورةُ التحريم

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا﴾ (٥) - ص ١٣٦

سورةُ الملك

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ﴾ (٢) - ص ١٦١

سورةُ نوح

﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ (٣) - ص ١٣٦
يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ ١٥٦
﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ (٢٣) - ص ٧٢

سورةُ البينة

﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ (٥) - ص ١١٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٦
ابْنُ عَبَّاسٍ عند الطَّبَرِيِّ ١٤٦؛ الطَّبَرِيُّ ١٤٦

سورةُ الكافرون

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (١) - ص ٩١

فهرسُ الأحاديثِ

رُتِّبَتِ الأحاديثُ على حروفِ المعجمِ بحسبِ أوّلِ لفظِها، وبعدَ كلِّ حديثٍ راويه مِنَ الصّحابةِ، ثمّ رقمُ النّصِّ.

«أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي ...» (أَبُو ذَرٍّ) - ١٦٧
«أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكَ ...» (مُعَاوِيَةُ بْنُ حَيْدَةَ) - ١٠١
«أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ ...» (ابْنُ عَبَّاسٍ) - ١٣٥
«ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...» (ابْنُ عَبَّاسٍ) - ١٩٤
«إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ١١٦
«إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» (ابْنُ عُمَرَ) - ١١٨
«اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ١٧٤
«أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...» (الْأَسْوَدُ بْنُ سَرِيعٍ) - ١٩٠
«أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ١٧٨
«أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ ...» (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبْزَى) - ٦١
«اعْبُدِ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ...» (جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) - ٩٨
«اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ...» (أَبُو سُفْيَانَ) - ١١٢، ١١٣
«أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...» (جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) - ٣٦
«أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ؟» (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) - ٤٣
«أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ ...» (عِيَاضُ بْنُ حِمَارٍ) - ١٣٢
«الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...» (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ) - ٧
«الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ٥، ٣٥
«أَلَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ...» (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ) - ١٦١
«أَلَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ١٦٢
«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ٤٤

«الحَجُّ عَرَفَةُ» (عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَعْمَرَ) - ٣٠
«الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ» (ابْنُ عَبَّاسٍ) - ١٢٩
«الدَّوَاوِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ ...» (عَائِشَةُ) - ١٦٨
«أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ١٢٢
«إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ ...» (الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ) - ١٨٦
«إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ١٨٧
«إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ ...» (ابْنُ عَبَّاسٍ) - ١
«إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ...» (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو) - ٣٧
«أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ ...» (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) - ١٤٣
«إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ١٦٠
«أَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ» (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) - ٨٢
«إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ ...» (عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ) - ٦٢
«أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ ...» (ابْنُ عُمَرَ) - ١١٦
«بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ ...» (جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) - ٩٩
«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ ...» (ابْنُ عُمَرَ) - ١٥١
«تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ...» (جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) - ٩٧
«ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ، فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ ...» (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) - ١٦٥
«ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ» (نَوْفَلٌ الْأَشْجَعِيُّ) - ١٠٦
«ذَاكَ أُمَّةٌ وَحْدَهُ ...» (جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) - ٩١
«ضَحَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعِيدِ كَبْشَيْنِ ...» (جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) - ١٤٢
«فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ...» (الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ) - ١٨٤
«فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى ...» (ابْنُ عَبَّاسٍ) - ١٩٥

«قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئًا ...» (أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ) - ٣٨
«قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ٣٢
«كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا؟» (عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ) - ١٦
«كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ ...» (عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ) - ٨٣
«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا ...» (سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ) - ١٩٦
«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ...» (عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ) - ١٦٤
«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأَيَّامَ ...» (بِشْرُ بْنُ سُحَيْمٍ) - ١٦٣
«لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ مُشْرِكٍ أَشْرَكَ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا ...» (مُعَاوِيَةُ بْنُ حَيْدَةَ) - ١٠٠
«لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ...» (جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) - ٥٩
«لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ ...» (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) - ٤٢
«لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ١٤٠
«لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ» (سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ) - ١٦٦
«مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ ...» (جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) - ١١٥
«مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ١٣٣
«مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) - ٤٦
«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ ...» (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) - ١٤١
«مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ٣٢
«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ ...» (طَارِقُ بْنُ أَشْيَمَ) - ١٤٩
«مَنْ قَبِلَ مِنِّي الْكَلِمَةَ الَّتِي عَرَضْتُ عَلَى عَمِّي ...» (أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ) - ٨٨
«مَنْ كَفَّرَ أَخَاهُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا» (ابْنُ عُمَرَ) - ١١٧
«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...» (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) - ١٨٣
«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ) - ١٧٢

«مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...» (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) - ١٧٥
«نَعَمْ، فَأَسْتَغْفِرُ لَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ» (سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ) - ٩٠
«نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ...» (أَبُو هُرَيْرَةَ) - ١١٥
«وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ» (ابْنُ عَبَّاسٍ) - ٩٥، ١٩٧
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا» (رَجُلٌ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ) - ٨٦
«يَا عَمِّ إِنِّي أُرِيدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ يَقُولُونَهَا ...» (ابْنُ عَبَّاسٍ) - ٨٥
«يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ ...» (الْمُسَيَّبُ بْنُ حَزْنٍ) - ٨٧
«يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ ...» (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) - ١٨٢
«يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ...» (مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ) - ٨١
«يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ ...» (حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ) - ٦
«يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ ...» (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو) - ٣٩
«يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...» (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) - ١٣٦
«يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا ...» (أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ) - ١٣٧
«يُؤْتَى أَحَدُكُمْ، فَيُقَالُ لَهُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟» (أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ) - ١٨٥
«يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرَجُلٍ إِلَى الْمِيزَانِ ...» (عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو) - ٤٠

فهرسُ الآثارِ

رُتِّبَ القائلونَ على تواريخ وفياتِهم، وقبلَ كلِّ اسمٍ سنةُ وفاتِه، وبعدَه أرقامُ نصوصِه. وجُعِلَ الحدُّ سنةَ ٢٠٠هـ، فمَن ماتَ بعدَها، كالطَّبَرِيِّ، لم يُذكَرْ هنا، وأقوالُ أهلِ التّفسيرِ منهم تحتَ آياتِها في «فهرسِ الآياتِ وتفسيرِ السّلفِ».

(١٣هـ) أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: ١٠٩، ١١٠، ١١١

(٢٣هـ) عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ٦٢

(٣٢هـ) أَبُو الدَّرْدَاءِ: ٧٨

(٣٢هـ) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: ٢٠

(٤٠هـ) عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: ١٢١

(٦٨هـ) ابْنُ عَبَّاسٍ: ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٧، ٢٢، ٧٥، ٨٠، ١٢٥، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٨، ٢٠٢، ٢١٢

(٧٢هـ) الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: ٣٤

(٧٣هـ) أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ: ٩٣، ٩٤

(٧٣هـ) ابْنُ عُمَرَ: ٨٩، ١٥٨

(٩٠هـ) أَبُو الْعَالِيَةِ: ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ١٢٧، ١٤٥

(٩٣هـ) أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: ١٩١

(٩٣هـ) عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: ١٨٨

(٩٥هـ) سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: ٦٧، ٦٨، ٧٦

(١٠٤هـ) الشَّعْبِيُّ: ١٠٣

(١٠٤هـ) مُجَاهِدٌ: ١٣، ٢٣، ٢٨، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٥، ١٣١، ١٧٩، ١٨٩، ٢٠٠

(١٠٥هـ) الضَّحَّاكُ: ٧٦، ١٩١

(١١٠هـ) الْحَسَنُ: ٤٧، ١٠٣

(١١٤هـ) وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: ٤٥

(١١٧هـ) قَتَادَةُ: ١٨، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٥١، ٦٥، ٨٤، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٩١، ١٩٨، ٢١١

(١٢٥هـ) بُدَيْلُ بْنُ مَيْسَرَةَ: ٣

(١٢٧هـ) السُّدِّيُّ: ٢٨، ٦٦، ٦٩، ٧٥، ٧٩، ١٠٥، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٨

(١٣٧هـ) خُصَيْفٌ: ١٤٢

(١٣٩هـ) الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: ٧٠

(١٤٩هـ) مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: ١٩١

(١٥٠هـ) مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: ٢٥، ٧٢، ٧٧، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩، ١٨١، ١٩٩، ٢٠٩

(١٥١هـ) ابْنُ إِسْحَاقَ: ٨، ٧٣، ١١٤

(١٥٧هـ) الْأَوْزَاعِيُّ: ١٩١

(١٦٧هـ) حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ: ١٣٨

(١٧٩هـ) مَالِكٌ: ٢٠٧

(١٨٢هـ) ابْنُ زَيْدٍ: ٢٨، ٥٢، ٩٦، ١٠٥، ١٣١، ٢٠٤

(١٩٨هـ) سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: ٢، ٤١

(٢٠٠هـ) يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ: ٧٩، ١٥٦، ١٨٠، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٨

فهرسُ المصادرِ

مرتَّبةً على سنةِ وفاةِ المؤلِّفِ، وعددُها ٩١، وآخرُهم الضّياءُ المقدسيُّ (ت ٦٤٣هـ)[١]

اقتصرتُ عند النّقلِ مِنَ المصادرِ في هذا الكتابِ - تسهيلًا للقارئِ والباحثِ - على الطّبعاتِ الموجودةِ في «المكتبةِ الشّاملةِ»، ليتمكّنَ القارئُ مِن مراجعةِ النّصوصِ في مصادرِها بسهولةٍ، ولم أتصرّفْ في النّصوصِ المنقولةِ إلّا لتصحيحِ خطأٍ ظاهرٍ.

وذكرتُ تحت كلِّ كتابٍ الطّبعةَ أو المحقِّقَ الذي اعتمدتُه.

التّفسيرُ والقراءاتُ وعمومُ كتبِ الرّوايةِ وعلومِها

١٠٤ **مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ**: «تفسيرُ مُجَاهِدٍ»
ت. محمد عبد السلام أبو النيل

١٥٠ **مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**: «تفسيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ»
ت. عبد الله محمود شحاته

١٥١ **مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ**: «سيرةُ ابْنِ إِسْحَاقَ = كتابُ السِّيَرِ والمَغَازِي»
ت. سهيل زكار

[١] ولم يُنقَلْ بعدَ الضّياءِ إلّا عن ثلاثةٍ مِنَ المتأخِّرينَ، في الحواشي، كلٌّ منهم في موضعٍ واحدٍ: ابْنِ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨هـ) في «منهاجِ السُّنّةِ النّبويّةِ» (ت. محمد رشاد سالم)، وابْنِ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ (ت ٧٥١هـ) في «طريقِ الهجرتَينِ» (ت. محمد أجمل الإصلاحي)، وابْنِ كَثِيرٍ (ت ٧٧٤هـ) في «تفسيرِه» (ت. سامي السلامة).

١٧٩ **مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ**: «الموطّأُ»
رواية يحيى، ت. محمد مصطفى الأعظمي

١٨١ **عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ**: «الزُّهْدُ والرَّقائِقُ»
ت. حبيب الرحمن الأعظمي

٢٠٠ **يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ**: «تفسيرُ يَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ»
ت. هند شلبي
«التّصاريفُ لتفسيرِ القرآنِ مِمّا اشتبهتْ أسماؤُه وتصرّفتْ معانيه»
ت. هند شلبي

٢٠٤ **الشَّافِعِيُّ، مُحَمَّدُ** بْنُ إِدْرِيسَ: «كتابُ الأُمِّ»
ط. دار الفكر

٢٠٤ **أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ**، سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: «مسندُ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ»
ت. التركي

٢١١ **عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ**: «تفسيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ»
ت. محمود محمد عبده
«مُصنَّفُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ»
ط. دار التأصيل

٢١٣ **ابْنُ هِشَامٍ**، عَبْدُ الْمَلِكِ: «السّيرةُ النَّبويَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ»
ت. السقا وآخرين

٢١٩ **الْحُمَيْدِيُّ**، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: «مسندُ الْحُمَيْدِيِّ»
ت. حسين سليم أسد الداراني

٢٢٤ **أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ:**
«كتابُ الإيمانِ ومعالِمِه، وسننِه، واستكمالِه، ودرَجاتِه»
ت. الألباني
«غريبُ الحديثِ»
ت. محمد عبد المعيد خان
«كتابُ الأموالِ»
ت. خليل محمد هراس

٢٢٧ **سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ:**
«سننُ سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ»
ت. حبيب الرحمن الأعظمي

٢٣٠ **ابْنُ سَعْدٍ:**
«الطَّبقاتُ الكبيرُ»
ت. علي محمد عمر

٢٣٣ **يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ:**
«تاريخُ ابْنِ مَعِينٍ»
رواية عثمان الدارمي، ت. أحمد محمد نور سيف

٢٣٥ **أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ:**
«مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ»
ت. سعد الشثري

٢٣٨ **إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ:**
«مسندُ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ»
ت. عبد الغفور البلوشي

٢٤١ **أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ:**
«مسندُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ»
ط. الرسالة
«فَضائِلُ الصَّحابةِ»
ت. وصي الله عباس

«العِلَلُ ومعرفةُ الرِّجالِ»

رواية ابنه عبد الله، ت. وصي الله عباس

٢٥١ **ابْنُ زَنْجُوَيْهِ**، حُمَيْدُ بْنُ مَخْلَدٍ: «الأموالُ»

ت. شاكر ذيب فياض

٢٥٥ **الدَّارِمِيُّ**، أَبُو مُحَمَّدٍ: «مسندُ الدَّارِمِيِّ (المعروفُ بِسُنَنِ الدَّارِمِيِّ)»

ت. حسين سليم أسد

٢٥٦ **الْبُخَارِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: «صحيحُ الْبُخَارِيِّ = الجامعُ المسندُ الصَّحيحُ المُختصَرُ مِن أمورِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وسننِه وأيّامِه»

ط. دار التأصيل

«خَلقُ أفعالِ العِبادِ»

ت. عبد الرحمن عميرة

«الأدَبُ المُفرَدُ»

ت. محمد فؤاد عبد الباقي

٢٦١ **مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ**: «صحيحُ مُسْلِمٍ = المسندُ الصَّحيحُ المُختَصَرُ بِنقْلِ العَدْلِ عن العدلِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ»

ط. التركية

٢٧٣ **ابْنُ مَاجَه**، مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: «سننُ ابْنِ مَاجَه»

ت. الأرنؤوط وآخرين

٢٧٥ **أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ**، سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ:
«سننُ أَبِي دَاوُدَ»
ت. الأرنؤوط وآخرين

٢٧٦ **ابْنُ قُتَيْبَةَ**، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ:
«الاختلافُ في اللّفظِ والرّدُّ على الجهميّةِ والمشبِّهةِ»
ت. عمر بن محمود أبو عمر
«غريبُ الحديثِ»
ت. عبد الله الجبوري
«تفسيرُ غريبِ القرآنِ»
ت. أحمد صقر

٢٧٩ **ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ**، أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ:
«التّاريخُ الكبيرُ»
ت. صلاح بن فتحي هلل

٢٧٩ **التِّرْمِذِيُّ**، أَبُو عِيسَى مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى:
«سننُ التِّرْمِذِيِّ»
ت. أحمد شاكر وآخرين
«العِلَلُ الكبيرُ»
ت. صبحي السامرائي وآخرين

٢٨٧ **ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ**، أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو:
«الآحادُ والمَثانِي»
ت. باسم الجوابرة

٢٩٢ **الْبَزَّارُ**، أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو:
«مسندُ الْبَزَّارِ»
ت. محفوظ الرحمن زين الله وآخرين

٢٩٤ **مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ**:
«تَعظيمُ قَدْرِ الصَّلاةِ»
ت. عبد الرحمن الفريوائي

٣٠١ **الْفِرْيَابِيُّ**، جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: «القَدَرُ»
ت. عبد الله بن حمد المنصور

٣٠٣ **النَّسَائِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ: «السُّنَنُ الصُّغْرَى = المجتبَى مِنَ السّنن»
ط. الرسالة
«السّننُ الكُبْرَى»
ط. الرسالة
«عملُ اليَومِ واللَّيلةِ»
ت. فاروق حمادة
«الضّعفاءُ والمتروكونَ»
ت. محمود إبراهيم زايد

٣٠٧ **أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ: «مسندُ أَبِي يَعْلَى»
ت. حسين سليم أسد

٣١٠ **الطَّبَرِيُّ**، أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ: «تفسيرُ الطَّبَرِيِّ = جامعُ البيانِ عن تأويلِ آيِ القرآنِ»
ت. التركي

٣١١ **أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ**: «السُّنَّةُ لِلْخَلَّالِ»
ت. عطية الزهراني

٣١٦ **أَبُو عَوَانَةَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ**، يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ: «مُستَخرَجُ أَبِي عَوَانَةَ = المسنَدُ الصَّحيحُ المُخَرَّجُ عَلى صَحِيحِ مُسْلِمٍ»
ط. الجامعة الإسلامية

٣٢٤ **ابْنُ مُجَاهِدٍ**، أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى:
«كتابُ السَّبعةِ في القراءاتِ»
ت. شوقي ضيف

٣٢٧ **ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيُّ**، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ:
«تفسيرُ القرآنِ العظيمِ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ»
ت. أسعد محمد الطيب
«الجرحُ والتّعديلُ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيِّ»
ط. دائرة المعارف العثمانية
«المراسيلُ لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ»
ت. شكر الله قوجاني

٣٦٠ **أَبُو بَكْرٍ الْآجُرِّيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ:
«الشَّريعةُ لِلْآجُرِّيِّ»
ت. الدميجي

٣٦٠ **أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ**، سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ:
«المعجمُ الكبيرُ والأوسطُ والصّغيرُ»
الكبير: ت. حمدي السلفي
الأوسط: ت. طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني
الصغير: ت. محمد شكور أمرير
«كتابُ الدُّعاءِ لِلطَّبَرَانِيِّ»
ت. مصطفى عبد القادر عطا

٣٦٥ **ابْنُ عَدِيٍّ الْجُرْجَانِيُّ**:
«الكاملُ في ضعفاءِ الرّجالِ»
ط. دار الكتب العلمية

٣٨٥ **الدَّارَقُطْنِيُّ**، عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ:
«العِلَلُ الواردةُ في الأحاديثِ النّبويّةِ»
ت. محفوظ الرحمن زين الله السلفي

٣٨٧ **ابْنُ بَطَّةَ**، عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ:
«الإبانةُ الكبرى»
ت. رضا معطي وآخرين

٣٨٨ **أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ**:
«أعلامُ الحديثِ في شرحِ صحيحِ البُخاريِّ»
ت. محمد بن سعد آل سعود
«غريبُ الحديثِ»
ت. عبد الكريم إبراهيم الغرباوي

٣٩٥ **ابْنُ مَنْدَه**، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ:
«كتابُ الإيمانِ لِابْنِ مَنْدَه»
ت. علي الفقيهي
«كتابُ التَّوحيدِ لِابْنِ مَنْدَه»
ت. علي الفقيهي
«الرّدُّ على الجهميّةِ»
ت. علي الفقيهي

٤٠٥ **الْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ:
«المُستدرَكُ على الصَّحيحَينِ»
ت. عادل مرشد وآخرين

٤١٨ **اللَّالَكَائِيُّ**، أَبُو الْقَاسِمِ هِبَةُ اللَّهِ:
«شرحُ أصولِ اعتقادِ أهلِ السُّنّةِ والجماعةِ»
ت. أحمد بن سعد الغامدي

٤٣٠ **أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ**:
«حِلْيَةُ الأولياءِ وطَبَقاتُ الأصفِياءِ»
ط. السعادة

٤٥٨	**الْبَيْهَقِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ:	«الاعتقادُ والهدايةُ إلى سبيلِ الرّشادِ» ت. أحمد عصام الكاتب
٤٦٣	**ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ**، أَبُو عُمَرَ:	«جامعُ بيانِ العلمِ وفضلِه» ت. أبي الأشبال الزهيري «التّمهيدُ لِما في الموطّأِ مِنَ المعاني والأسانيدِ» ت. بشار عواد معروف وآخرين «الاستذكارُ» ت. سالم محمد عطا ومحمد علي معوض
٤٦٣	**الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ:	«تاريخُ بَغْدَادَ» ت. بشار عواد معروف
٤٦٨	**الْوَاحِدِيُّ**، عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ:	«التّفسيرُ البسيطُ» ط. جامعة الإمام محمد بن سعود «الوسيطُ في تفسيرِ القرآنِ المجيدِ» ت. عادل أحمد عبد الموجود وآخرين
٤٨٩	**السَّمْعَانِيُّ**، أَبُو الْمُظَفَّرِ:	«تفسيرُ القرآنِ» ت. ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس
٥١٦	**الْبَغَوِيُّ**، الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ:	«معالمُ التّنزيلِ = تفسيرُ الْبَغَوِيِّ» ت. محمد عبد الله النمر وآخرين
٥٣٥	**أَبُو الْقَاسِمِ الْأَصْبَهَانِيُّ**، إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ:	«الحُجَّةُ فِي بَيانِ المَحَجَّةِ» ت. محمد بن ربيع المدخلي

٦٤٣ **الضِّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ:** «الأحاديثُ المختارةُ»
ت. عبد الملك بن دهيش

المعاجمُ وعلومُ اللّغةِ

١٧٠ **الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ:** «كتابُ العَيْنِ»
ت. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي

١٨٠ **سِيبَوَيْهِ،** عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: «الكتابُ»
ت. عبد السلام محمد هارون

٢٠٧ **الْفَرَّاءُ،** يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ: «معاني القرآنِ»
ت. أحمد يوسف النجاتي وآخرين

٣١١ **الزَّجَّاجُ،** إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ: «معاني القرآنِ وإعرابُه»
ت. عبد الجليل عبده شلبي

٣١٦ **ابْنُ السَّرَّاجِ،** مُحَمَّدُ بْنُ السَّرِيِّ: «الأصولُ في النّحوِ»
ت. عبد الحسين الفتلي

٣٢٨ **ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ،** أَبُو بَكْرٍ: «شرحُ القصائدِ السَّبعِ الطِّوالِ الجاهليّاتِ»
ت. عبد السلام هارون

«الزّاهرُ في معاني كلماتِ النّاسِ»
ت. حاتم صالح الضامن

٣٣٧ **الزَّجَّاجِيُّ،** أَبُو الْقَاسِمِ: «الإيضاحُ في عللِ النّحوِ»
ت. مازن المبارك

٣٧٠ **الْأَزْهَرِيُّ**، أَبُو مَنْصُورٍ: «تهذيبُ اللُّغةِ»

ت. محمد عوض مرعب

٣٨٥ **الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ**: «المحيطُ في اللّغةِ»

ت. محمد حسن آل ياسين

٣٩٣ **الْجَوْهَرِيُّ**، إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادٍ: «الصِّحاحُ تاجُ اللُّغةِ وصِحاحُ العربيّةِ»

ت. أحمد عبد الغفور عطار

٤٥٨ **ابْنُ سِيدَهْ**، عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ: «المحكَمُ والمحيطُ الأعظمُ»

ت. عبد الحميد هنداوي

فهرسُ أسماءِ المصنِّفينَ المنقولِ عنهم

مرتَّبةً على سنةِ الوفاةِ، وعددُهم سبعةٌ وستّون، وآخرُهم الضّياءُ المقدسيُّ (ت ٦٤٣هـ)[١]

التّفسيرُ والقراءاتُ وعمومُ كتبِ الرّوايةِ وعلومِها

١٠٤	**مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ**
١٥٠	**مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ**
١٥١	**مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ**
١٧٩	**مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ**
١٨١	**عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ**
٢٠٠	**يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ**
٢٠٤	**الشَّافِعِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ
٢٠٤	**أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ**، سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ
٢١١	**عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيُّ**
٢١٣	**ابْنُ هِشَامٍ**، عَبْدُ الْمَلِكِ

---

[١] ولم يُنقَلْ بعدَ الضّياءِ إلّا عن ثلاثةٍ مِنَ المتأخِّرينَ في الحواشي، كما ذُكِرَ في بدايةِ «فهرسِ المصادرِ».

وقد أَنقُلُ عن بعضِ مَنِ انحرفَ في الاعتقادِ، كالصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ، وكان معتزليًّا، والْبَيْهَقِيِّ، وقد سلكَ في الصّفاتِ طريقةَ الأشاعرةِ، وأكثرُ ذلك في بيانِ اللُّغةِ، لأنّ معانيَها كانت معروفةً منتشرةً في القرونِ الأولَى، وقد أَذكرُ أحدَهم أحيانًا في الحاشيةِ لِلفظٍ في الرّوايةِ لا يُوجَدُ عند غيرِه، فليس في ذِكرِهم تزكيةٌ لهم، ولا احتجاجٌ بهم في شيءٍ مِن أمورِ الدِّينِ.

٢١٩	**الْحُمَيْدِيُّ**، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ
٢٢٤	**أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ**
٢٢٧	**سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ**
٢٣٠	**ابْنُ سَعْدٍ**
٢٣٣	**يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ**
٢٣٥	**أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ**
٢٣٨	**إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ**
٢٤١	**أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ**
٢٥١	**ابْنُ زَنْجُوَيْهِ**، حُمَيْدُ بْنُ مَخْلَدٍ
٢٥٥	**الدَّارِمِيُّ**، أَبُو مُحَمَّدٍ
٢٥٦	**الْبُخَارِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ
٢٦١	**مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ**
٢٧٣	**ابْنُ مَاجَه**، مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ
٢٧٥	**أَبُو دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيُّ**، سُلَيْمَانُ بْنُ الْأَشْعَثِ
٢٧٦	**ابْنُ قُتَيْبَةَ**، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ
٢٧٩	**ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ**، أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ
٢٧٩	**التِّرْمِذِيُّ**، أَبُو عِيسَى مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى
٢٨٧	**ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ**، أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو
٢٩٢	**الْبَزَّارُ**، أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍو
٢٩٤	**مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ**
٣٠١	**الْفِرْيَابِيُّ**، جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ

٣٠٣	**النَّسَائِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبٍ
٣٠٧	**أَبُو يَعْلَى الْمَوْصِلِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ
٣١٠	**الطَّبَرِيُّ**، أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ
٣١١	**أَبُو بَكْرٍ الْخَلَّالُ**
٣١٦	**أَبُو عَوَانَةَ الْإِسْفَرَايِينِيُّ**، يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ
٣٢٤	**ابْنُ مُجَاهِدٍ**، أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى
٣٢٧	**ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ الرَّازِيُّ**، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ
٣٦٠	**أَبُو بَكْرٍ الْآجُرِّيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ
٣٦٠	**أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ**، سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ
٣٦٥	**ابْنُ عَدِيٍّ الْجُرْجَانِيُّ**
٣٨٥	**الدَّارَقُطْنِيُّ**، عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ
٣٨٧	**ابْنُ بَطَّةَ**، عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ
٣٨٨	**أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ**
٣٩٥	**ابْنُ مَنْدَه**، مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ
٤٠٥	**الْحَاكِمُ النَّيْسَابُورِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
٤١٨	**اللَّالَكَائِيُّ**، أَبُو الْقَاسِمِ هِبَةُ اللَّهِ
٤٣٠	**أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ**
٤٥٨	**الْبَيْهَقِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ
٤٦٣	**ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ**، أَبُو عُمَرَ
٤٦٣	**الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ**، أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ
٤٦٨	**الْوَاحِدِيُّ**، عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ

٤٨٩ | **السَّمْعَانِيُّ**، أَبُو الْمُظَفَّرِ
٥١٦ | **الْبَغَوِيُّ**، الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ
٥٣٥ | **أَبُو الْقَاسِمِ الْأَصْبَهَانِيُّ**، إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ
٦٤٣ | **الضِّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ**، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ

المعاجمُ وعلومُ اللّغةِ

١٧٠ | **الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِيُّ**
١٨٠ | **سِيبَوَيْهِ**، عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ
٢٠٧ | **الْفَرَّاءُ**، يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ
٣١١ | **الزَّجَّاجُ**، إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّرِيِّ
٣١٦ | **ابْنُ السَّرَّاجِ**، مُحَمَّدُ بْنُ السَّرِيِّ
٣٢٨ | **ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ**، أَبُو بَكْرٍ
٣٣٧ | **الزَّجَّاجِيُّ**، أَبُو الْقَاسِمِ
٣٧٠ | **الْأَزْهَرِيُّ**، أَبُو مَنْصُورٍ
٣٨٥ | **الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ**
٣٩٣ | **الْجَوْهَرِيُّ**، إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَمَّادٍ
٤٥٨ | **ابْنُ سِيدَهْ**، عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ